

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



PHILIP HITTI COLLECTION

Philip Dine

الأدب القصصي
عند العرب

دار الكتاب
بيروت - لبنان

حزيران ١٩٥٠

موسى سليمان

ماجستير في الآداب

892.7309

S949a A

تقدمه اقدم دايجاب الى المكتبة الوطنية
مع اذنه في تقديره ١٠٠ المخذ

موسى سليمان

١١٥٠٠

بيروت - الجامعة العربية

الأدب القصصي عند العرب

أعد هذا البحث في الاصل وقدم عام ١٩٤٥ الى كلية الآداب في جامعة بيروت الاميركية لنيل
رتبة ماجستير في الآداب

للمؤلف :

- ١ - الحب العذري - دار العلم للملايين ١٩٤٧
- ٢ - يحكى عن العرب - دار العلم للملايين ١٩٤٨
- ٣ - الأدب القصصي عند العرب - دار الكتاب ١٩٥٠

تحت الطبع :

- ١ - أمية المثقفين - من أدب المقالة
- ٢ - زنايق الليل - من الادب المهموس

مقدمته البحث

« **كاه ما كاه** » صوتٌ عميقٌ ، قديمٌ من اصوات المعابد العتيقة ، يحملُ بين طبائته الف لونٍ ولون من الوان الحياة النابضة ، الزاهرة بالالغاز والأسرار !!

« **كاه ما كاه** » صوتٌ رهيبٌ حبيبٌ الى النفوس المتعطشة لجمال الحياة ، بل هو صوتُ الأغوار العميقة والازمنة السحيقة ، بما فيها من آفاق فسيحة تعجّ بالخير والبركة ، والدين والمعرفة والعلم والفلسفة !!

هو صوتُ الآلهة ، يومَ كانتِ الآلهة ، أبناء السماء ترشّ على الدنيا حكاياتها أساطير أساطير !! يومَ « كانت الآلهة تفتش عن كتاب السحر العجيب في قاع بركة في مدينة قَفْط (Capto) داخل صندوقٍ من الحديد ، وآخر من النحاس الاحمر ، ضمن آخر من شجر الجَمِيز ، في صندوقٍ من العاج والابنوس ، في صندوقٍ من الفضة ، ضمن آخر من الذهب » !! تحيط بهذه الصناديق العجيبة الغريبة « حية » ملتقّة لا بداية ولا نهاية لها... وتسكن المياه حول الصندوق كثير من الثعابين والحيات ، والافاعي والعقارب وكثير من الزواحف^(١) .

هو صوتُ الانسان ، يومَ كان الانسان إلهاً بثليته وانساناً بثلثه الثالث ، وكان يصارعُ الناسَ كثوَرٍ وحشي فتعشقه عشتروت الهة الحب وتعرض عليه حبها قائلة :
« كن حبيبي يا جلكامك^(٢) ، كن زوجي ، او لاكن زوجتك ! أدخل مسكني بين جذوع الارز ، فحين تدخل مسكني ، الذين يجلسون على العروش يلثمون رجلك ! .. » فيرفض جلكامك طلبها بعزّة وابهاء ويعيّرُها قائلاً :

« روجي فلافضحّكِ أمامَ تموز ، حبيب صبوتك !! »

« إنك أحببتِ العصفور الصغير في الجنة ثم ضربته وحطمتِ جناحيه !! »

« أحببتِ الاسد ، وهو من قوّته في العنقوان ثم حفرت له سبعاً فسبعاً من الحفر !! »

(١) محمد صابر — ادب الفراعنة ص : ١٤٢

(٢) نعرفها بالشين بدل الكاف اي جلكامش

« أَحْبَبْتُ الْحِصَانَ الْمُتَعَجِّفَ فِي الْوَعْيِ ، ثُمَّ خَصَصْتُ بِهِ الْمَهَازَ وَالسُّوْطَ !!
 « أَحْبَبْتُ الرَّاعِي ، وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَذْبَحُ لَكَ جَدَاءَهُ ، ثُمَّ ضَرَبْتَهُ وَحَوَّلْتَهُ إِلَى
 هَرٍّ وَحَشِيٍّ ... »

« وَأَنَا سَتَجِبُنِي ... وَكَمَا تَغَيَّرْتَ عَلَى هَؤُلَاءِ تَتَغَيَّرُ بِنِ عَلِيٍّ ^(١) ... »

هُوَ صَوْتُ الْمُلُوكِ ، يَوْمَ كَانَ الْمُلُوكُ يَمْلِكُونَ الْفَ سَنَةً وَيَفْتَتِحُونَ الْفَ مَدِينَةً ،
 وَيُنْكَحُونَ الْفَ عَاتِقَ ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَرَأَسَهُمُ التُّرَابُ وَوَسَادَهُمُ الْحِجَرُ ،
 وَجِيرَانُهُمُ الدُّودُ ^(٢)

يَوْمَ كَانَ يَأْمُرُ شَمَّرُ يَرْعَشُ بْنُ مَالِكٍ نَاشِرَ النِّعَمِ فَيَقُولُ :

« إِتُونِي بِبَقَايَا سِحْرَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ وَبِلَقِيسَ فَيَأْمُرُهُمْ بِنِ بِنَاءِ قَبَةِ أَبِيهِ ، مَالِكُ نَاشِرِ
 النِّعَمِ بِالْكَلَسِ الْأَزْرَقِ ، فَيَجِيدُونَ الصَّنْعَةَ فِيهِ بِالذَّهْنِ وَالصَّقْلِ حَتَّى يَصِيرَ جَبَلًا مَنِيعًا
 كَالرَّأَةِ السَّجْنَجِلِ ، ثُمَّ يَطُوفُ بِهِ فَيَرَى نَفْسَهُ وَفَرَسَهُ وَجَمِيعَ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَارِجِهِ ، فِي جَمِيعِ
 جِهَاتِهِ ، فَيَعْجَبُ ؛ وَيَرَى الطَّيْرَ إِذَا هَمَّتْ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِ ، رَأَتْ تَمَثَّلَهَا فِيهِ فَتَهْرَبُ وَلَا
 تَقْرُبُ فَلَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ طَائِرٌ . وَيَأْمُرُ الْجُنَّ أَنْ تَقْعُدَ حَوْلَهُ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ^(٣) »

« كَانَ مَا كَانَ » صَدَى حَلَوِ لَصَوْتٍ حَلَوِ هُوَ صَوْتُ عِبَلَةٍ ، يَوْمَ كَانَتْ تَنَادِي عُنْتَرَةً

ابْنُ عَمِّهَا قَائِلَةً :

« انْعَشُوا رُوحِي وَدَاوُوا كَمْدِي	وَاخَذُوا نَحْوَ ابْنِ عَمِّي بِيَدِي
قَلَّ صَبْرِي وَتَشَقَّى حَاسِدِي	وَلَقِيتُ الذَّلَّ بَعْدَ الْأَسْوَدِ
جَسَدِي يَضَعُفُهُ رِيحُ الصَّبَا	كَيْفَ يَقْوَى لِلْعَذَابِ الْمَجْهَدِ !
قَرَّبُونِي مِنْ حَمَى عُنْتَرَةٍ	لَيْسَ يَحْمِي الظُّبْيَ غَيْرُ الْأَسَدِ
وَإِخْبَرُوهُ أَنَّنِي مِنْ بَعْدِهِ	لَمْ أَزَلْ فِي حَيْرَةٍ لَا أَهْتَدِي
وَرَدُّ خَدْيِي الَّذِي تَعَاهَدُهُ	غَيَّرَتْهُ أَدْمَعُ كَالْبَرَدِ
وَجَفَوْنِي زَالَ عَنْهَا حُسْنُهَا	وَشَكْتُ طَوْلَ الْبَكَ وَالرَّامِدِ

(١) عَبْدُ اللَّهِ غَانِمٌ — كِتَابُ الْأَجْيَالِ ص : ١٦

(٢) الْهَمْدَانِي — كِتَابُ الْأَكْلِيلِ ج ٨ : ١٩٥ و ٢٠١

(٣) الْهَمْدَانِي — كِتَابُ الْأَكْلِيلِ ج ٨ : ٢٥٢

غربة دائمة عند العدى و عذاب فاق طور الجلد
لو لقي بعض الذي لاقيته جلدته ، ذاب فؤاد الجلد^(١) »

هو صوت الجن يوم كان الجن يبنون المنازل ويشيدون الدور والقصور ، ويبرئون المرضى ويخاطبون الناس ويهتفون بهم باصوات مفهومة تتكلم الجيرية والعربية ، ويخدمون الملوك اذ « كانوا يأتونهم بفواكه بلاد الهند طرية^(٢) »

هو صوت الجن يوم كانت نساء الجن تعشق الناس وتعرف من تعشق فتختار الواحدة منهن ابهة الملك ، وهو اجمل الناس وجهاً وتهجم عليه وتقول له : « ايها الملك : اني عشقتك وليس لي منك بد وانا حنيفة على دين ابراهيم ، وانا لا ارضى بالزناء ولا ادين به فاختر من اربع خلال واحدة :

« ان شئت قتلتك ، وان شئت اعميتك ، وان شئت ابرصتك والا فتزوجني » .
ولا شك في ان ابهة كان ذكياً فاختار الحصلة الاخيرة وقال لها :
« اذا خيراً اختار ... انا اختار منك العافية يا عيوف^(٣) »

واخيراً ، « كانه ما كانه » هو صوت مربع مخيف ، هو صوت الكفار القتلة ، خارجاً من نار جهنم ، صوت آدمي أسود ، يخرج من الارض المنشقة وهو يشتعل ناراً من قرنه الى قدمه ، وفي عنقه سلسلة يجرها خلفه وهو يصيح :

« يا عبدالله اسقني !! يا عبدالله اسقني » ولكن سرعان ما يخرج في اثره رجل آخر يده في طرف السلسلة فيجره ويقول :

« يا عبدالله لا تسقه هذا عدو الله ابو جهل لعنه الله !! » ويأخذ بضربه حتى يدخله القبر وتنطبق الارض عليه^(٤)

هل عرف العرب الموصم ؟

« كانه ما كانه » وكان للعرب ماضٍ ادبي زاهر حافل بجلال الاعمال فجاء العلماء

(١) سيرة عنتره ج ١ : ١٧٥

(٢) الهمداني - الاكليل ج ٨ : ٢٩ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٩

(٣) الهمداني - الاكليل ج ٨ : ٢٣٨

(٤) الهمداني - الاكليل ج ٨ : ١٧٧

من مستشرقين وغير مستشرقين ، يدرسونه ، كل على ضوئه الخاص وبطريقته الخاصة ونظرياته النقدية الخاصة فمنهم من رفعه الى اعلى الدرجات ومنهم من انكر على العرب إلمامهم بفنون ادبية كثيرة وخصها القصة .

« كان العرب يعرفون ملوك اليونان حتى كليوباترة ، ويعرفون أباطرة الرومان ، أما امثال توسيديد من المؤرخين فلم يعرفوا عنهم شيئاً حتى ولا اسماءهم . ولم يأخذوا عن هوميروس اكثر من عبارته المشهورة : (يجب ان يكون الحاكم فرداً) . ولم يكن لهم معرفة بالقصصيين الأغريق ولا بشعراء الاغاني ولم تؤثر الثقافة اليونانية في العرب الا من طريق الرياضيات والطبيعيات والفلسفة^(١) »

ويقول مستشرق آخر : « ان ثمار الترجمات العربية عن اليونانية كانت الفلسفة والرياضيات والعلوم الطبية^(٢) »

وتنتقل هذه الفكرة من المستشرقين الى الباحثين العرب فيقول احدهم :

« إن العرب اخذوا عن اليونان فلسفتهم وحكمتهم كما نقلوا عنهم الى العربية علوماً شتى كالطب والنجوم وغيرها ، ولكنهم لم يأخذوا عنهم فن القصص وخاصة القصص التمثيلي . » ثم يضيف في مكان آخر :

« اما القصة بمعنى اختراع الاشخاص وتمهيد المكان وابتكار الحوادث وخلق الوقائع ونقض الصفات على ممثليها على ان يتجه كل ذلك الى غاية واحدة ويدرج الى غرض معين ، فذلك ما لم يُعْنَ به العرب ولم يتوجهوا اليه^(٣) »

ويقول اديب ثان :

« ان العرب بفطرتهم لم يكونوا يميلون الى القصص المعقد الذي وجد كثير منه فيما أثر عن اليونان القدماء والذي ذاع عند الانجليز والروس والفرنسيين والالمان^(٤) »

ويقول اديب ثالث من الادباء المعاصرين المرموقين :

« . . . كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة ، لذة سريعة ،

(١) ده بور — تاريخ الفلسفة في الاسلام ص : ٢٦ . ترجمة ابو ريده

(٢) J. Hell - The Arab Civilization p: 87.

(٣) عبد العزيز البشري — المختار ج ١ : ٢٤

(٤) زكي مبارك — الفن الفني ج ١ : ٢٠٤

مفهومة ، مختطفة اختطافاً ، لان كل شيء عند العرب سرعة ونهب واختطاف . عند الاغريق الحركة اي الحياة وعند العرب السرعة اي اللذة . لم تفتح امة العالم باسرع مما فعلت العرب . ومر العرب بحضارات مختلفة فاخطفوا من اطايها اختطافاً ، ركضاً على ظهور الجياد . كل شيء قد يحسونه الا عاطفة الاستقرار . وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم ارض ولا ماضٍ ولا عمران ! دولة انشأتها الظروف ولم تنشئها الأرض ، وحيث لا ارض فلا استقرار وحيث لا استقرار فلا تأمل وحيث لا تأمل فلا ميتولوجيا ولا خيال واسع ولا تفكير عميق ولا احساس بالبناء . كل شيء عند العرب زخرف . الادب نثر وشعر لا يقوم على البناء فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل^(١) . ويقول اديب رابع متحدثاً عن فن القصص :

« وله عند الفرنج مكانة مرفوعة وقواعد موضوعة . اما عند العرب فلا خطر ولا عناية به ، لانصرافهم عما لا رجحان لدين منه ولا غناء للملك فيه . فمروا لذلك ، على ما كتب اليونان والرومان دون ان يترجموه او يقلدوه^(٢) . »

ولقد سبق جرجي زيدان جميع المؤرخين العرب المحدثين الى اعتناق هذه الفكرة التي اشار اليها المستشرقون فقال :

« ان العرب ، مع كثرة ما نقلوه عن اليونان ، لم يتعرّضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود . فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس واخبار ملوكهم . وترجموا الشاهنامه . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيروديتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوديسيته^(٣) . »

ويضيف في مكان آخر :

« والروايات فن له شأن عظيم في آداب اللغات الافرنجية يكاد يكون اهمها . واما في العربية فانه من اخف فروع الادب » ثم يقول : « يظهر ان العرب قلما اهتموا لهذا الفن في صدر دولتهم ولا التفقوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم^(٤) » وكان من المتوجب تقديم رأي النقادة ابن الاثير في خاتمة كتابه « المثل السائر » على جميع هذه الآراء . فقد اشار في حديثه عن الفروق بين الكتابة والشعر الى ان

(١) توفيق الحكيم - تحت شمس الفكر ص : ٧٤ و ٧٥

(٢) حسن الزيات - الادب العربي ص : ٢٤٧

(٣) جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ٣٥

(٤) جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ٢٩١

الشاعر في لغة العرب اذا احتاج الى الاطالة فانه لا يجيدُ في جميع ابيات قصيدته بل في القليل منها ؛ اما الكاتب فيمكنه الاجادة في ذلك كله . قال :

« وعلى هذا فاني وجدتُ العجم يفضلون العرب في هذه النكته المشار اليها . فان شاعرهم يذكرُ كتاباً مصنّفاً من اوله الى آخره شعراً وهو شرح قصص واحوال . ويكون ، مع ذلك ، في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم ، كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه . وهو ستون الف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس . وهو قرآن القوم . وقد اجمع فصحاؤهم على انه ليس في لغتهم افصح منه . وهذا لا يوجد في اللغة العربية ، على اتساعها وتشعب فنونها واغراضها ، وعلى أن لغة العجم بالنسبة اليها كقطرةٍ من بحر^(١) . »

ومثل هذه الآراء كثيرٌ غيرها وكلاء تنطق بان العرب لم يعرفوا فن القصة ولم يحسبوه فناً ادبياً قائماً بذاته ولم يلتفتوا الى التراث القصصي اليوناني ليترجموا بعضه كما فعلوا في الفلسفة والعلوم اليونانية .

ولو جئت تسأل هؤلاء النقاد عن الاسباب التي حدت بالعرب الى عدم التفاتهم الى الفن القصصي والى عدم اهتمامهم بترجمة الكتب الادبية اليونانية الى اللغة العربية لاجابوك باجوبة كثيرة وادلو اليك باسباب عديدة قد يكون بعضها وجيهاً نلخصها فيما يلي :

اولاً : قلة الاساطير : « .. فالعربي غير عميق في تخيله وهو الذي استوطن الصحراء المجردة وعاش عيشة بدوية لا يعرف له مسكناً الا بيوتاً من الشعر ، ثروته ناقته او عنزته ، دائم الارتحال يسعى وراء المرعى ، قنوع بالقليل ، لا تكتنفه غير الرمال الشاسعة فلذلك نشأ قليل الاساطير ومن ثم قليل القصص لاتصال الاولى بالثانية^(٢) . »

ثانياً : ليس فوق الادب العربي ادب : هذا كان اعتقاد العربي في ادبه وربما لا يزال بعضنا يعتقد هذا الراي الى اليوم . لقد اهتم العرب بترجمة الكتب العلمية والفلسفية من اللغتين اليونانية والفارسية ولم يترجموا الكتب الادبية وخاصة عن اليونانية لأنهم كانوا يعتقدون ان لهم في آدابهم غنى عن آداب غيرهم من الشعوب .

ثالثاً : العرب اهل بديهة وارتجال : « ان مزاوله القصص تقتضي الروية والفكرة

(١) ابن الاثير — المثل السائر ص: ٥٠٢

(٢) محمود تيمور — نشوء القصة وتطورها ص: ١٨

والعرب اهل بديهة وارتجال ، وتطلب الامام بطبائع الناس وقد شغلوا بانفسهم عن النظر فيمن عداهم ، وتفتقر الى التحليل والتطويل وهم اشد الناس اختصاراً للقول واقلهم تعمقاً في البحث^(١) .

رابعاً : ذكر الآلهة والاصنام : ان كثرة الآلهة وذكر الاصنام في الالياذة منعهم من نقلها الى اللغة العربية خوفاً منها على عقائدهم الدينية^(٢) . وهنا يخطر ببال الباحث جرجي زيدان اعترض على هذا السبب فيقول :

« ولكن في الشاهنامة ايضاً كثيراً من ذلك (اي من الآلهة والاصنام) فلم يمنعهم من نقلها . لكن الترجمة ضاعت^(٣) »

والآن نتساءل : لماذا يترجم العرب الشاهنامة ولا يترجمون الالياذة ؟ وهل تذوق العرب شاهنامة الفرس التي ترجموها ؟ بل هل اثرت هذه الشاهنامة في ادبهم والى اي حد ؟

لا شك في ان تأثر العرب بالفرس وبآدابهم كان اشد من تأثرهم باليونان وآدابهم . فالشاهنامة التي يقول عنها زيدان انها « ترجمت وضاعت قد وجدت منها نسخ عديدة ونشرت بعناية الاستاذ عبد الوهاب عزام^(٤) وليس من المستبعد ان يترجم العرب شاهنامة الفرس وغيرها من كتبهم الادبية والتاريخية كخداي نامه او سير الملوك ، وكتاب التاج في سيرة انوشروان كما سنرى ، لاسيما وان العربي ، ذلك المحافظ على ادبه ومجتمعه وعاداته المقدسة قد جاءه الدين الجديد بنظم جديدة وتعاليم جديدة هيأت لهذا الدين سبيل الانتشار فانتشر ومهدت له الفتوحات طريق السيطرة فسيطر على الدولة الفارسية سيطرة فعالة فذابت في جسم الدولة العربية حتى كادت تصبح الحياتان حياة واحدة ، مما سهل امام العرب الامتزاج بالفرس امتزاجاً كلياً ، كانت ثماره تذوق العرب حياة الفرس الاجتماعية واخذهم عنهم الشيء الكثير^(٥) . . .

(١) حسن الزيات — تاريخ الأدب العربي ص : ٢٤٧

(٢) زيدان — تاريخ آداب اللغة ج ٢ : ٣٥ ومحمود تيمور ص : ٢٤ واحمد امين — ضحى الاسلام ١ : ٢٨١

(٣) زيدان ج ٢ : ٣٥

(٤) راجع مقدمة الشاهنامة ج ١ : ٩٦ نشر عبد الوهاب عزام تجدد الترجمة لقوام الدين الفتح بن علي بن محمد الننداري الاصفهاني . ترجمت في اوائل القرن السابع هجري .

(٥) احمد امين — فجر الاسلام ص ١٦٤ و ١٦٥ تجدد تفصيلاً لهذا القول

اما اليونان فلم يعرفهم العرب هذه المعرفة الحميمة، ولم يحتكوا بهم هذا الاحتكاك المولد، فلم يفتحوا لهم صدورهم، خاصة وان القوم لم يصل اليهم قبس الدين الجديد فيقرّبهم من العرب. زد على ذلك ان الترجمات عن اليونانية كانت تتّرجم الى السريانية أولاً ومنها الى العربية^(١).

ويجد احمد امين لضعف هذا التأثير اليوناني في الادب العربي، فوق هذه الاسباب التي ذكرناها اسباباً اخرى اهمها :

« ان الفلسفة والعلوم عالمية والادب قومي، ذلك ان الفلسفة والعلم نتاج العقل والادب لغة العواطف، وليس للعواطف منطق يضبطها^(٢) ». ويقوده هذا الزعم الى الاستنتاج « ان العرب تذوّقوا منطق ارسطو وطب جالينوس ولم يتذوّقوا الياذة هوميروس ». ولكن هذا الكلام لا يجيب على سؤالنا وهو : « لماذا تذوّق العرب ادب الفرس فتزجّموه ؟ » أيكون لهذا الامتزاج الفارسي العربي الذي اشرنا اليه اثره في ذلك ؟ قد يكون . . .

ويلاحظ الباحث في الادب العربي طغيان الشعر طغياناً جارفاً بما حمل ادباءهم الأقدمين ونقادهم على القول : « ليس احد من العرب، الا وهو يقدر على قول الشعر طبعاً رُكّب فيهم، قلّ او كثو^(٣) ». فلعل انصراف العرب الى قرض الشعر « والشعر لا يحتاج الى خبرة في الحياة بل ربما احتاج الى جهل بها^(٤) »، اقول لعل انصرافهم الى الشعر صرفهم عن الاشتغال بغيره من ضروب الأدب، فوقفوا كل نبوغهم ووجّهوا جلّ قواهم « الى قول الشعر وبلاغة المنطق، وتشقيق اللغة وتصاريف الكلام^(٥) » على حد تعبير الجاحظ .

ان العرب عرّفوا الفصحة

والغريب ان هناك قوماً من المستشرقين والباحثين العرب لا يُقرّون هذه الآراء

(١) J. Hell - The Arab Civilization p: 87.

(٢) احمد امين — ضحى الاسلام ج ١ : ٢٨٠ و ٢٨١

(٣) ابو الفرج الاصفهاني — الاغاني ج ٢٠ : ٥١

(٤) ديهامال — دفاع عن الادب ص: ٧٨ ترجمة محمد مندور

(٥) الجاحظ — رسائل الجاحظ ص: ٤١

في تفاصيلها ولا يقولون بها كلها بل يقفون الى جانب التراث القصصي العربي ، مدافعين
يصدون عنه نهجيات النقاد مندفعين الى القول : « كما ان اوروبا مدينة بديانتها لليهود ،
فكذلك هي مدينة بقصصها للعرب »^(١)

وقد حاول المستشرق جب ، مدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة اكسفورد ، ان
يظهر اثر الادب العربي في الآداب الغربية وخاصة ادب القصة في القرون الوسطى
فوفق توفيقاً كبيراً الى ذلك في بحثه القيم في كتاب تراث الاسلام . وللبارون
كارادوفو بحوث مطوّلة في الحكايات العربية الكثيرة وهو القائل :

« Dans le genre des Contes la littérature arabe n'est dépassée
par aucune autre. »

اي « انه لم يسبق الادب العربي ايّ ادب آخر في نوع الاقاصيص »^(٢) . وهذا
صحيح الى حد بعيد وقد درسنا ذلك في بحثنا عن القصص الاخباري كما سيأتي .

وشجعت هذه الافوال بعض ادبائنا المحدثين فقالوا : « ان امة تبدع حكايات الف
ليلة وليلة ، هي امة القصة » في دمهـا^(٣) . ولكن هل ابدعت الامة العربية حكايات
الف ليلة وليلة ؟ هذا يحتاج الى درس مستقل قائم بذاته .

هذا عرض سريع لمختلف الآراء في نتاج العرب القصصي ، الموضوع والمترجم .
ولهذه الآراء من ناحيتها ، السلبية والايجابية ، قيمة لا يستطيع الباحث المدقق ان
يتجاهلها او يقلل من اهميتها . فالعرب عرفوا القصة وان حسبوها على هامش الأدب
ووضعوا الكتب القصصية الكثيرة ، ولو غير بالغة حد الكمال . والعرب اقبلوا على
تراث الامم التي احتكوا بها وامتزجت حياتهم بحياتها فترجموا ادب الفرس وان كانوا
لم يهضموه في مجموعته ، واعتمدوا في ترجماتهم القصصية على اقاصيص الهند دون ان
يتشربوا روحها . فمن الاجحاف ان نرمي العرب ، في كل ساحة تسنح ، بالنقصير العلمي
والتفكير السطحي دون ان نتمتع في دراسة اثارهم الفكرية ، ونخصص في مختلف
حقول هذه الآثار ، مسلحين بأسلحة العلم الحديث ، نخصص تخصصاً علمياً نزيهاً يؤهلنا
ان نصدر احكاماً نهائية تساعدنا على اصلاح حاضرنا وبالتالي مستقبلنا . لقد أخذ

(١) مكثيل — تراث الاسلام ص: ١٧٤

(٢) Carra de Vaux - Penseurs de l'Islam, N: I p: 359.

(٣) منير بلبكي — العروة الوثقى - كانون الثاني ١٩٣٩

العرب عن غيرهم من الامم ما اخذوا ، وتأثروا بهذه الامم تأثراً يتفاوت في العمق والمقدار، ثم اعطوا من نتاجهم ايماء كثيرة اخرى ، واثروا فيها آثاراً عظيمة، وخاصة في القرون الوسطى . وكان لهاتين الحركتين ، الاثر والتأثر ، فوائدهما وتفاعلهما في الجسم العربي والنفس العربية . واليوم ونحن نريد ان نعرف ما لنا وما علينا ، يجب ان ننصب على هذا التراث في مختلف نواحيه وندرسه بعين مجردة عن الغرض وقلب خال من الهوى ، متعمقين ، مقارنين ، محاولين ان نستفيد من اخطاء الماضي لاصلاح الحاضر ، لا ان نعمل على نبش القبور وطرح العظام النخرة على جادة الطرق في وجوه الناس !.. على هذا المنهاج أسير في دراستي القصص العربي في العصر العباسية، وهي مدة من الزمن طويلة ، ان اختلفت في حكايها السياسيين واحزابها الكثيرة فهي لم تختلف اختلافاً بيناً في آدابها وروحها ومزاياها الفكرية العامة .

انواع القصص العربي

ان التراث القصصي العربي يقسم الى قسمين رئيسيين :

١ - القصص الموضوع : اي الذي وضعه العرب

٢ - القصص الدخيل او المنقول .

والمنقول يقسم بدوره الى اقسام وهو ليس موضوع بحثنا في هذه الرسالة . لذلك فنحن نخصه، في هذه المقدمة، بدرس موجز لنطلع على الاسس التي يقوم عليها ولنتعرف الى مصادره المختلفة .

اما المصادر التي استمد منها هذا القصص الدخيل فاهمها :

الفارسية والهندية ، واليك جدولاً باسماء الكتب القصصية التي نقلت عن الفارسية وآخر باسماء الكتب التي نقلت عن الهندية :

القصص الفارسي

١ - كتاب كليله ودمنة - وسيأتي الكلام عنه بالتفصيل

٢ - هزار افسانه - ومعناه الف خرافة وهو اصل من اصول الف ليلة

٣ - كتاب يوسفاس

- ٤ - كتاب خرافة ونزهة .
- ٥ - كتاب الدب والثعلب .
- ٦ - كتاب روزبه اليتيم
- ٧ - كتاب غرود
- ٨ - كتاب مزدك

القصص الهندي :

- ١ - كتاب سندباد الكبير والصغير
- ٢ - كتاب بوداسف
- ٣ - كتاب كليلة ودمنة - وسنرى ان اصله هندي ثم ترجم الى الفهلوية ومنها الى العربية .
- ٤ - كتاب الهند في قصة هبوط آدم
- ٥ - كتاب ملك الهند القتال والسباح
- ٦ - الف ليلة وليلة - وبعض حكاياتها هندية الاصل كما سنرى .

القصص اليوناني :

اما القصص اليوناني فلم يترجم منه شيء يستحق الذكر كما تقدم معنا .
هذه هي اهم الكتب القصصية المنقولة عن اللغات الاجنبية الى اللغة العربية، ولكن لم يصلنا منها الا القليل واشهرها : الف ليلة وليلة وكتاب كليلة ودمنة وسيأتي الكلام عنها .

القصص الموضوع وافسانه

وقبل ان ابحت في القصص العربي الدخيل احب ان اضع بين يدي القارئ جدولاً بالحكايات التي وضعها العرب فكانت نتاجاً عربياً صرفاً . وهي كثيرة ومتنوعة . لذلك فلقد قسمتها الى خمسة اقسام رئيسية تقسم بدورها كما يلي :

- ١ - القصص الاخباري
- ٢ - القصص البطولي

- ٣ - القصص الديني
 ٤ - القصص اللغوي او المقامات
 ٥ - القصص الفلسفي

واليك الآن الحكايات التي تدخل تحت كل قسم من هذه الاقسام :

- ١ - القصص الغنائي
 ٢ - القصص الحبي
 ٣ - القصص الفخري
 ٤ - القصص المهجائي الخ . الخ .
- ١ - القصص الاخباري ويدخل فيه

وسياتي الحديث عنه مفصلاً .

- ١ - قصة عنصرة
 ٢ - قصة بكر وتغلب
 ٣ - قصة البراق - عمر بن شبة
 + سنة ٢٦٢ هـ
 ٤ - قصة كسرى انوشروان - بشر
 الاسدي
- ٢ - القصص البطولي ويدخل فيه

- ١ - كتاب قصص الانبياء للكسائي
 - القرن الخامس
 ٢ - كتاب العرائس للشعبي + سنة
 ٤٢٧ هـ ؟
 ٣ - بعض الحكايات الدينية القصيرة
 المطبوعة على حدة
- ٣ - القصص الديني ويدخل فيه

- ١ - مقامات الهمذاني + سنة ٣٢٨ هـ
 ٢ - مقامات الحريري + سنة ٥١٦ هـ
- ٤ - القصص اللغوي ويدخل فيه

١ - التوابع والزوابع - ابن شهيد

+ ٤٢٦ هـ ؟

٢ - رسالة الغفران - المعري + سنة

٤٤٩ هـ

٣ - حي بن يقظان - ابن الطفيل

+ سنة ٥٨١ هـ

٤ - الصادح والباغم - ابن الهبّاريّة

+ سنة ٥٠٤ هـ ؟

٥ - القصص الفلسفي ويدخل فيه

وعندي ان كل قسم من هذه الاقسام الخمسة يتطلب بحثاً قائماً بذاته لذلك فلن نتناول في رسالتنا هذه الا الابواب الثلاثة الاولى لان هذه الابواب الثلاثة هي الصق بحقيقة القصة من البابين الاخيرين ولان البحث العلمي المستفيض في جميع هذه الاقسام يتطلب كتاباً ضخماً قد لا تكون هذه الرسالة الا جزءه الاول .

اما في المقدمة فساخص بحثي في القصص العربي الدخيل ، محاولاً ان اعرض آراء بعض المستشرقين والنقاد الذين درسوا هذا التراث القصصي درساً علمياً نستطيع بواسطته ان نحكم على قيمة هذا التراث ، ادبياً وفنياً ، فنرى اثر العرب فيه وهل تذوقوه ؟ والى اي حد ؟ ولقد اخترت من هذه الآثار القصصية المترجمة الف ليلة وكليلة ودمنة لانها الاثران البارزان في القصص العربي الدخيل .

الف ليلة وليلة

تسميتها : ان اول من ذكر اسم الف ليلة وليلة من المؤرخين العرب هو المسعودي في كتابه « مروج الذهب » وهو من مؤرخي القرن الرابع للهجرة + سنة ٣٤٦ هـ قال :

« ... ويقال له (اي لكتاب الف ليلة وليلة) إفسانة وتفسيرها خرافة بالفارسية ، والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ، وجاريتها شهرزاد ودينارزاد^(١) . »

(١) المسعودي — مروج الذهب ج ١٧ : ٨٩

اما الذي بحث في اصل هزار افسانة وفنّد اصله فابن النديم صاحب كتاب
الفهرست قال :

« ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد. فتزوج
بجارية من اولاد الملوك لها عقل ودراية ، يقال لها شهرزاد ، فلما حصلت معه ، ابتدأت
تخرّفه وتصلُ الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة
الثانية عن تمام الحديث الى ان اتي عليها الف ليلة ، الى ان رزقت منه ولداً اظهرته
واوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها^(١) . »

هذا هو المشهور عن تسميتها عند العرب . اما بعض المستشرقين فيزيدون على هذا
بعض الآراء المضحكة في سبب تسميتها باسم الف ليلة وليلة فيقول احدهم مثلاً . « ان
الف ليلة وليلة سميت بهذا الاسم لان العادة حرمت على المسلمين ان يقصوا حكاياتهم
الخرافية في النهار . وقد سرى اعتقاد بين اوساط الشعب ، وخاصة بين اولاد القصاص
ان من يخالف هذه القاعدة يُصاب بشر كبير^(٢) . »

وراج اعتقاد آخر عند بعض الكتاب فحواه ان العرب في القرنين الرابع والخامس
عشر كانت لهم آراء خرافية كثيرة في كتاب الف ليلة وليلة منها ان كل من يقرأه
يموت او يصاب بضرر شخصي كبير .

اصول الف ليلة وليلة : اختلف العلماء المستشرقون في اصول الف ليلة وليلة اختلافاً
كبيراً . وليس في استطاعة الباحث ان يصل الى نتيجة حاسمة في هذا الموضوع
يطمئن اليها فكر الاديب ويرتاح اليها ظن العالم . انما باستطاعتي ان اقرر مطمئناً الى
ان كاتب الف ليلة وليلة هو اكثر من شخص واحد بل ان كتبها كثيرون عديدون
مختلفون في بلدانهم وتفكيرهم وجنسياتهم . فالذين فرضوا ان الف ليلة وليلة هي
عربية الاصل او من ابداع العرب فقط ، قد اخطأوا ولو ان اللون العربي فيها هو من
ابرز الوانها . ان حكاياتها التي تحمل الطابع العربي ليست عربية في اساسها رغم انها
معروضة بأسلوب عربي .

لقد استطاع الذين تخصصوا في دراسة هذا الاثر الفني الادبي ان يرجعوا كل حكاية

(١) ابن النديم — الفهرست ص : ٣٠٤

(٢) Chauvin V. - Bibliographie des Ouvrages Arabes T. IV p : 10.

الى اصلها . « فاطار الف ليلة وليلة يرجع الى الهند لا الى فارس^(١) » كما ان بعض حكاياتها من اصل يوناني ومن هذه الحكايات حكاية السندباد البحري المشهورة التي يعتقد دوفو في امكانية تأثرها بالادب اليوناني ، فيقول عنها :

« De tels sentiments honorent le monde islamique qui ne passe cependant pas, pour avoir eu dans l'ensemble, un goût bien vif de la vie maritime. »

« ان مثل هذا الشعور يشرف العالم الاسلامي ، الذي أثر عنه ، على العموم ، ان ليس له تذوق صحيح للحياة البحرية^(٢) . »

ويؤكد هؤلاء العلماء ان بعض حكايات الف ليلة وليلة كتب في بغداد وان البعض الآخر كتب في القاهرة . فحكاية علي بابا والاربعين سارقاً مقتبسة عن حكاية مصرية قديمة قد تكون هي بدورها مقتبسة عن حكاية اخرى يونانية . وقد حلل بعض المستشرقين كثيراً من هذه الحكايات فوجدوها في روحها ومزايا بعض شخصياتها البارزة تتوافق وتجانس مع اخلاق الشخصيات القصصية اليونانية ، وعبقرية اليونان الادبية^(٣) .

ويذهب فريق آخر الى القول ان بعض الحكايات من اصل يهودي^(٤) .

نستنتج من كل ذلك ان الف ليلة وليلة هي مزيج من آداب مختلفة وثقافات مختلفة هضمها العرب هضمًا كلياً وصبغوها بلون عربي بارز. فهي وان كانت في بعض حكاياتها فارسية الاصل ، او هندية الاصل ، او يونانية الاصل فاصلها العربي يبقى مسيطراً سيطرة بارزة وهو ركن قوي من اركانها الاساسية . كذلك قل في الجو العربي الذي تجري فيه اكثر حوادثها فان هذا الجو يكسبها لوناً عربياً يجعلها مفخرة من مفاخر الادب القصصي العالمي .

واخيراً هناك من يدعي ان لبعض حكاياتها اصلاً تاريخياً حقيقياً^(٥) . «

(١) منير بعلبكي — اصول الف ليلة وليلة — رسالة مخطوطة في مكتبة الجامعة الاميركية .

(٢) Carra de Vaux - Penseurs de l'Islam T. II p: 50.

(٣) Carra de Vaux - Penseurs de l'Islam T. I p: 366.

(٤) احمد امين — ضحى الاسلام ١ : ٣٣٨

(٥) المقتطف مج ٢٩ : ٨٢٥

شهرتها وترجمتها

لقد حظيت حكايات الف ليلة وليلة بشهرة عالمية قلما توفرت لكتب عربية مثلها . ولست مغالياً اذا قلت انها ترجمت الى جميع لغات العالم . فالإيطالية واليونانية ، والفرنسية ، والرومانية ، والاسبانية ، والبرتغالية ، والالمانية ، والهولندية ، والفلمنكية ، والسويدية ، والدانماركية ، والاسلندية ، والانكليزية ، والروسية ، والبولونية ، والهنگارية ، جميع هذه اللغات عرفت الف ليلة وليلة في ترجمات عديدة مختلفة فتمكن ادباء العالم من ان يغرفوا من هذا التراث الادبي القصصي الشيء الكثير . وليس باستطاعة الباحث مهما كان دقيقاً ، ان يُلم باسماء جميع الادباء العالميين الذين تأثروا بالف ليلة وليلة . وهاك بعضهم على سبيل المثال :

من الألمان : فيلاند (Wieland) (١٧٣٣ - ١٨١٣)

بورجر (Burger) (١٧٤٧ - ١٧٩٤)

هافمان (Hoffmann) (١٧٧٦ - ١٨٢٢)

ميلر (Müller) (١٧٩٧ - ١٨٤٠)

خميسو (Chamisso) (١٧٨١ - ١٨٣٨)

بلاتن (Platen) (١٧٩٦ - ١٨٣٥)

من الانكليز : ستو (Stowe)

تنيسون (Tennyson) (١٨٠٩ - ١٨٩٢) وقد نظم قصيدة في

الف ليلة وليلة

ديكنز (Dickens) (١٨١٢ - ١٨٧٠) وهو ، كما يظهر لنا من

كتابه دافيد كوبرفيلد ، قد قرأ الف ليلة وليلة في حياته وتأثر بها .

وهناك ادباء كثيرون من فرنسيين وايطاليين ودانماركيين تأثروا بالف ليلة وليلة حتى قال جب في مجته الذي اشترت اليه سابقاً : « ان قصة شوسر (+ سنة ١٤٠٠) المسماة حكاية الفارس الغلام (Squire Tale) ليست غير واحدة من قصص الف ليلة وليلة (١) » وشوسر هو ابو الشعر الانكليزي وهو في الادب الانكليزي مثل دانتي في الادب الايطالي .

ولم يقف اعجاب الاوربيين بالف ليلة وليلة عند هذا الحد بل قام رجال التربية فيهم يعملون على جمع الحكايات الطريفة في حوادثها ، الشيقة في مفاجأتها ، المليئة بالوان الشرق ؛ تلك الحكايات الخصة الخيال التي توافق روح الاحداث ، فطبعوها على حدة طبعات جميلة ووضعوها بين ايدي احداثهم وطلاب مدارسهم فكان لهم كتاب علاء الدين والقنديل المسحور

وحكاية انيس الجليس

وحكاية ابي القاسم احمد البغدادي

وحكاية السندباد البحري وعشرات الحكايات غيرها . وكلها مهندبة لفظه ، متقنة طبعه ، محلى باجمل الرسوم مما يشوق الصغير والكبير الى القراءة والمطالعة . وكان اسرع الأهم الى اقتباس هذه الحكايات وعرضها للشبيبة ، الالمات والفرنسيون والانكليز .

وكان لالف ليلة وليلة اثر كبير في عالم الفن والتمثيل فاستغل موضوعاتها الشيقة شركات السينما في العالم المتمدن فاستطعننا ان نشاهد افلاماً سينمائية رائعة هي طرفة فريدة في عالم الفن نذكر منها « لص بغداد » الذي ، لا يستطيع العقل البشري ، مهما سما وحاول ان يبتعد عن الاساطير الخيالية والحكايات الخرافية ، الا ان يعجب بخياله الساحر وموضوعه الطريف .

ولا بد من التساؤل : ما هو الدافع الذي حدا بالأدباء الغربيين والمستشرقين الى ترجمة الف ليلة وليلة ؟ وما الذي حمل رجال العلم والفن على ان يستغلوا موضوعاتها ويستوحوها قطعاً من الفن خالدة ؟ قد يطول البحث لو جئت افند الجواب . ولكنني اكتفي بالقول : ان في الف ليلة وليلة عناصر عديدة دفعت الادباء العالمين للاهتمام بها وفي مقدمة هذه العناصر :

لونها الشرقي الجذاب ، وخيالها الطريف الساحر !!

كتاب كليله ودمنة

لن استطع في هذه المقالة ان ابحت بحثاً مسهباً في اقوال المستشرقين حول اصل هذا الكتاب ولن استطع ان اتعرض لجميع ما قالوه فيه . ذلك يحتاج الى كتاب قائم بذاته . ولكنني ساعرض لمحة سريعة لتاريخ الكتاب واثره الثقافي القصصى وشهرته العريضة التي خلدهت على مرّ الايام .

اصل الكتاب : يُرجع العلماء اصل كتاب كليله ودمنة الى الهند . وهم لا يختلفون في هذا اختلافهم في الف ليلة وليلة .

وهناك رأي في ان ابن المقفع ليس هو مترجم كليله ودمنة عن الفارسية بل هو الذي وضعه . ولكن هذا الرأي ضعفه علماء كثيرون ولم يأخذه حتى المؤرخون الاقدمون . فابن خلكان (+ سنة ٦٨١ هـ) دون هذا القول على سبيل الرواية فجاء البيروني وهو من علماء القرن الخامس الهجري (+ ٤٣٠ هـ) او ٩٧٣ م فاكد اصل كليله ودمنة الهندي وقال : « ان ابن المقفع زاد عليه باب برزويه ^(١) . اما الاصل الهندي القديم الذي نشير اليه والذي عنه نقلت الترجمة الفهلوية والترجمة السريانية ، فقد . ولكن طائفة من هذه الحكايات . جمعت في كتابين : الواحد هو :

« بنج تنورا » اي خمسة ابواب . والثاني هو : هيتو بادشا اي نصيحة الصديق . ويضيف بعضهم اصلاً ثالثاً يسمونه : مهاهاراتا ^(٢) .

نقل كليله ودمنة الى اللغة العربية : المعروف ان ابن المقفع هو الذي نقله من اللغة الفهلوية الى اللغة العربية لأسباب قد يكون منها تحلي ابن المقفع بمزايا الاديب الناضج الذي يُحسن لغتين جميلتين هما الفارسية والعربية فينقل من الأولى الى الثانية أهم آثارها الادبية الفكرية وفي مقدمتها كتاب كليله ودمنة .

ويرى بعض الذين يقرأون بين السطور ان ابن المقفع اراد ان يعظ المنصور وبعض حكام عصره الذين لم يعملوا على إطلاق الحرية السياسية ، بل كانوا يبطشون بقوة وبسرعة بكل من يسيئون به الظن ، فلم يجد احسن من هذه الوسيلة ، ترجمة كتاب

(١) مقدمة كليله ودمنة . طبع المعارف المصرية ص : ٣٦

(٢) O'Leary - Arabic Thought p : 108.

كليلة ودمنة الى العربية . فلعلّ هذه الاحاديث الحكيمية ، وهذه المواعظ الرشيدة وهذه الحكايات الطريفة التي يسردّها بيدبا الفيلسوف على دبشليم الملك الظالم ، تفعل فعلها في نفس ابي جعفر وبطائه فيخف بطشهم ويتروّوا في احكامهم ! مسكين ابن المقفع لقد ذهب ضحية ما كان يخشاه^(١) !!

وقيل ان هناك من نقله الى اللغة العربية غير ابن المقفع ، وسيأتي ذكر ذلك .

تسميته بكليلة ودمنة : لم يذكر المؤرخون او يتفق المستشرقون الذين بحثوا في كتاب كليلة ودمنة ، وعددهم غير قليل ، ان هناك كتاباً معروفاً بهذا الاسم (اسم كليلة ودمنة) ، كتاباً قائماً بذاته ، سواءً في الفهلوية القديمة او في السنسكريتية . وكل ما وجد من اصول هذا الكتاب الى الوقت الحاضر هو ما تقدّم ذكره . وقد سُمّي الكتاب كله « كليلة ودمنة » باسم ابني آوى اللذين هما محورُ القصص في الباب الاول : باب الاسد والثور^(٢) .

شهرته وترجماته

اشتهر كليلة ودمنة شهارة لا يقلّ عن شهارة الف ليلة وليلة فترجم الى لغات عديدة اذكر منها ما يلي :

- ١ - الترجمة التبتية - لم يعثر الا على قسم منها
- ٢ - الترجمة الفهلوية - اي الفارسية القديمة وقد ترجمت على زمن كسرى انوشروان وذلك في القرن السادس ميلادي . وقد ضاعت كما ذكرنا سابقاً .
- ٣ - الترجمة السريانية الاولى - وقد نقلت عن الفهلوية . ترجمها رجلٌ اسمه بود Budh نحو ٥٧٠ م باسم قَلِيلَجْ ودِمَنْجْ .
- ٤ - الترجمة العربية - وهي اهم الترجمات لانها حفظت الكتاب ومنها نقل الى سائر اللغات الحية .
- ٥ - الترجمة العربية الثانية - من الفهلوية الى العربية لعبدالله بن هلال الاهوازي نقلها يحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ

(١) احمد امين - ضحى الاسلام ١ : ٢١٨

(٢) بيدبا - كليلة ودمنة . مطبعة المعارف - مصر سنة ١٩٤١ ص : ٤٧

٦ - الترجمات المنقولة من النسخة العربية - لم يبق غير الترجمة العربية بين ايدي الناس وهي ترجمة ابن المقفع وعنهما اخذ العالم المتمدن الترجمات الكثيرة الآتي ذكرها :

١ - السريانية الثانية - نحو القرن العاشر ميلادي

٢ - اليونانية - سنة ١٠٨٠ م

٣ - الفارسية - سنة ١١٢٠ م

٤ - العبرانية الاولى - ?

٥ - العبرانية الثانية - القرن الثالث عشر

٦ - اللاتينية - القرن الثالث عشر

٧ - الاسبانية - ١٢٥١ م

٨ - الانكليزية - سنة ١٨١٩ م

٩ - الروسية - سنة ١٨٨٩ م

وتفرّع عن هذه الترجمات ترجمات أخرى الى الفرنسية والايطالية والسلافونية والتركية والالمانية والانكليزية والدانركية والهولندية وغيرها حتى بلغ عدد الترجمات جميعاً بضعاً وعشرين ترجمةً ترجع كلها الى العربية ، اما مباشرةً او بواسطة لغة اخرى^(١) .

ومن اراد الاطلاع على هذه الترجمات بالتفصيل فليرجع اليها فهي مصدّرة بمقدمات قيمة ودراسات علمية لهذا الاثر الادبي الجليل .

ومن جميل ما يروى عن ترجمة كليله ودمنة الفهلوية من اللغة السنسكريتية الحكاية التالية التي تروىها الشاهنامه وهذا ملخصها :

« جاء برزويه الحكيم الى انوشروان وقال :

ايها الملك اني قرأت في كتاب هندي أن في جبال الهند عشباً اذا رُكّب منه دواءُ فنثر على ميت ارتدّ حياً .. فجهزه انوشروان وسيّره الى الهند وبعث معه كتاباً الى الملك . فلما اخذ ملك الهند الهدايا وقرأ الكتاب جمع علماءه وسيروهم مع برزويه لطلب هذا العشب في الجبال ، فجمعوا كلّ ضربٍ من العشب وجربّوه ، فما احيا ميتاً .

(١) راجع الهلال مج ١٤ : ٤٠٧ تجد مقالا مفصلا في ذلك وعنه اقتبسنا هذه المعلومات .

فندم برزويه على ما جشم نفسه من مشاق السفر والطلب ، وتحير ماذا يقول للملك انوشروان ، ثم سأل من كان معه من العلماء : أتعرفون في الهند أعلم منكم ؟ قالوا نعم شيخنا يفضلنا علماً وسناً . فلما جاءه وقص عليه القصص قال :

اما الجبال فهي العلوم ، واما الموتى فهم الجهال ، واما العشب فكتاب في خزائن ملك الهند يسمى « كليله ودمنة » يحيي موتى الجهل . فاسرع برزويه الى ملك الهند يرجو ان يطلع على الكتاب . فاغتم الملك وقال : ما طلب احده هذا الطلب من قبل ولكننا لنضن على الملك انوشروان بشيء . وامر ان يؤتى بالكتاب وان يطلع برزويه عليه امامه حتى لا يظن احده انه نسخه^(١) ... »

فاذا صح هذا الزعم ، ونحن لا نميل الى صحته ، بطل الرأي السائد في ترجمة الكتاب الى الفهلوية وفحواه ان الطبيب برزويه سمع بالكتاب ، وهو في بلاده ، فاستأذن الملك انوشروان للذهاب في سبيل استنساخه . وقد اذن له الملك وزوده بعشرين الف كيس في كل منها عشرة آلاف دينار... ولقي برزويه صعوبات جمة وعانى ضروباً من العذاب والنصب في سبيل الحصول على الكتاب ونسخه !! والمرجح ان كل هذه الحكايات ان هي الا مبالغات خيالية لتعظيم الكتاب واكبار عمل الحكيم برزويه ..

اثر كليله ودمنة القصصي الادبي

ولكي يتضح لنا اثر هذا الكتاب يتحتم علينا ان نبحث في هذا الاثر من وجوه عديدة :

اولاً : لقد اثر كليله ودمنة في شعراء كثيرين فنظموه شعراً وهذه هي بعض الترجمات الشعرية واسماء اصحابها :

١ - ترجمة ابن سهل بن نوبخت - وهي اول ترجمة شعرية ترجمها الشاعر يحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد . ونال عليها الف دينار . وقد ضاعت .

٢ - ترجمة ابان بن عبد الحميد اللاحقي صنفها للبوامكة . (توفي ابان + سنة ٢٠٠ هـ - سنة ٨١٦ م) . اعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر شيئاً وقال : « ألا يكفيك ان

احفظه فاكون راويتك ؟ » . وقد اطنب الاقدمون في محاسن هذه الترجمة ولكنها فقدت ايضاً .

٣ - ترجمة علي بن داود - كاتب زبيدة بنت جعفر وقد فقدت ايضاً .

٤ - ترجمة بشر بن المعتمر - وقد نبغ بشر هذا في ايام الرشيد والمأمون

٥ - ترجمة ابن الهبّارية - وهي اول ترجمة شعرية وصلتنا سنة ٥٠٢ هـ

٦ - ترجمة ابن المماتي - وهو من اقباط مصر اشتهر في القرن الثاني عشر ميلادي (+ سنة ٦٠٦ هـ - سنة ١٢١٠ م) ولا اثر لهذه الترجمة في المكاتب العالمية اليوم .

٧ - ترجمة عبد المؤمن بن الحسن - اشتهر في القرن السابع هجري او الثالث عشر ميلادي . وتقع هذه الترجمة في تسعة آلاف بيت رجز اولها :
الحمد لله العزيز الحاكم القادر الحي المريد العالم

٨ - ترجمة جلال الدين النقّاش - وهو احد شعراء القرن التاسع للهجرة .

هذه بعض ترجمات كيلة ودمنة الى اللغة العربية شعراً . وقد كان للكتاب اثر آخر في الكتاب العرب فالتفوا على منواله كتباً كثيرة منها :

١ - كتاب الصادح والباغم - لابن الهبارية وقد مر ذكره

٢ - كتاب سلوان المطاع في عدوان الطبّاع - لابن عبد الله القرشي المعروف بابن ظفر (+ سنة ٥٩٨ هـ) وقد طبع في تونس وببوت .

٣ - فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء - لابن عربشاه .

٤ - كتاب القائف لابي العلاء المعري وقد ذكره الحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون^(١) وقال : ان له ايضاً كتاب « منار القائف » يتضمن تفسيره في عشر كراريس .

ولم يقف تأثير كيلة ودمنة عند العرب في ناحيتي النظم والنثر بل تعدّى العرب الى غيرهم من الامم .

(١) الحاجي خليفة - كشف الظنون ج ٢ : ١٦٠

١ - فابو جعفر الرّودكي (+ سنة ٣٢٩ هـ) وهو اول شاعر فارسي عظيم ، نظم « كليلة ودمنة » شعراً فارسياً . وكان شعراء عصره يشهدون له بتقدمه عليهم فيقولون فيه : « انه لا نظير له بين العرب والعجم »^(١) .

٢ - والشاعر الظريف لافونتين الفرنسي قد تأثر الى حد بعيد في طائفة كبيرة من حكاياته الشعرية بكتاب « كليلة ودمنة » . وقد أشار الى هذا التأثير الادبي كثيرون من ادباء الغرب الذين درسوا لافونتين دراسة نقدية عميقة^(٢) .

ويثني الأستاذ جب على كليلة ودمنة ثناء طيباً مبيناً اثره في الادب العربي حتى في زمن الاحياء . فهناك آثار لاتينية كثيرة وتراجم انكليزية متعددة استمدت من هذا الكتاب ، فاستفاد منها كتّابهم وشعراؤهم وقصصيوهم وفي مقدمتهم : ماسنجر الانكليزي ولافونتين الفرنسي .

والحقيقة ان كتاب كليلة ودمنة بما يحتوي من حكايات قصيرة على السنة الحيوانات قد ادخل نوعاً جديداً على الادب العربي لم يكن لهذا الادب عهد به اذ ذاك .

ولقد استطاع هذا السفر القيم ، بما توفر فيه من مزايا ادبية كثيرة ، في مقدمتها هذه العظات الرشيدة ، والحكم السديدة ، وبما فيه من لغة عربية مشرقة البيان ، استطاع ان يحتفظ بمقام مرموق بين الكتب العربية ، وان يصل اليها ، جوهرة ثينة من سلسلة تراثنا القصصي الدخيل ؛ اقول تراثنا القصصي ، وانا عالم ان حكايات كليلة ودمنة لا تعتبر من صميم القصص . ولكن ذلك لا يمنعنا من اعتبارها كما هي : حكايات قصيرة ادبية ، حكيمه ، لها لونها الخاص وجوّها الخاص . زد على ذلك ان في كليلة ودمنة « حكمة الهند وجهد الفرس ولغة العرب »^(٣) .

نرى بما تقدم ، وقد كان البحث سريعاً خاطفاً ، رغم طوله ، ان هذين الاثرين القصصيين : الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، وكلاهما من القصص الدخيل على العرب ، قد لونها العرب بالوان عربية صارخة حتى بات من الصعوبة بمكان ، ان لم نقل من المتعذر ان نفرق بين اللون العربي فيهما وغير العربي . وهذا يعني لنا شيئاً كبيراً ، يعني ان

(١) الدكتورة حسن وغيره — كتاب نواح من الثقافة الاسلامية ص : ١٥٧

(٢) V. Chauvin — T : I p : 138. وايضاً : جب — تراث الاسلام ص : ١٨٧

(٣) بيدبا — كليلة ودمنة — المقدمة . طه حسين ص : ٨

العرب استطاعوا الى حدٍ ، ان يمتزجوا بالامم المتعدنة ، العريقة في مدنيتهما ، وان يقتبسوا عن هذه الامم بعض تراثها القصصي ، رغم ما كان يسيطر على تفكيرهم : من ان ادبهم هو محصور في الشعر وفي الشعر وحده !

هذا من ناحية . ونرى من ناحية أخرى ان الغرب في القرون الوسطى ، وفي مطلع نهضته الفكرية الادبية لم يستنكف عن الاحتكاك بالعرب احتكاكاً علمياً ثقافياً . فاقبل العلماء الغربيون يدرسون وينقبون حتى تمكنوا من الاطلاع على معظم النتاج العربي الفكري فترجموه الى لغاتهم وهضموه واقتبسوا منه ما لاءم اذواقهم اقتباساً يصعب على غير العالم المدقق تمييزه عن الاصل المقتبس عنه .

هذا بعض ما جرى للقصص الدخيل على الأدب العربي ، اما القصص العربي الاصيل فهو موضوع الفصول الثلاثة المقبلة من هذه الرسالة ..

الفصل الأول

الفصل الإخباري

أولاً : تعريفه

ثانياً : انواعه

ثالثاً : الحكايات الغنائية كمثل عنه

تأثير الغناء في القصص العربي

الحلفاء والمغنون

إحتقار الغناء والمغنين

اسماء بعض المغنين والمغنيات

شهرة المغنين والمغنيات

آلات الطرب

انواع الغناء

التأليف الغنائية الموسيقية

قيمة القصص الغنائي

مادة القصص الغنائي

فوائد القصص الغنائي

الفصل الإخباري

قسّمنا القصص العربي الصميم في مقدمة هذا البحث الى خمسة اقسام رئيسية ، في مقدمتها القصص الاخباري . فما هو هذا اللون من القصص ؟ وما هي انواعه المختلفة ؟
عينا بالقصص الاخباري تلك الحكايات القصيرة والاسماء الكثيرة ، والنوادر

الظريفة ، والاخبار المشتتة هنا وهناك ، لا يجمعها كتاب واحد من كتب الاصول ، لانها لم تدوّن في مكان واحد معين ، ولم يكتبها كاتب واحد معروف لغرض من الاغراض الادبية ، وانما هي روايات مختلطة الالوان ، متشعبة الاهداف ، متعددة الاغراض ، جمالها في ظرفها وخفة روح راويتها ، وادبها في رشاقة اسلوبها ونصاعة لغتها .

انواع القصص الاخباري

وتقسم هذه الحكايات الى انواع تتعدد بتعدد الاغراض والاهداف التي ترمي اليها ، فهناك القصص الفكاهي الذي لم يُروَ ولم يدون الا لثكته مستلحة وفكاهة مستظرفة .

وهناك القصص الاجتماعي وهو يصور المجتمعات العربية الى حد كبير بما فيه من صور صحيحة ، وعبارات ساذجة ، تمثل نفسية القوم اصدق تمثيل .

وهناك القصص الاسطوري او الخرافي ، وهو يدور على الاخبار الخرافية التي كان يتداولها العرب فيما بينهم ، وقد وصلتهم عن اسلافهم شفاهاً فدونها على علائها فجاءت ببساطتها وسذاجتها ومعانيها الحارقة ، مثلاً عن اساطير العرب وآلهتهم ومعتقداتهم في العصور القديمة .

وهناك القصص الفخري وموضوعه المشاحنات القبلية في العصر الجاهلي والاحزاب السياسية في العصر الاموي والاعصر العباسية ، كل تلك الاخبار التي رويت عن القحطانيين والعدنانيين ، عن ربيعة وقيم ، عن قيس وكنانة ، دونها الادباء العباسيون والمؤرخون . فالاصفهاني والطبري وابن عبد ربه والمبرد وابن الاثير ، والسيوطي وياقوت وكثير غيرهم جمعوا الشيء الكثير من مثل هذه الحكايات التي تُظهر الى حد كبير ، نفسية العرب ، وميلهم الى التفاخر . وكثيراً ما كانت تقودهم هذه المشاحنات الكلامية ، والاختلافات السياسية الى النيل من خصومهم بطرق شتى واساليب متنوعة فالعباسيون يسبون الامويين ويطعنون فيهم والشعوبيون يضعون الحكايات ويروون الروايات في اظهار مثالب العرب لتحقيهم واذلالهم . وكان المربد مركزاً للمهاجاة بين جرير والاخلط والفرزدق^(١) مما شجع على تداول الروايات في الطعن والشتائم

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ٧ : ٤٩

فكثرت هذه الاخبار الهجائية وكانت نواة للقصص الهجائي .

وهناك نوع آخر من الحكايات القصيرة او الاخبار المروية هو القصص التعليمي وان لم يكن هدفه الاساسي الوعظ والارشاد . فحكاية تنصر النعمان بن المنذر وضعت لتعطي درساً لهذا الملك فيترك عبادة الازثان الى عبادة الله الواحد^(١) . وحكاية المنصور وقد استفاد من نومه مرعوباً، اكثر من مرة، ليخبر خادمه الربيع ان آتياً اتاه يقول:

« كآني بهذا القصر قد باد اهلهُ وعُريَ منه اهلهُ ومنازلهُ
وصار رئيس القوم من بعد بهجة الى جدثٍ تبني عليه جنادهُ . »

لم توضع، في عرني، الا لاستخراج العبرة منها وقد حملوا الخليفة نفسه على استخراج تلك العظة فكتبها بفحمة على الحائط وهي :

« المرء يهوى ان يعيش وطولُ عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مرّة
وتخونه الايام حتى ما يرى شيئاً يسره
كم شامتٍ بي ان هلكتُ وقائلٍ : لله دره !! »^(٢)

ونرى الشيء الكثير من مثل هذه الروايات وقد وضعت لردع الجائر عن جوره وزجر المنافق عن نفاقه ، واسداء النصيحة لمن زاغ بصره عن الحق والصواب لعله يهتدي بعد ضلال . وبما لا شك فيه ان الوعظ والارشاد والتعليم الديني والخلق هي من اهم البواعث على تدوين مثل هذه الاخبار .

على ان اهم ما يلفت النظر من هذه الالوان القصصية المذكورة لوان آخران هما : القصص الغنائي والقصص الحبي ، وفيهما تظهر مزايا القصص الاخباري ظهوراً بارزاً اكثر من اي نوع آخر وذلك لسبيين على ما نعتقد :

اولا : كثرة هذا النوع من القصص وطغيانه طغياناً كبيراً على بقية الانواع التي مر ذكرها .

ثانياً : ميل الرواة ميلاً ظاهراً الى الاكثار من هذا القصص حملهم على الاعتناء به

(١) الاصفهاني — الاغانى ج ٢ : ١٧ و ١٨

(٢) جاد المولى — قصص العرب ج ١ : ١٠٤ و ١٠٥

اعتناء كبيراً فجاء جامعاً لمزايا القصص الاخباري جمعاً صحيحاً لذلك فقد اخترنا من هذين النوعين القصص الغنائي لدراسته وتحليله وتقدير قيمته القصصية الادبية فنكون قد قدرنا القصص الاخباري كله .

الفصل الغنائي

في العربي ميلٌ فطري الى الغناء والاستماع الى الصوت الجميل . وقد قيل : ان الشاعر الجاهلي اهتدى الى الشعر بواسطة الحذاء وراء الابل . والذي يهمننا هنا ان نثبت اثر هذا الغناء في العرب وانتشاره انتشاراً كبيراً مما حمل الخلفاء والعظماء على تشجيع المغنين وتقريبهم من بلاطهم واسباغ الاعطيات الكثيرة عليهم . كما يهمننا ايضاً دراسة هؤلاء المغنين وسبب شهرتهم وتحليل صفاتهم مع كلمة عن فنههم الغنائي وآلات الطرب التي كانوا يستعملونها لتساعدهم في تأدية اصواتهم . كذلك سنحاول ان نلم بالضرائب الذين كانوا يضربون على بعض هذه الآلات فيخرجون منها الاصوات الجميلة والموسيقى العذبة بالخانها الكثيرة ، ومدارسها المتعددة وتعاييرها العلمية ! ندرس كل ذلك كما جاء في سياق هذه الحكايات الغنائية المختلفة وكما يعكسه لنا هذا القصص الغنائي الذي تطفح به كتب الادب العربي القديمة !

تأثير الغناء في العربي

من بطالع هذه الحكايات الكثيرة عن تأثير الغناء في نفوس العرب ، عظمائهم وصعاليكهم ، يقف مشدوهاً ، محتاراً !! هل يصدق جميع ما يقال ؟ ام يقف من ذلك ، او من بعضه على الاقل ، موقف الشاك المتردد ؟

كان معاوية يعيبُ على عبدالله بن جعفر سماع الغناء ويستغفر الله عندما يسمع غناء حتى سمع ابن صياد يحرك اوتاره ويغني بشعر ابن عدي فقال : « لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الالحان ^(١) ! »

اما عطاء بن ابي رباح ^(٢) فكان يتعصب ضد الغناء والمغنين . « لقي مرة ابن سريج

(١) ابن عبد ربه — العقد الفريد ٣ : ٢٣٦ و ٢٣٧

(٢) عطاء ابن ابي رباح تابعي من الفقهاء ، يماني ، نشأ في مكة وهو مفتيها توفي سنة ١١٥ هـ

المغني وعليه ثياب مصبغة ، وفي يده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ويجذبها به كلما تخلفت ، فقال له عطاء : يا فتان ، ألا تكف عما انت عليه ؟ كفى الله الناس مؤونتك . فقال ابن سريج : وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي ؟ فقال له : تفقتهم بأغانيك الحبيثة . « حتى اذا استطاع ابن سريج ان يُقنع ابن ابي رباح بالسماح له اندفع يغني بشعر جرير فطرب ابن ابي رباح » واضطرب اضطراباً شديداً ودخلته اريحة وحلف الا يكلم احداً بقية يومه الا بهذا الشعر^(١) اي الشعر الذي غناه به ابن سريج .

وكثيراً ما كان يغنى على بعض ذوي العاطفة الرقيقة عندما يسمعون صوتاً جميلاً ، او كانوا يكادون يموتون فرحاً وسروراً لحسن الغناء من مثل ما روي عن سبيعة ابنة عبد الرحمن بن ابي بكرة وكانت من اجل النساء . قيل انها حجّت ، فلما انحدرت الى العراق استطاعت ان تسمع الى غناء جميلة بشعر عمر ابن ابي ربيعة ، وكان هذا الشعر تغزلا فيها فأغني عليها عدة مرات حتى رُش على وجهها الماء وثاب اليها عقلها^(٢) .

وهذه الحكايات التي تروى عن تأثير الغناء تطلعنا على ما كان لهؤلاء المغنين من سلطان على قلوب سامعيهم يتصرفون بهذه القلوب وفقاً لمشيئتهم وطبقاً لارادتهم .

فابن سريج يجبس الناس عن مناسكهم عندما ينقر على الدف متغنياً بشعر عمر ابن ابي ربيعة ، وكأن القوم عندما كانوا يستمعون الى صوته قد نزل عليهم السبات ، وادركهم الغشي ، فكانوا كالاموات ، يصغون اليه بأذانهم ويشخصون اليه اعينهم متطاولة اعناقهم^(٣) . وابن عائشة (+ سنة ١٠٠ هـ) يسير في الناس ، وقد سال العقيق فجاء بالعجب ، فلم يبق بالمدينة مخبأة ولا شابة ولا شاب ولا كهل الا خرج ببصره . « حتى اذا طلب منه ان يغني قال : ألمثلي يقال هذا ؟ علي عتق رقبة ان غنيت يومي هذا ! ولكنه كان يحمل على الغناء حملاً فيغني مائة صوت فيكبر الناس بلسان واحد تكبيرة واحدة ترتج لها اقطار المدينة^(٤) . »

والحكايات كثيرة عن عظماء العرب وخلفائهم وعلمائهم وعن تأثير الغناء فيهم

(١) الاصفهاني — الاغانى ج ١ : ١٠٠

(٢) الاصفهاني — الاغانى ج ١ : ١٠١

(٣) الاصفهاني — الاغانى ج ١ : ١٠٩

(٤) ابن عبد ربه — العقد الفريد ٣ : ٢٤٥

تأثيراً عميقاً كثيراً ما حملهم على الخروج عن عاداتهم المألوفة واعمالهم الطبيعية .

فاذا ما غنت احدى الجوارى سيدها ، وكان قاضياً ، غشيه من الطرب امر عظيم ، ولم يدر ما يصنع ، واخذ نعله فعلقها في اذنه ، وجثا على ركبتيه ، وجعل يأخذ بطرف اذنه ، والنعل معلق فيها ويقول : اهدوني الى البيت الحرام ، فاني بدنة !! حتى يدمي اذنه^(١) ! ويبلغ ذلك الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز فيلومه ويقول : قاتله الله ! لقد استرقه الطرب ، وبأمر بصره عن عمله . فيستاء القاضي من عمل الخليفة فيتعدها قائلاً : لو سمعها عمر لقال : اركبوني فاني مطية ! حتى اذا عرف عمر بهذا القول امر فاحضر القاضي والجارية وغنت بين يديه :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ، ولم يسمر بمكة سامر
بلى ! نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي ، والجدود العوثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طرباً بيناً واقبل يستعبدتها ثلاثاً ، وقد بليت دموعه لحيته ، ثم اقبل على القاضي فقال :

« ارجع الى عملك راشداً^(٢) . »

اما يزيد بن عبد الملك ، وكان صاحب لهو وذات ، فكانت تدمع عيناه عند سماعه غناء الغريض^(٣) .

كذلك حسان بن ثابت الانصاري . فانه كان يطرب عند سماعه غنة الميلاء حتى تنضح عيناه على خديه^(٤) .

وأروع من هذا وذاك ما حكى عن ابان ابن الخليفة عثمان بن عفان لما ولي المدينة على زمن معاوية قيل « إنه قعد في بهو له عظيم ، واصطف له الناس ، فجاء طويس المغني ، وقد خضب يديه غمساً ، واشتمل على دُف له ، وعليه ملاء مصقولة ، فسلم ثم قال : بابي وامي يا ابان ، الحمد لله الذي ارانيك اميراً على المدينة . اني نذرت لله فيك نذراً ، ان زابتك ان اخضب يدي غمساً واشتمل على دُفي وآتي مجلس امارتك واغنيك

(١) المسعودي — مروج الذهب ٢ : ١٧٠

(٢) المسعودي — مروج الذهب ٢ : ١٧

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ٨ : ١٢

(٤) النوري — نهاية الارب ج ٤ : ٢١٢

صوتاً . فقال يا طويس ! ليس هذا موضع ذاك . قال : يا بني انت وامي يا ابن الطيب
البحني . قال : هات يا طويس فحسر عن ذراعيه والقي ردائه ومشى بين السماطين وغنى :

ما بال اهلك يا رباب حذراً كأنهم غضاب !!

فصفق ابان يديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه وقال : يلوموني على
طويس^(١) ! .

اما الوليد بن يزيد فكثيراً ما كان يشاق الى معبد ، ومعبد (فحل المغنين)
فيحضر بين يديه ، فيأمر الخليفة ببركة تملأ ماء ورد ، قد خلط بالمسك والزعفران ويجلس
هو وراء الستائر ومعبد مقابله على حافة البركة ، وليس معها ثالث ، حتى اذا ما اطلق
معبد العنان لصوته الجميل ، رفعت الجوارى السجف وخرج الوليد فالتقى نفسه في
البركة فغاص فيها ثم خرج منها فاستقبله الجوارى بثياب غير الثياب الاولى ، ثم شرب
وسقى معبداً^(٢) .

كذلك كان الرشيد يجتمع الى امراء المغنين مثل ابن جامع وابراهيم الموصلى وابنه
اسحق وفليح والهربذي فيغنونه اطيب الشعر باعذب الالحان حتى يكاد يرقص من
النشوة ويستخفه الطرب حتى يضرب يديه ورجليه^(٣) .

فاذا كان هذا هو فعل الغناء وتأثيره في الخلفاء والعظماء فلا عجب اذاً ان يهيم القس
وكان اعبد اهل مكة في زمانه ، بحب سلامة بعد ان يسمع غناها ، حتى اصبحت
تنسب اليه فسميت سلامة القس^(٤) ولا غرابة في ان يفضل رجل من اهل القرى سماع
ابن عائشة على مائتي دينار وعشرة اثواب ، رغم عُدِمِه الشديد وفقره المدقع ، وشدة
حاجته الى المال والطعام^(٥) .

ولا ان يبيع الشيخ الزبيري شملته التي يستتر بها من العُري وتقيه حر القيظ وبرد
الشتاء ، ليشترى بشمها قربة جديدة لجارية مرت به وكانت تحمل قربة ، فطلب منها

(١) ابن عبد ربه — العقد الفريد ج ٣ : ٢٤١

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ١ : ٢٧

(٣) الاصفهاني — الاغاني ٦ : ١٥٠

(٤) الاصفهاني — الاغاني ٨ : ٦

(٥) الاصفهاني — الاغاني ٣ : ٧٣

ان تغنيه فغنته صوتاً فطرب وضرب بالقربة الى الارض فسحقها^(١)
 او ان يبكي شاعر كأبي العتاهية وينشج لسماع غناء مخارق ويلبس ثياب الصوف
 علامة التزهّد والتقصّف^(٢)

او ان يؤثر الغناء في اخلاق عبد اسود فظ فيحمله على الملاينة والملاطفة^(٣)

او ان يحلف رجل بطلاق امرأته الا ان يسمع غناء مخارق^(٤)

والاغرب من كل ما ذكر ان عبداً اسود ، وكان ذا صوت طيب ، كان يحمل
 الجمال احمالاً ثقلاً ويجدو بها فتقطع مسيرة ثلاث ليال في ليلة ، من طيب نغمته^(٥)
 وحدثوا كثيراً في اثر الغناء بما حمل بعض الرواة على القول :

« كان بعض السامعين يقات بالسماع ليقوى به على زيادة طيه ، كان يطوي اليوم
 واليومين والثلاثة ، فاذا تأقت نفسه الى القوت ، عدل بها الى السماع فاثار تواجده
 فاستغنى بذلك عن الطعام^(٦) . »

وليس غريباً ان يطرب شيخ بعد ان يسمع غناء احدي الجوّاري فيرمي بنفسه
 وبثيابه في الفرات حتى اذا ما استخرجوه من الماء ، بعد لأي ، سألوه : « يا شيخ ، ما
 حملك على ما فعلت ؟ اجاب : دبّ من قديمي شيء الى رأسي كدبيب النمل ، ونزل
 من رأسي مثله ، فلما اجتمعا على قلبي عملت ما عملت^(٧) . . . » اقول لا غرابة في ان
 تبدو مثل هذه الاعمال الغريبة على بعض العامة من الناس ، عند سماعهم الغناء الجميل ،
 وهم انما يرون الطبقة الراقية من المجتمع تتأثر بهذا الغناء الى حد بعيد ، ويرون ان بعض
 الخلفاء واولادهم ، وان بعض المحدثين والفقهاء والاشراف لا يستنكفون عن ان يغنوا
 هم انفسهم على مسمع من الناس . فمن الخلفاء الذين نسبت اليهم اصوات : عمر بن عبد
 العزيز والواثق بن المعتصم ، والمنتصر والمعتز والمعتمد ابناء المتوكل ، والمعتضد وكان

(١) الحصري — زهر الآداب : ١٥٦

(٢) الاصفهاني — الاغاني ٣ : ١٨٠ و ١٨١

(٣) المسعودي — مروج الذهب ٢ : ٢٧٠

(٤) الاصفهاني — الاغاني ٢١ : ١٥١ التقدم

(٥) النوري — نهاية الارب ٤ : ١٨٧

(٦) النوري — نهاية الارب ٤ : ٢١٧

(٧) النوري — نهاية الارب ج ٤ : ٢١٩

يصنع الحاناً يعارض بها الحان الفحول من قدماء المغنين ومحدثيهم . . . ويظهر لنا في هذا القصص الغنائي ان كثيرين من ابناء الخلفاء كان لهم باع طويل في الغناء .

فابراهيم بن المهدي « كان اشد خلق الله اعظاماً للغناء ، وحرصهم عليه واشدهم منافسة فيه . » وكان يُقبل على الغناء عن هوى ورغبة ملحة فلذلك كان يؤثر عنه قوله : « انما اصنع تطرباً لا تكسباً واغني لنفسي لا للناس فاعمل ما اشتهي . » حتى اذا عيب عليه افساد الغناء القديم قال . « انا ملك وابن ملك وانما اغني على ما اشتهي وكما التذت . » وكانت لابراهيم اخت جميلة الصوت ، حلوة الانشاد فقبل فيهما : « لم يُر في جاهلية ولا اسلام اخ واخت احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته عليّة (١) . » وعليّة هذه تعرف كيف تصل بين القلوب المتجافية بسحر صوتها وجمل شعرها وعذوبة الحانها ؛ اسمع الى هذه الحكاية :

« أُهديت الى الرشيد جارية في غاية الجمال ، فخلا معها يوماً واخرج كل قينة في داره واصطحب ، وكان من حضر من جواريه الغناء والخدمة في الشرب زهاء الف في جارية في احسن زي من كل نوع من انواع الثياب والجواهر ، واتصل الخبر بام جعفر فعظم عليها ذلك ، فارسلت الى عليّة تشكو اليها ، فارسلت اليها عليّة : لا يهولتك هذا ، والله لاردته اليك ، قد عزمت ان اضع شعراً واصوغ فيه لحناً واطرحه على جوارى ، فلا تبقي عندك جارية الا بعثت بها الي ولبسهنّ انواع الثياب ليأخذن الصوت مع جوارى ، ففعلت ام جعفر ما امرتها به . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد الا وعليّة وام جعفر قد خرجتا اليه من حجرتيهما ، معها زهاء الف في جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر ، عليهنّ غرائب اللباس وكلهن في لحن واحد هزّج صنعته عليّة وهو :

منفصلٌ عني وما قلبي عنه منفصلٌ
يا هاجري اليوم لمن نويتَ بعدي ان تصل ؟ !

فطرب الرشيد وقام على رجله حتى استقبل ام جعفر وعليّة وهو على غاية السرور وقال : لم ارَ كالיום قط يا مسرور ، لا تبقين في بيت المال درهماً الا نثرته ، فكان

ما نثر يومئذ ستة آلاف درهم ، وما سمع بمثل ذلك اليوم^(١) . وكان للرشيذ ابن يلقب بابي عيسى حسن الوجه والغناء وللمهدي ولد اسمه عبدالله له اصوات مذكورة ، قيل انه علم غلاماً اسود ، الضرب على العود حتى حذق فيه فاشتrote منه ام جعفر بثلاثمائة الف درهم^(٢) .

وكان للأمين ولد اسمه عبدالله ، غزل ظريف يقول الشعر ويلحنه .

وكان لابي عيسى بن المتوكل صنعة مقدارها اكثر من ثلاثمائة صوت .

ولابن المعتز علم بضاعة الموسيقى والكلام على النغم وعللها .

ويطفع كتاب الاغاني بالحكايات عن اشراف العرب وفقهائهم ومحدثيهم الذين اولعوا بالغناء واوتوا فيه قوة وبراعة . فابراهيم بن سعد ، وكان من العلماء الثقات المحدثين ، كان يبيع السماع ويضرب بالعود ويغني عليه ، وحدث له قصة حملته على ان يحلف ميمناً الا يحدث حديثاً حتى يغني قبله^(٣) ورويت هذه الابيات على انها من غناء مالك بن انس وقد اجتمع الى زمرة ومعهم دفوف ومعاظف وعيدان يغنون ويلعبون ومع مالك دُف مربع وهو يغنيهم :

سُليْمى ازمعت بينا واين لقاءها ايننا ؟
وقد قالت لاتراب لها زُهرٍ تلاقينا
تعالينا فقد طاب لنا العيش تعالينا^(٤)

وكان ابو دُلف العجلي شجاعاً عالي القدر عند الخلفاء يجيد الشعر والغناء كما انه كان جواداً ومدوحاً ، مدحه علي بن جبلة بقصيدة رائعة جاء فيها هذه الابيات :

انما الدنيا ابو دُلف بين باديه ومحتَضَره
فاذا ولى ابو دلف ولت الدنيا على اثره
كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منه مكرمة يكتسبها يوم مفتخره^(٥) !

(١) النوري — نهاية الارب ٤ : ٢٣٣ و ٢٣٤

(٢) النوري — نهاية الارب ٤ : ٢٤٠

(٣) النوري — نهاية الارب ٤ : ٢٤٧

(٤) النوري — نهاية الارب ٤ : ٢٤٨

(٥) النوري — نهاية الارب ج ٤ : ٢٥٠

وهناك كثيرون غير من ذكرنا نكتفي بالإشارة الى من مرّ معنا منهم لئلا نخرج عن بحثنا .

ولم يقف هذا القصص الغنائي عند حد العلماء والفقهاء ورجال الدين بل اعطانا صورة صادقة امينة عن حياة الخلفاء الاجتماعية المجونية وميلهم الى الفن والغناء والموسيقى .

الخلفاء والمعنوي

وانه لمن الحق ان نعتبر العصر العباسي افخم العصر الادبية العربية لهذا النشاط المعنوي الذي ظهرت بوادره في جميع مناحي الفكر . وليس هنا مجال البحث في الاسباب العديدة التي ساعدت على تنمية الفكر العباسي حتى نشط وازدهر ، ولكن لا بد من القول انه كان للخلفاء العباسيين او لاكثريتهم الساحقة ، على الاقل ، اليد الطولى في هذا النمو وذاك الازدهار . نكتفي الآن بلمحة سريعة خاطفة عن بعض هؤلاء الخلفاء وحياتهم الاجتماعية وقصورهم الخيالية التي كانوا يستقبلون فيها الادباء والشعراء والمغنين والمغنيات ، ندرس كل ذلك كما ينعكس لنا في هذا القصص الغنائي ولنبدأ بمؤسس الدولة العباسية ابو العباس السفاح .

السفاح (٧٥٠ م — ٧٥٤)

كان سفاحاً بطاشاً ورغماً ذلك فانه شجع الغناء والموسيقى . دفعه الى هذا التشجيع تقربه من الفرس وميلهم اليهم وارضاء لهم لان خلافة العباسيين قامت على اكتافهم . زد على ذلك ان السفاح كان يطرب ولكن من وراء الستارة على قول المسعودي . « وكان لا ينصرف عنه احد من ندمائه ولا من مطربيه الا بصلة من مال وكسوة ويقول : لا يكون سرورنا معجلاً ومكافأة من سرنا واطر بنا مؤجلاً » .

المنصور (٧٥٤ م — ٧٧٥)

ان الحكايات عن بغداد والمجتمع البغدادي في بذخه ومجونه ، في علومه وآدابه ،

في تبذيره واسرافه ، في تعهره وتزهده ، ان هذه الحكايات الكثيرة تكاد تكون من عجائب الاساطير التي لا يستطيع العقل البشري ان يصدقها !!
اما باني بغداد فهو المنصور بناها سنة ١٤٥ هـ او سنة ٧٦٢ م لتكون عاصمة المملكة العباسية فاصبحت عاصمة الشرق بل محتضنة العلوم والفنون والآداب . ولعل في ايام المنصور اسماء البرامكة فشجعوا رجال الفن والفكر تشجيعاً كبيراً . ورغم ما كان يشاع من ان المنصور ما كان ليتأثر بالموسيقى والغناء كغيره من الخلفاء ، لانه في زعم بعضهم ، عرف حكم الوادي وكان يستسرف ما يناله هذا المغني من صلات بني سليمان ابنا علي^(١) ، اقول رغم كل ذلك فان اخصاء ورجال بلاطه وابناء عمه شجعوا الموسيقيين وناصرهم حتى ان ابنه المهدي كان من اشد انصارهم ومشجعيهم .

المهدي (٧٧٥ - ٧٨٥)

كان بلاطه يعج بالموسيقيين منهم حكم الوادي وقد مر ذكره ، وسياط ، وابراهيم الموصلي . وكان المهدي ذا صوت جميل « لم يكن لاحد اجمل منه^(٢) » على حد تعبير ابن خلكان .

المهدي (٧٨٥ - ٧٨٦)

هو ابن المهدي لم يطل زمن حكمه . كان المغنيان ابراهيم الموصلي وابن جامع من اصدقائه ومقربيه . اما ابنه عبدالله فكان مغنياً ماهراً وكان يضرب على العود^(٣) . وقد مر معنا انه علم غلامه الاسود واسمه قلم ، الضرب على العود فاشتrote ام جعفر باغلي الاثان .

هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩)

ان حكايات الف ليلة وليلة بما فيها من خيال ظريف ساحر ، وبما فيها من وصف

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ٦ : ٦٧

(٢) ابن خلكان — وفيات الاعيان ٣ : ٤٦٤ راجع ايضاً فارمر ص : ٩٣

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ٩ : ٩٩

خارق ، جذاب تعكس لنا ، الى حد بعيد ، شخصية هذا الخليفة العظيم . لقد اشتهر في الشرق والغرب واصبح قصراه : الرقة والانبار حديث العامة والخاصة ، وكانا محط انظار العلماء والادباء والشعراء والمغنين فكثرت عنهما الروايات والاسمار والاحاديث واصبحتا محجة الكثيرين من مهرة المغنين امثال : حكم الوادي ، و ابراهيم الموصلی ، ابن جامع ، يحيى المكي ، زلز ، فُلج بن ابي العوراء ، عبدالله بن دحمان ، الزُبَيْر بن دُحمان اسحق الموصلی ، مخارق ، علوية ، محمد بن الحارث ، ابو صدقه ، برصوما ، محمد الزف وغيرهم .

الامين (٨٠٩ - ٨١٣)

يصوره المسعودي ، وقد مرت به ساعة من اشد ساعاته خطراً ، في ليلة قمرء ، جالساً على شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد ، في القبة التي كان اتخذ لها فرشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج الاخضر المنسوج بالذهب الاحمر ، وغير ذلك من انواع الابريسم . قدامه قدح بلور مخروز فيه شراب ينفذ ، مقدار خمسة ارطال ، وهو يدعو بعض ندمائه للاستئناس بهم وتغنيهم جاريته المفضلة ضعف^(١) !! .

ويبدو لنا هذا الخليفة ، من خلال هذه الحكايات الغنائية التي نقرأها عنه ، خليعاً يصرف ايامه مع المغنين والقيان . كان يقضي الليلة بكاملها في صحن مملوء بالشمع الكبير بين المئات من الوصائف وهن يغنين على الطبول والسرنايات :

هذي دنانيرُ تنساني فاذا ذكرها وكيف تنسى محباً ليس ينساها
والله والله لو كانت اذا برزت نفسُ المقيم ، في كفيه القاها^(٢) !!

وهو يجول ، لا يسأم ولا يضجر حتى الصبح !!

ورعى الامين عمه ابراهيم بن المهدي بعين عنايته ، وكان ابراهيم من امهر موسيقي عصره . « كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي ، وحسن المنادمة^(٣) بايعه اهل بغداد بالخلافة على زمن المأمون ابن اخيه (٨١٣ - ٨٣٣) لان المأمون ، لما كان بخرسان جعل ولي عهده عليا بن موسى الرضي ، وامر الناس بترك لباس السواد ، وهو

(١) مروج الذهب — المسعودي ج ٦ : ٤٢٧

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ١٦ : ١٣٨ و ١٣٩

(٣) ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ١ : ١٠

شعار العباسيين ، واستبداله بلباس الحضرة . فعزّ ذلك على بني العباس فنقموا على
المؤمن وخلعوه بعد ان بايعوا ابراهيم بالخلافة وناصروه كما مر معنا . ولدعبل الشاعر
ايات هجائية في ابراهيم ، تربنا مقدار اهتمامه بالموسيقى والغناء والمجون قال دعبل :

ان كان ابراهيم مضطلعاً بها (اي الخلافة) فلتصلحن من بعده لمخارق
ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل ولتصلحن من بعده للمارق
اني يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق^(١) !!

ولدعبل ايضاً في ابراهيم بما يؤكّد ميل هذا الخليفة للهو والمجون :

يا معشر الاجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية يلتذها الامرء والاشمط
والمعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفه البربط^(٢) .

وهذا الخليفة المتعبد للبربط كان شوكة في عين عمه المؤمنين عندما ثار عليه ، حتى
اذا ما ظفر به عفا عنه وقربه منه وصار يستمع الى الحانه بلذة وشغف . وقد اسس
المؤمن بيت الحكمة في بغداد ، وبيت الحكمة احتضن العلوم اليونانية على انواعها ،
فقام بنو موسى وكثيرون غيرهم من علماء العرب ، يعملون على دراسة هذه العلوم
وترجمتها واقتباس ما يصح اقتباسه الى اللغة العربية ، ومن ذلك الموسيقى ، فازدهرت
الفنون في ايامه وتقدمت شوطاً بعيداً .

المعتمد (٨٣٣ - ٨٤٢)

لم يقصّر عن بقية الخلفاء في تشجيع الفنون ورعايتها . ومن بين المغنين الذين عرفهم
بلاط المعتمد : احمد بن يحيى المكي ، زرزور الكبير ، ومحمد بن عامر الرومي .

(١) ابن خلكان — وفیات الاعيان ج ١ : ١١ مخارق وزلزل وابن المارق من المغنين .

(٢) الاصفهاني — الاغانى ج ١٨ : ٣٠

الوائق (٨٤٢ - ٨٤٧)

ويصلُ الفن الموسيقي العربي مع الواائق الى ذروته ، فلم يدخّر هذا الخليفة الفنان وسعاً في تشجيع الآداب عامة والفنون خاصة ، ذلك لانه كان فناناً يحسن فن الاغانى احساناً يحسده عليه الكثيرون من ممتهي الغناء في ذلك العصر . يذكر الاغاني للواائق اغاناً كثيرة تبلغ المائة صوت ويقول عنه « انه اعلم الخلفاء بالغناء ، واحذق من غنى بضرِب العود^(١) »

من الحانهِ المعروفة ابيات لعلي بن الجهم انشده اياها ابن ابي العيناء :

لو تنصّلت الينا لوهبنا لك ذنبك
ليتني املك قلبي مثل ما تملك قلبك
ايها الواائق بالله م لقد ناصحت ربك
سيدي ما ابغض العيش اذا فارقتُ قربك !

فاستحسنها الواائق وكافأ كلاً من الناظم والراوي بالف دينار ووضع فيها لحناً ذاع بين المغنين وانتشر !

ولقد لمع نجم اسحق الموصلي زمن الواائق فكان على رأس زمرة كبيرة من المغنين والضرّاب أمثال : مخارق ، علوية ، عمرو بن باني ، عبدالله بن العباس الربيعي ، ابراهيم بن سهل ، حسن المسدود . ويقول المستشرق فارمر في كتابه القيم عن الموسيقى العربية :

« بموت الواائق ينتهي الدور الاول من العصر العربية ، وهو عصر الاسلام الذهبي الذي ، يظهر التمدن الاوروبي الحديث ، مقارناً به ، مجرد توحش^(٢) » .

ومهما يكن من امر فان الحياة العلمية الفنية التي يعكسها لنا هذا القصص الغنائي حياة جديرة بالدرس والاعتبار . ولقد قام الخلفاء بقسطهم في تشجيع هذه العلوم وهذه الفنون سواء كان في المشرق او في المغرب . فعبد الرحمن الاول (٧٥٦ - ٧٨٨) مدوّن الاندلس لم يمنعه انغماسه العنيف في السياسة وامور الدولة من الاهتمام بالموسيقى

(١) الاصفهاني — الاغاني ٨ : ١٧٢

(٢) Farmer — A History of arabian Music p: 97.

ولقد سمع بالعجفاء ، وكانت عجوزاً كلفاء ، تحسن الغناء والضرب على العود فبعث من اشتراها له وجعلها مغنيته المفضلة^(١) .

الحكم الاول (٧٩٦ - ٨٢٢)

كان من الذين يقدرّون لذات الحياة واطايب المجتمع . فلقد وصفه لين بول في كتابه « الاسلام في اسبانيا » بقوله : لقد كان الحكم جذاً لا أنيساً يلتذ بالحياة كيفما جاءت دون اقل ميل نحو التزهّد^(٢) . « فظهر في بلاطه كثيرون من الموسيقيين امثال العباس بن النسيّ والمنصور وكان مغنياً يهودياً ، وغيرهما كثيرون ... »

وفي زمن عبد الرحمن الثاني (٨٢٢ - ٨٥٢) لمع نجم زرياب فكان يقاسم السلطان اكله ويرافقه في حله وترحاله حتى اصبح رئيس الموسيقيين دون منازع . وسيأتي الكلام عن زرياب ومدرسته .

وبما لا شك فيه ان العصر العباسية ، في حقباتها المختلفة ، لم تكن مزدهرة ازدهاراً واحداً في العلوم والفنون والآداب . فبعد ان عرفت هذه العلوم والفنون عصراً دُعِيَ بحق العصر الذهبي (٧٥٠ - ٨٤٧) عادت فتأخرت لاسباب كثيرة لا مجال لذكرها هنا . ورغم هذه الاسباب التي تراكمت فعملت في جسم الدولة العباسية هدماً وخراباً فانه ظهر خلفاء كثيرون شجعوا الفن الغنائي وعملوا جهدهم لحماية المغنين وتشجيعهم . فالمتوكل (٨٤٧ - ٨٦١) ناصب رجال الفكر العدا ، وخنق الحرية الفكرية ، وضيق امام العلماء والفقهاء مجال الاجتهاد والتفكير الحر بتقريبه احمد بن حنبل واعتماد فقهه دون سواه من الفقهاء الاربعة^(٣) . ورغم كل ذلك فقد كان يشجع المغنين لانه كان محباً للفنون . كذلك كان ابنه ابو عيسى . قيل عنه انه كان يقول : « اذا اتممت صنعة ثلاثمائة وستين صوتاً ، عدد ايام السنة ، تركت الصنعة^(٤) » .

ومن المغنين الذين ادرّكهم المتوكل ، اسحق الموصلي ، احمد بن يحيى المكي ، محمد بن

(١) الاصفهاني — الاغاني ٢٠ : ١٤٨ و ١٤٩

(٢) Lane Pole — Moors in Spain p: 74.

(٣) Farmer — A History of Arabian Music p: 139.

(٤) الاصفهاني — الاغاني ٩ : ١٠٤

الحارث ، عمرو بن بانة، عبدالله بن عباس الربيعي، اصوصة الأسود ، الحسن المسدود .
واشتهرت من المغنيات عُريب وشارية وفريدة ومحبوبة جاريته المفضلة .

اما المنتصر (٨٦١-٨٦٢) فكان شاعراً وموسيقياً ، كثيراً ما كان يخلو بالندماء والمغنين واصحاب الأُنس^(١) .

ولا تذكر المصادر الادبية التاريخية عن تذوق المستعين (٨٦٢ - ٨٦٦) للفنون شيئاً يذكر . ولكنّ لمحمد بن طاهر ، احد ولاته ، رأياً في الغناء والموسيقى يدل على حبه للغناء وميله الى الصوت الرخيم . قال مجيباً على سؤال وُجّه اليه : اي السماع افضل ؟ فقال : « اوتار اربعة ، وجارية متربعة ، غناؤها عجيب ، وصوتها مصيب^(٢) » .

وكان المعتز (٨٦٦-٨٦٩) موسيقياً وشاعراً اشهر مغنيه بُنان بن عمرو والحارث ، سليمان بن القصار ، وكان يحسن الضرب على الطنبور . ومن مغنياته شارية التي سبقت الاشارة اليها وقد الف عبدالله بن الخليفة المعتز كتاباً في اخبارها . وكان عبدالله هذا موسيقياً بارعاً « حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعللها^(٣)... » .

ويذكر الاغاني ان لعبدالله كتباً مشهورة في صناعة الغناء ورسالة طويلة ارسلها الى عبيد الله بن عبدالله بن طاهر في تغيير بعض الالحان فاجابه ابن طاهر :

« ولو ان الرسالة جبهت الابراهيمين : ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلبي ، وابنه اسحق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر وأُخرس الناطق^(٤) » .

ووصف المسعودي المعتمد (٨٧٠ - ٨٩٢) بقوله :

« كان المعتمد مشغولاً بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ، ومحبة انواع اللهو والملاهي^(٥) » . وكانت شارية من المغنيات المفضلة عنده . « كان قد وثق بها فلم يكن يأكل الا طعامها . » وقد كافأها يوماً ، على غناء جميل غنّته اياه بالف ثوبٍ مما لم يفعل مثله احد من الخلفاء قبله^(٦) .

(١) الاصفهاني — الاغاني ٨ : ١٧٦

(٢) المسعودي — مروج الذهب ٧ : ٣٤٨

(٣) الاصفهاني — الاغاني ٩ : ١٤١

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) المسعودي — مروج الذهب ٨ : ٨٨

(٦) الاصفهاني — الاغاني ١٤ : ١١٣

وكانت صنعة المعتضد (٨٩٢ - ٩٠٢) في الغناء صنعة يعتدُّ بها . قال ابو الفرج في الاغانى انه لم يجد لاحد من الخلفاء ، بعد الواثق ، صنعة يعتدُّ بها الا المعتضد ، فانه صنع صنعة متقنة ، عجيبة ، أبرزت على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق^(١) . وكان ابن طاهر يقرِّط صنعة المعتضد في الغناء ، وابن طاهر كما مرَّ معنا ، خبير « بعلوم الاوائل من الفلاسفة في الموسيقى^(٢) » . وهو صاحب كتاب (في النغم وعلل الاغانى المسمى كتاب الآداب الرفيعة) وهذا المؤلف « مشهور ، جليل الفائدة » على حدِّ تعبير الاغانى^(٣) .

امتناع الغناء والمغنين :

وليس لنا ، وقد عرضنا لتشجيع الخلفاء للمغنين ، وبعد ان رأينا النعم الكثيرة التي غمروا بها ، واقبال بعض الخلفاء على تعاطي الغناء ان نجزم بان المغنين كانوا من الشرف والاحترام في الذروة . فلقد كان هناك رجال الدين الذين يقفون بالمرصاد لكل من يحاول ان يشدَّ عن الطريق القويم . وكان هناك القضاة الذين كانوا ، بحكم وظيفتهم ، حماة للشريعة وذادة عنها . فكيف يتسامحون مع هؤلاء النفر من الناس الذين يفسدون اخلاق الفتيان ويغروهن على انفاق اموالهم وتبذيرها^(٤) ؟ كل هذا تجيب عليه هذه الحكايات الغنائية التي نحن بصدددها ، بشيء من التفصيل والشرح .

فاذا ما اقبل ابو يوسف القاضي وهو من اهل المهابة والفقه ، يحدث ابن جامع المغني ، وهو لا يعرفه ، نظر الناس اليهما وقالوا متعجبين : « هذا القاضي ابو يوسف قد اقبل على المغني^(٥) » حتى اذا انذر القاضي بالمغني وجاء هذا الاخير يسلم ، رد عليه القاضي السلام ، بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به وقال : إنا لله !!

ولعلنا لو تعمقنا في درس هذه الظاهرة من رجال الدين والعلماء نحو المغنين وازدراءهم لهم لوجدنا لذلك اسباباً يمكن حصرها فيما يلي :

اولاً : الاحاديث المختلفة عن النبي محمد في انه ما كان ليحب ان يسمع الى الغناء .

(١) الاصفهاني — الاغانى ٨ : ١٩٦ و ١٩٧

(٢) الاصفهاني — الاغانى ٨ : ٤٤ و ٤٥

(٣) الاصفهاني — الاغانى ٨ : ٤٥

(٤) الاصفهاني — الاغانى ٣ : ٨٨

(٥) الاصفهاني — الاغانى ٦ : ٦٩

ومن طريف ما يحكى من هذا القبيل ان ابن عمر ، وكان بصحبة نافع ، سمع زمماراً ، فوضع إصبعيه على اذنيه ونأى عن الطريق وقال : يا نافع : هل تسمع شيئاً ؟ قال نافع : لا . فرفع عندئذ إصبعيه من اذنيه وقال . كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمع مثل هذا ، فضع مثل هذا^(١) .

ثانياً : ان الحسد كان عاملاً كبيراً في احتقار المغنين والازدراء بهم والخط من مقامهم ومن صنعتهم لانهم كثيراً ما زاحوا العلماء والفقهاء الى قلب الخليفة فنالوا اعجابه وحازوا رضاه وخلوا به خلوات عديدة يحسدهم عليها الكثيرون من رجال البلاط المقربين ، فكيف بالعلماء ؟ ؟ لذلك رأينا الشعراء يهجون الخلفاء ويعيرونهم ويميلهم الى الغناء وضرهم على الآلات الموسيقية^(٢) .

وكان اهل العراق يعيرون الحجازيين لانهم اجازوا الغناء واشتهروا به وكانت المدينة معدن الغناء .

كذلك أثر عن الخلفاء الراشدين وبعض الأمويين ابتعادهم عن المغنين وكرههم الغناء اعتقاداً منهم انه يصرف الناس عن امور دينهم ويحمل اهل التقوى والتعقل على طلب اللهو والملاذات .

ولكن هذا الازدراء وهذا الاحتقار للغناء وللمغنين لم يكن سوى موجة ما ازبدت حتى تلاشت لان تيار الترف والعمران الاجتماعي الذي مرت به العصر العباسية كان قوياً صخباً لم تقف في وجهه مثل هذه الحواجز الواهية والعوائق الضعيفة . فالخضارة التي وصل اليها العرب في ذلك العصر حملتهم على طلب الراحة والملاذات والرخاء ومنها الغناء فاشتهر اكثر من خليفة في هذا الفن الجميل وشجع السلاطين والامراء في جملتهم اصحاب الاصوات الجميلة وقربوهم منهم واجزلوا لهم العطايا فلمعت اسماء الكثيرين من المغنين واصاب الكثيرون منهم شهرة واسعة وثروة ضخمة وها أنا ذا كره بعضهم لانهم كانوا نواة القصص الغنائي وحولهم انشئت الحكايات الغنائية الكثيرة التي ندرسها في هذا الفصل . ولنبداً ببعض المغنين الذين نشأوا وعرفوا في العصر الاموي وكان لهم اكبر التأثير في تشجيع الغناء ونموه في العصر العباسي لاسيما وان اكثرهم عاش في العصرين وبعضهم تمتع بخيرات الخلافة الاموية والعباسية وفي مقدمتهم :

(١) النوري - نهاية الارب ٤ : ١٦٥

(٢) راجع ايات دعبل في هجاء ابراهيم بن المهدي وقد مر ذكرها

طويس — وقد مر ذكره مع ابان بن عثمان بن عفّان وكيف احتضنه هذا الأخير وقبله بعد ان سمع غناؤه الرقيق. وطويس هو اول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق. وقد علم ابن سريج والدلال ونوّم الضحى^(١)

جميلة المغنية — وقد اشتهرت زمن سليمان بن عبد الملك (٧١٥ - ٧١٧ م) وتفيدنا الحكايات الكثيرة التي تطفح بها كتب الادب ان هذه المغنية كانت تعقد مجالس للغناء والأدب تغصّ بعيلة القوم واشرافهم. وكانت قد آلت الا تغنى احداً الا في منزلها فكان يقصدها حتى آل البيت احتراماً لقسمها هذا^(٢).

معبّر به وهب — وكان فحل المغنين وامام اهل المدينة في الغناء. كان له متعصبون يفضلونه على المغنين جميعاً وكان كثير الادلال بنفسه ، معجباً بها ، فخوراً بصوته وانغامه .

سائب الخازن — عاصر عبد الملك (٦٨٤ - ٧٠٥) وهو اول من عمل العود في المدينة وغنى به^(٣).

ابن سريج — وكان يفضل بركة صنعته وهو اول من ضرب بالعود على الغناء العربي بمكة .

الغريض — وقد اخذ الغناء عن ابن سريج فبرع فيه وفاقه .

ابن سميع — مولى لبني مخزوم وهو استاذ ابن سريج والغريض . ويخصه المستشرق فارمر ببحث مطول في احد كتبه الموسيقية ويعدد تأليفه الموسيقية المختلفة^(٤).

ابن محرز — وكان يلقب بصنّاجة العرب

عزة الميلاء ، عمر ابن داود ، رائقة ، سلامة ، ربيعة ، علوية ، زلزل ، ابراهيم الموصلي وكان اوحده زمانه في الغناء واختراع الالحان . عرف بانسه من اصحاب المدارس الغنائية^(٥).

(١) ابن عبد ربه — العقد الفريد ج ٣ : ٢٤١

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ٧ : ١٢٩

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ٧ : ١٨٨

(٤) Farmer — Historical facts p: 236.

(٥) بحسب المؤرخون ابراهيم الموصلي من المغنين المخضرمين راجع Ribera ص : ٣٤

هؤلاء هم أشهر المغنين في العصر الأموي . وليس لنا ان نسهب ، اكثر مما فعلنا ، في سرد الحكايات عن مغني العصر الأموي وتأثير غنائهم واشتهارهم ، لاسيما ، وان بحثنا قائم في الدرجة الاولى حول مغني العصر العباسي . ولكننا نستنتج ، ولا بد من ذلك ، من هذه الحكايات الكثيرة وهذا القصص الغنائي الذي يدور حول هؤلاء المغنين ان العصر الأموي قد عرف الغناء معرفة صحيحة وظهرت فيه اسماء الكثيرين من المغنين الذين حملوا لواء هذا الفن زمنًا طويلاً حتى اوصلوه الى زملائهم في العصر العباسي فتزعرع ونما في ظل القصور والبلاطات قصور الامراء والوجهاء وبلاطات الملوك والخلفاء . واليك بعض الاسماء التي مهتت العصر العباسي بطابعها الخاص واكسبته لونها الخاص :

اسمى الموصلي — وهو ابن ابراهيم . كان من أشهر ندماء الخلفاء . تفرّد بصناعة الغناء والموسيقى . واخباره لا تقل اهمية وروعة عن اخبار ابيه . وكلاهما يملأ كتب الادب العربي بالحكايات الغنائية الطريفة .

مكلم الوادي — كان يحسب من كبار المغنين العرب^(١) وهو معروف بفن الهزج

ابن جاعم

سياط — وهو استاذ بن جاعم ،

عريب ، شارية ، متيم ، دنانير ، ابراهيم بن المهدي وقد مر الكلام عنه ، المسدود وكان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر . وكان يقول : لو كان منخري الآخر مفتوحاً لاذهلت بغنائي اهل الحلوم وذوي الالباب وشغلت من سمعه عن امر دينه ودنياه ومعاشه ومعاده . اشتهر بصنعة عجيبة اكثرها الاهزاج واشتهر له هذان البيتان :

عجّ بنا نحن بطرف العين تفاح الخدود
ونسلى القلب عمن حظنا منه الكدود ! !

وكان يقول : والله لا تركت بعدي من يهزج^(٢) . لقب بالطنبوري ونبغ في بلاط الواثق والمتوكل والمنتصر .

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ٥ : ٩

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ٢١ : ٢٥٦

ابو بانه — كان تلميذ اسحق الموصلي والامير ابراهيم بن المهدي . كان اول ظهوره في بلاط المأمون . احسن الغناء والشعر واكنه لم يكن موسيقياً ماهراً . كان يذهب مذهب ابراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه ، ويخالف اسحق ويتعصب عليه تعصباً شديداً ويواجهه بذلك فينصره ابراهيم عليه . وكان تيّاهاً معجباً شديداً بالذهاب بنفسه وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم . كان يقول لاسحق : « ليس مثلي يقاس بمثلك لانك تعلمت الغناء تكسباً وتعلمته تطرباً ، وكنت اضرب لثلاث تعلمه وكنت تضرب حتى تتعلمه ^(١) » .

ابو عائشة — وكان تائهاً لا يغني الا خليفة او لذي قدر . ما كان يريد ان يقال له : غنّ : « اولمثلي يقال هذا ؟ » ^(٢)

فليح ابو ابي العوراء — احد الثلاثة الذين اختاروا المئة الصوت للرشد حسب اسحق الموصلي من اربعة من فحول المغنين هم : ابراهيم الموصلي ، حكم الوادي ، سباط ، وفليح ابن ابي العوراء ^(٣)

ابو الهربند —

فريدة جارية الائق ، محبوبة من جوارى المتوكل

المكي — استاذ ابن جامع وابراهيم الموصلي ، وفليح ابن ابي العوراء وهو من عائلة موسيقية .

بزبر موراء — مغني المدينة ، ظهر في ايام المهدي ، عمل في مدرسة ابراهيم الموصلي وهو من طبقة ابراهيم وابن جامع . كان يتعصب للاول على الثاني ^(٤) .

احمد ابن ابي العلاء — تلميذ اسحق الموصلي من اهل سُرّ من رأى . برع في الاخذ عن اسحق وله صفة « يسيرة جيدة » على قول الاغاني ^(٥)

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ١٤ : ٥٢

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ٢ : ٧٣

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ٥ : ٩

(٤) الاصفهاني — الاغاني ج ٣ : ٧٣

(٥) الاصفهاني — الاغاني ج ٢٠ : ١١٤

عبد الله بن عباس الريمي — كان شاعراً مغنياً محسناً جيد الصنعة نادرها ،
وشعره مطبوع ظريف من اشعار المترفين واولاد النعم . عرف في بلاطات الخلفاء من
الرشيد الى المنتصر . كان معجباً بأسحق وكان المتوكل يفضلّه على غيره من المغنين (١) .

قريبص المغني — من حذاق المغنين (٢)

احمر ابن صرقه — عاصر المأمون الى زمن المتوكل . وكان ابوه وجده من
الموسيقين المعروفين في بلاط الرشيد

بنانه بن عمرو الحارث — من مغني المتوكل والمنتصر . عشيق الجارية فضل
الشاعرة . وكان نديم المنتصر ومغنيه المفضل .

ولا سبيل الى الاحاطة بحياة كل من هؤلاء المغنين اكثر مما فعلنا وليس ذلك هو
المقصود في دراستنا هذه وننهي البحث فيهم بذكر كلمة عن زرياب واثر مدرسته في
الموسيقى العربية .

زرياب — كان زرياب ثورة في عالم الفن والغناء . تورع على يدي اسحق وتحت
كنفه حتى اذا اشتد عزمه وقويت شكيمته وآنس من نفسه القوة راح يتناول على
استاذة معتداً بنفسه ، مفاخراً بفنه امام الرشيد بقوله : « ان اذنت غنيتك ما لم تسمعه
اذن قبلك » (٣) .

ويعجب الرشيد بغناء زرياب اعجاباً ظاهراً يثير حسد الموصلّي عليه فيكيد الموصلّي
لزرياب بالسر ويحمله على ترك البلاط مرغماً والهرب الى « مغرب الشمس » ، الى بلاد
الاندلس الجميلة . ويقرّ قراره في قرطبة وينزل على عبد الرحمن بن الحكم مكرماً ،
معزّزاً . فقرّبه ابن الحكم اليه وسمح له بمجالسته على الشراب والسماع واحبه حباً
شديداً وقدمه على جميع المغنين . وبرع زرياب في فن الموسيقى واظهر مقدرة في الغناء
يحسد عليها . وكان صاحب مدرسة في الغناء عُرفت باسمه هي مدرسة لها قوانينها

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ١٧ : ١٢١

(٢) ابن النديم — الفهرست ص : ١٥٦

(٣) المقرّي — نفع الطيب ج ٢ : ٧٤٩

وقواعدها . ولقد اضاف الى اوتار العود الاربعة وتراً خامساً^(١) فكان بذلك فناً موهوباً ومغنياً مجدداً وصاحب مدرسة معروفة .

ولزرياب مجموعة من الاغاني عني بها وبجمعها وحفظها اسلام بن عبد العزيز ، وعمل كثيراً في سبيل نشرها وتعميمها^(٢)

والظاهر ان زرياب كان موسيقياً في دمه . كان له ثمانية اولاد ذكور وابنتان اثنتان ، كلهم غنى ومارس الصناعة . كان اعلامه عبيد الله ولكنه ، كما تقول المصادر ، « كان تديهاً بنفسه ، شديداً بزهو ، كثير الاعجاب بغنائته ، يجترى على الملوك ويستخف بالعظماء^(٣) » .

اما حمدونة ، وهي بنت زرياب ، وزوجة الوزير هشام بن عبد الملك العزيز فكانت متقدمة في اهل بيتها ، محسنة لصناعتها ، اخذ عنها كثيرون من المغنين . هؤلاء هم اهم المغنين والمغنيات في العصر العباسي . وقد رافق الغناء مظهر آخر من مظاهر الفن هو الضرب على الآلات الموسيقية المختلفة فبرع الكثيرون وذاع صيتهم ونالوا حظوة كبرى عند الملوك والامراء والخلفاء وهاك بعضهم :

الضراب

ززل — كوفي الاصل اخذ الغناء عن ابراهيم الموصلي ، وهو الذي ثقفه واره وجوه النغم حتى اصبح من حذاق الضراب . يقول صاحب العقد الفريد : « كان ززل اضرب الناس للوتر ، لم يكن قبله ولا بعده مثله^(٤) . »

محمد الزف — كوفي الاصل والمولد . كان مغنياً ضارباً ، وكان اسرع خلق الله اخذاً للغناء واصحهم اداءً له . وكان يتعصب لابن جامع .

ابو سعيد الطنبوري — كان ضارباً ماهراً على الطنبور . ظهر في بلاط المأمون والمعتمد وهو مؤلف في الغناء وفي اخبار الطنبوريين كما سنرى .

(١) المقرئ — فتح الطيب ج ٢ : ٧٥١

(٢) Ribera p: 107.

(٣) المقرئ — فتح الطيب ج ٢ : ٧٥٢

(٤) ابن عبد ربه — العقد الفريد ج ٣ : ٢٤٦

عمر الميداني — نديم أبي حشيشة وهو من المتقدمين الذين يحسنون الصنعة والاداء قال جعظة : سمعت ابن الدقاق في منزل أبي العبيس بن حمدون يقول : « سمعت ابا حشيشة والمستورد (والصحيح المسدود) ومن قبلها من الطنبوريين فما سمعت منهم اصح غناء ولا اكثر تصرفاً من عمر الميداني^(١) »

ابن القصار — كان نديم ابن المعتز . وضعه الاغاني بين احسن الطنبوريين قال : « كان ابن القصار معدوداً بين احسن الطنبوريين وهم : المسرور وعمر الميداني وابن القصار^(٢) » .

جرباب الدولة — من الطنبوريين الظرفاء . كان يلقب بالريح . له كتاب « النوادر والمضاحك في سائر الفنون والنوادر » وقد وصفه ابن النديم بقوله : انه كتاب كبير^(٣)

ملا حظ — كانت له الرئاسة على جميع الضراب^(٤)

ومن اقدم الذين تعلموا الضرب على العود الحرث بن كادة الطيب العربي الجاهلي . تعلم ذلك من فارس واليمن . ويقال انه ادرك الاسلام^(٥)

الجواري المقييات — لم تقل الجواري المغنيات شهرة عن المغنين لاسيا وان الصوت الحسن من الوجه الحسن يكون اشد اختلاساً للعقول وواقع للقلوب على حد تعبير ابن عبد ربه^(٦) .

واليك اسماء بعض الجواري مع نبذة صغيرة عن كل منهن :

بصبص — جارية من مولدات المدينة ، حلوة الوجه ، حسنة الغناء ، اشتراها المهدي وهو ولي العهد ، سرّاً من ابيه ، بسبعة عشر الف دينار . وكان عبدالله بن الزبير يأتيها فيسمع منها وقيل انه انشدها شعراً بايعها فيه اذ قال :

(١) ابو الفرج الاصفهاني — الاغاني ج ٢٠ : ٦٦

(٢) ابو الفرج الاصفهاني — الاغاني ج ١٢ : ١٦٧

(٣) ابن النديم — الفهرست ص : ١٥٣

(٤) ابو الفرج الاصفهاني — الاغاني ج ٥ : ٥٧

(٥) التقطبي — اخبار العلماء باخبار الحكماء : ١١٣

(٦) ابن عبد ربه — العقد الفريد ج ٣ ص : ٢٣٠

لو انها تدعو الى بيعة بايعتها ثم شقت العصا^(١)

عريب — مغنية محسنة، نهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب واتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار . وكانت دفاترها وصحفها التي جمعت فيها غنائها الف صوت . وقد خصها الاصفهاني بسبع عشرة صفحة من كتابه الاغاني ذاكراً نوادرها الغريبة وحكاياتها الكثيرة التي تظهر تأثيرها وفعل غنائها في عظماء دهرها ، وفي مقدمتهم الخلفاء^(٢) .

عبيرة الطنبورية — نبغت في الضرب على الطنبور، شهد لها بذلك اسحق الموصلي وكان يقول فيها : « الطنبور اذا تجاوز عبيدة هديان^(٣) » وكان ابو حشيشة يعظمها ويعترف لها بالرياسة والاستاذية . ذكرها ابن جحظة في كتابه الطنبوريين والطنبوريات فقال : « كانت من المحسنات وكانت لا تخلو من عشق، ولم يعرف في الدنيا امرأة اعطر منها^(٤) . » وكان مسدود المغني يقدرها ويحترمها فلا يتقدمها في الغناء ان جمعها مجلس فيقول : « لا والله لا اتقدم عبيدة وهي الاستاذة^(٥) . » وكان لها طنبور مكتوب عليها بالابنوس :

كل شيء سوى الحيانة في الحب يحتمل^(٥)

وقال فيها بعض الشعراء :

امست عبيدة في الاحسان واحدة فالله جار لها من كل محذور
من احسن الناس وجهاً حين تبصرها واحذق الناس ان غنت بطنبور^(٥)

سارية — خرّجها ابراهيم بن المهدي واخذت غناؤه كله او اكثره وبذلك يحتج من يقدمها على عريب . ولقد برعت في الغناء حتى تمنى الكثيرون شراءها بألاف الدنانير فلم يقبل ابراهيم بذلك بل اعتمها وتزوج منها . وقد وصلت للمعتصم بعد وفاة ابراهيم فاعطي فيها سبعين الف دينار فلم يبعها . وكانت تدعي ان اباه من قریش وانها

(١) ابو الفرج الاصفهاني — الاغاني ج ١٣ : ١١٤ - ١١٩

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ١٨ : ١٧٥ و ١٩١

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ١٩ : ١٣٧

(٤) الاصفهاني — الاغاني ج ١٩ : ١٣٤ و ١٣٥

(٥) الاصفهاني — الاغاني ج ١٩ : ١٣٦

سُرقت وهي صغيرة، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية وباعتها من ابراهيم بن المهدي^(١).
 بذل — من مولدات المدينة . كانت تغني ثلاثين الف صوت ولها كتاب في
 الاغاني منسوب الاصوات ، غير مجنس ، يشتمل على اثني عشر الف صوت . وكانت
 حلوة الوجه ، ظريفة ، ضاربة . شهد لها ابو حشيشة قال : « كانت بذل من احسن الناس
 غناء في دهرها . وكانت استاذة كل محسن ومحسنة » . وقيل انها ارادت مداعبة ابراهيم
 بن المهدي يوماً ، وكان يعظمها ويتوافي لها ، فانقطع عنها ، فصارت اليه ودعت بعود
 فغنت في طريقة واحدة وايقاع واحد واصبع واحدة مائة صوت لم يعرف ابراهيم منها
 صوتاً واحداً ، ثم وضعت العود وانصرفت . فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعه
 اليها في الرجوع اليه^(٢) .

دنانير — مولاة يحيى بن خالد البرمكي . كان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيورها الى
 مولاها ويقيم عندها ويبرها ويفرط . لها كتاب مجرد في الاغاني مشهور . وقد اخذت
 الغناء عن بذل واخذت ايضاً عن كبار المغنين امثال فليح وابراهيم وابن جامع
 واسحاق ونظرائهم . وتقدم عقيل المغني منها خابطاً وكان يحبها حباً شديداً فردته رغم
 الشفاعات الكثيرة التي بذلها مولاة صالح بن الرشيد ، وبذل والحسين بن محرز . وفي
 دنانير يقول ابو حفص الشطرنجي :

هذي دنانيرُ تنساني فاذكروها وكيف تنسى محباً ليس ينساها
 والله والله لو كانت اذا برزت نفس المقيم في كفيه القاها !!

عائكة — أمها شهدة جارية الوليد بن يزيد وشهدة هذه كانت مغنية ايضاً اشتهرت
 في بلاط الرشيد ونمغ من تلاميذها اسحق الموصلي ومخارق^(٣) .

ضميم الهاشمية — من مولدات البصرة اخذت عن اسحق وابيه قبله وعن طبقتها
 من المغنين ، وتخرجت على يد بذل . وكانت من احسن الناس وجهاً وغناءً وادباً .
 حظيت عند علي بن هشام حظوة شديدة وتقدمت على جواريه اجمع ، وهي ام ولده
 كاهم^(٤) .

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ١٤ : ١٠٩ - ١١٤

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ١٥ : ١٤٤ - ١٤٧

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ٦ : ٥٧ و ٥٨

(٤) الاصفهاني — الاغاني ج ٧ : ٣١ - ٣٨

فلم الصالحية — كانت حسنة الغناء والضرب، حاذقة قد اخذت عن ابراهيم وابنه واسحق ويحيى المكي وزبير بن دحمان . كانت لصالح بن عبد الوهاب فاشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار^(١) .

ذات الحال — احدى الجواري الثلاث اللواتي كان الرشيد يواهن ويقول الشعر فيهن وهن : سحر وضيا وخنت او ذات الحال .

كانت احسن الناس وجهاً ولها خال على خدها ، فوق شفتها العليا ، لم ير الناس احسن منه في موضعه . كان ابراهيم الموصل يواهها وهو الذي باعها من الرشيد بسبعين الف درهم حتى اذا علم الرشيد ان كان بينها وبين ابراهيم صلة حبية ابغضها ووهبها لمجوية الوصيف . ولكنه كثيراً ما كان يشاققها ويستمتع الى غنائها بعد ذلك .

عنايه — من مولدات اليمامة ، جارية التتاف ، كان فحول الشعراء يساجلونها ويعارضونها فتنتصف منهم . وكان العباس بن الاحنف يواهها ويراسلها شعراً ولم تكن لتميل اليه . وكان الرشيد يحبها ويساوم بها فيأبى الناطقي ان يبيعها منه باقل من مائة الف دينار^(٢) .

وهناك كثيرات من المغنيات يرد ذكرهن في هذا القصص الغنائي ونجد ترجمتهن في كتاب الاغاني وهن اقل شهرة ممن ذكرنا امثال : حسنة . وريق . دمن جارية اسحق الموصل . وهبة جارية محمد بن عمران القروي . دفاق جارية يحيى بن الربيع . سمجة . قمرية العمرية ام ولد عمرو بن بانة وغيرهن ...

اما في الاندلس فنبغت العجفاء جارية عبدالرحمن الاول بن معاوية صاحب الاندلس وفضل المدنية جارية عبدالرحمن الثاني . ومصابيح تلميذة زرياب التي يقول فيها ابن عبدربه ابياته المشهورة :

يا مَنْ يَضُنُّ بصوت الطائر الغردِ ما كنت احسب هذا الضن من اخذ
لو ان اسماع اهل الارض قاطبة اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد^(٣)

هذه هي اهم الاسماء للجواري والقيان المغنيات اللواتي اشتهرن في العصر العباسية

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ١٢ : ١١٥ - ١١٧

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ١٠ : ١٠١

(٣) المقري — نفع الطيب ج ٢ : ٧٥٤

وهي اسماء كثيرة ما ترددت في هذا القصص الغنائي العابق بطيب الصوت وشذا الروح وهؤلاء القيان ، بما فيهن من مرح الشباب وعبق الحب ، وطيب الحنجرة قد استطعن ان يخلعن على هذه الحكايات الف لون ولون حتى بات الواحد منا ، وهو يقرأ هذه الحكايات ، يتساءل هل هو في اللحظة ام في المنام ؟؟ ويتمنى لو تطول هذه الاحاديث العجيبة وهذه الاخبار النادرة التي تجمع الى الاشراق اللغوي متعة روحية سامية !

شهرة المغنين والمغنيات

ولسنا نستطيع ان نمر هؤلاء المغنين والمغنيات دون ان نبحت في هذه الشهرة العريضة التي حظي بها الكثيرون منهم . وهي تظهر في مظاهر مختلفة اهمها ما يلي :

التأثير في الخلفاء والعظماء — وهو تأثير كثير ما احسنت الجواري استغلاله عند الخلفاء والعظماء . فذات الحال ، وقد علمت سحر جمالها في قلب الرشيد تسأله ان يولي حموية الوصيف الحرب والحراج بفارس سبع سنين فلا يرد لها الرشيد طلباً^(١) . وعندما تراه يميل الى بعض الجواري غيرها يشق عليها ذلك فكانت تقص الحال الذي نجدها لتغيظه بعملها فيتأثر الرشيد من ذلك وينهض اليها مسرعاً مسترضياً لها ..

اما بذل فكان الخلفاء يتوددون اليها ويستثيرونها ويمرون على بابها . وهكذا قل في الكثيرات من هؤلاء المغنيات اللواتي كن يظهرن دالة كهوى على رجال الدولة وامراء العصر . فيتدخلن في كل شاردة وواردة ، فعل الكثيرات من نساء الشرق والغرب ، والملكات العشيقات اللاتي غيرون مجرى التاريخ بما كان لهن من سحر على الملوك والامراء .

وهذا التأثير لم يكن الدافع اليه المغنيات فقط بل كان للمغنين منه القسط الاكبر .

فالخارث بن خالد الخزومي يمدح الغريض بقوله : « يا غريض لا لوم في حبك ، ولا عذر في هجرك ، ولا لذة لمن لا يروح قلبه بك ، يا غريض ! لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ الا انت ، لكان حظاً كافياً وافياً . يا غريض ! انما الدنيا زينة فازين الزينة ما فرح النفس . ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء^(٢) . وهذا الوليد

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ١٥ : ٨٠

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ٣ : ١٠٧

بن يزيد يستدعي معبد ويوجه اليه الى المدينة ويجلسان معاً، ليس بينهما ثالث، في موضع بقرب بركة مملوءة ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران^(١).

وكانت الجواري والمولعون بمعبد كثيرين يكبون على يديه ورجليه يقبلونها قائلين: « انت سيدنا ومن نتمنى على الله ان نلقاه^(٢) . »

وكان ابراهيم الموصلی ذا مكانة كبيرة عند الرشيد . كثيراً ما كان يقول له : « يا ابراهيم بكّر علي غداً حتى نصطحب^(٣) . »

العطايا والرمايا — والمظهر الثاني لهذه الشهرة يصيبها المغنون والمغنيات هو في هذه العطايا الكثيرة والانعامات العظيمة والهدايا الثمينة التي كانت تتدفق عليهم من رجال الدولة والخلفاء في مقدمتهم . واني لاحتار حقاً في اختيار الامثلة على ذلك . فاي مغن لم ينل العشرات والمئات والالوف من الدنانير الذهبية ؟ واي مغنية لم تتدفق عليها عقود الذهب واللؤلؤ تدفقاً وتنثر امامها الاثواب الجميلة نثراً!

هذي دنانير ، وقد تيمت الرشيد يهدي اليها عقد قيمته ثلاثين الف دينار^(٤) .

وهذه شارية تصل الى المعتمد بعد ان مرّت على كثيرين غيره فيأمر لها بالف ثوب من جميع انواع الثياب^(٥) .

وهذه عُرِب تغاّف شعرها مكان الغسلة بستين مثقالاً مسكاً وعبوراً، وتغسله من جمعة الى جمعة فاذا غسلته اعادته وتقسم الجواري غسالة رأسها بالقوارير وما تسرحه منه بالميزان^(٦) .

وهذه ام جعفر ، وقد جمعت بنات الخلفاء وبنات هاشم لينحنّ على الرشيد، تبعث الى اسحق بن ابراهيم الموصلی بمائة الف درهم ومائة ثوب مكافأة له على اربعة ابيات ليست من نظمه ولا تلحينه^(٧) .

(١) الاصفهاني — الاغاني ١ : ٢٧

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ١ : ٢٤ و ٢٥

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ٥ : ٢٢٨

(٤) الاصفهاني — الاغاني ج ١٦ : ١٣٧

(٥) الاصفهاني — الاغاني ج ١٤ : ١١٣

(٦) الاصفهاني — الاغاني ج ١٨ : ١٨٧

(٧) الاصفهاني — الاغاني ج ٨ : ٣٤٨

وهذا ابن جامع يدخل الى بغداد فقيراً ويخرج منها احسن من جلة اهلها ومياسيرهم بعد مكافئات الرشيد له على غنائه. قيل انه اقبل اليه يوماً وطلب منه ان يغنيه فكافأه بثلاثة اكياس فيها ثلاثة آلاف دينار^(١).

وهذا المأمون يجعل يوماً خاصاً بالجوارى المغنيات يغنيه من وراء الستارة، ويصلهن باجزل الصلات واغزر العطايا^(٢).

وهذا الواثق يجمع الضراب والمغنين للمناظرة في حضرته ويكافئ المجيدين منهم^(٣). وهذا الوليد الثاني يكافئ حكم الوادي بالف قطعة ذهبية ، وقد تغلب الحكم هذا على ابراهيم الموصلي وابن جامع في حضرة الهادي فنال الجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ الف قطعة فضية . وهذا الامين يدفع عشرة آلاف درهم ثمن درس موسيقي واحد يعطيه يحيى المكي لاختيه ابراهيم بن المهدي^(٤).

الجوارى تباع بأثمان باهظة

ولا يستطيع قارئ هذه الحكايات الغنائية الا ان يدهش لهذه الاموال الكثيرة التي كان يهبها الخلفاء ورجال المال للمغنين والمغنيات وخاصة المبالغ الجسيمة التي كانت تدفع ثمناً لجارية جميلة الصوت ، حسنة الوجه !

فبذل التي مر ذكرها والتي تتناولها هذه الحكايات بطريف الاخبار وجميل الروايات قيل انها بيعت بعشرين الف الف درهم^(٥). وهو مبلغ من المال عظيم بل هو اعظم مبلغ ينقد ثمن جارية .

آلات الطرب

تتردد في هذا القصص الغنائي عشرات الاسماء لآلات الطرب التي كان يستعملها المغنون في تأدية اصواتهم. وليس القصد هنا في ان نصف هذه الآلات وصفاً علمياً فنياً

(١) الاصفهاني — الاغاني ٦ : ٣١١

(٢) الاصفهاني — الاغاني ٥ : ١٢٥

(٣) Farmer — A History of Arabian Music p: 114.

(٤) Farmer — p: 114.

(٥) الاصفهاني — الاغاني ١٥ : ١٤٥

فنيين مزايها بالنسبة لآلات اليوم . ذلك يحتاج الى دراسة خاصة لا تتوفر الا لمن كان له اطلاع واسع في فن الغناء والموسيقى ، الشرقي منها والغربي ، انما يهنا ، ان نلم بهذه الآلات الماماً سريعاً بصفتها تؤلف قسماً من مادة هذا القصص . ولعل في ذكر اسمائها حافزاً لدرسها وتبيان اهميتها^(١) .

كان طويس يغني على المربع . وابن سريج ينقر على الدف ، وهو ايضاً اول من ضرب بالعود . وكان ابن عائشة يغني على الاداة . وكان لحسان بن ثابت ، زمن النبي ، جارية تغنيه بمزهرها^(٢) .

وكان عند جبلة بن الاهيم الغساني مغنيات روميات يغنين بالرومية بالبرباط^(٣) . وقال ابن رشيق : « وغنى العرب جميعاً بالعيدان ، والطناوير والمعاذف والمزامير^(٤) . ولقد اتخذ العرب بعض آلاتهم الموسيقية عن الشعوب الكثيرة التي امتزجوا بها مثل الفرس والروم والانباط وغيرهم . من هذه الآلات : الارغانون ، والبزق ، والطبلة ، والدف ، والشلياق ، والقيثارة ، والطنبور ، والعنق الرباب ، والمعزقة ، والشهروز ، والعود^(٥) . .

(١) راجع كتاب Studies in Oriental Musical instruments - Farmer وهو من

اوسع المصادر واشملها لدراسة هذه الآلات

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ١٠ : ١٦٩

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ١٦ : ١٥

(٤) ابن رشيق — العمدة ج ٢ : ٢٤١

(٥) الدكتور حسن وغيره — نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ص : ٧٩

انواع الغناء

وغنى العرب على هذه الآلات المختلفة جميع انواع الغناء وهي كثيرة منها :
 الحذاء : وهو اول السماع والترجيع في العرب على قول المسعودي^(١) . وهو يقع
 بتطريب وترجيع يسير وترجيع للصوت^(٢) .
 النصب : وهو شبيه بالحذاء .

وهناك فن الازواج الذي برع فيه اسحق الموصلي بينما ابوه ابراهيم 'عرف بالماخوري
 قال الاصفهاني : « اربعة بلغوا في اربعة اجناس مبلغاً قصر عنه غيرهم ، معبد في الثقل
 وابن سريج في الرمل ، وحكم في المزج و ابراهيم في الماخوري^(٣) » . وقال المسعودي :
 « وكان غنائهم (اي العرب) النصب ثلاثة اجناس : الركباني والسناد الثقيل والمزج
 الخفيف^(٤) . »

وتقدم الغناء واصبح بعد زمن فناً مستقلاً له اتباعه وله مريدوه وله اعلامه الذين
 يحملون لواءه وينشدونه على طريقة علمية صحيحة . فهذا ابراهيم الموصلي يؤلف صوتاً
 مشهوراً مطلعته :

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانباً
 قد بلغت الذي اردت وان كنت لاعباً

فيتصل خبره بابراهيم بن المهدي فيكتب يسأله عن الصوت فيجيبه ابراهيم ويكتب
 اليه « بشعره وايقاعه ، وبسيطه ، ومجراه ، واصبعه ، وتجزئته واقسامه ، ومخارج نغمه
 ومواقع مقاطعه ، ومقادير ادواره ، واوزانه^(٥) » .

فالايقاع والبسيط والمجاري والاصبع والتجزئة والاقسام ومخارج النغم ومواقع
 المقاطع والادوار والاوزان ، كل ذلك الفاظ لها معانيها العمد ومدلولاتها الفنية .

(١) المسعودي — مروج الذهب ج ١٠ : ٩٢

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ٨ : ١٤٩

(٣) الاصفهاني — الاغاني ج ٦ : ٦٦

(٤) المسعودي — مروج الذهب ج ٨ : ٩٣

(٥) الاصفهاني — الاغاني ج ٩ : ٥٤

وهي تعطينا فكرة واضحة عن تقدم فن الموسيقى ورسوخه عند العرب في ذلك العصر. ولقد استطاع المستشرق فارمر ان يرى تشابهاً كبيراً بين استعمال العرب لاجناس غنائهم وبين التي استعملها اليونان قبلهم . فاجناس الغناء الثلاثة التي وردت في كتاب مفاتيح العلوم وهي الطنيني ويسمى القوي والمقوي ، اللوي والملوث ، والتألفي او الناظم او الراسم ، ليست في الحقيقة سوى الانغام اليونانية المعروفة باسم Diatonic ، Enharmonic, Chromatic . وتسمى ايضاً الرجلي والخنثوي والنسوي^(١) .

وفي الاغاني اشارات كثيرة الى استعمال العرب هذه الالحان المقبسة عن الالحان البيزنطية^(٢) .

التأليف الغنائي الموسيقي

وكان لتقدم الغناء وانتشار شهرة المغنين ان ظهر الفن الغنائي في مظهر جديد هو مظهر التأليف في الموسيقى والغناء ، او الجمع ، جمع الاخبار عن الفنانين من ضراب ومغنين ومغنيات ، او جمع الاصوات المختلفة والاغاني المتنوعة في كتاب مستقل .

وبما يؤسف له حقاً ان تكون اكثر هذه الكتب مفقودة . فلم يصلنا منها شيء يستحق الذكر فنهتدي بواسطته الى دراسة الفن الموسيقي العربي القديم . ولعل العاملين على احياء التراث العربي القديم يعثرون ، في زوايا المكاتب العالمية على بعض هذه الكتب فينشروها خدمة للعلم والآداب والقومية .

وهاك اسماء بعض المؤلفين مع اسماء كتبهم :

١ — الكنفري^(٣) : + سنة ٤٧٤ له عدة كتب في الموسيقى منها :

١ — رسالة كبرى في خبر تأليف الالحان .

٢ — رسالة في ترتيب النغم .

٣ — رسالة في الايقاع .

(١) الخوارزمي — مفاتيح العلوم — مطبعة الشرق سنة ١٣٤٢ هـ ص : ١٤٠

(٢) الاصفهاني — الاغاني ٥ : ٥٣

(٣) ابن التديم — الفهرست ص : ٢٥٧

- ٤ - رسالة في المدخل الى صناعة الموسيقى .
 ٥ - رسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى .
 ٦ - رسالة في خبر صناعة التأليف .
 ٧ - مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصناعة العود^(١) .

٢ - الحليل بن احمد^(٢) : + سنة ١٧٥ هـ

له كتاب النغم وكتاب الايقاع وفيهما محاولة جريئة علمية في دراسة الفن الموسيقي

٣ - اسحق الموصلي^(٣) : + سنة ٢٣٥ هـ

له كثير من الكتب في الغناء وفي اخبار المغنين منها :

- | | |
|---|-------------------------------------|
| ١١ - كتاب النغم والايقاع | ١ - كتاب الاغاني |
| ١٢ - كتاب اخبار معبد ابن سريج واغانيهما | ٢ - كتاب اخبار عزة الملاء |
| ١٣ - كتاب اخبار الغريض | ٣ - اغاني معبد |
| ١٤ - كتاب الاغاني الكبير | ٤ - كتاب اخبار حنين الحيري |
| | ٥ - كتاب اخبار طويس |
| | ٦ - كتاب اخبار ابن مسجح |
| | ٧ - كتاب اخبار ابن عائشة |
| | ٨ - كتاب اخبار الدلال |
| | ٩ - كتاب الاختيار من الاغاني للواتق |
| | ١٠ - كتاب الرقص والزفن |

٤ - مزين بن اسحق البعاري : + سنة ٨٧٣ م

مسيحي المولد والنشأة عُرف بنشاطه في ترجمة الكتب اليونانية الى العربية والسريرية . ويقول فارمر ان في مكتبة مونيخ الحكومية مخطوطة عربية لحنين فيها

(١) قد وصل الينا بعض هذه الكتب منها ثلاثة او اربعة كتب في المتحف البريطاني ومكتبة برلين

باسماء محرقة بعض التحريف راجع عن ذلك فارمر ص : ١٢٨

(٢) ابن النديم — الفهرست ص : ٤٣

(٣) ابن النديم — الفهرست ص : ١٤١

بحث عن الموسيقى مأخوذ عن اليونانية . وقد ترجمت الى العبرانية^(١) .

٥ - بنو موسى :

وهم محمد احمد والحسن ابناء موسى بن شاكر . نشأوا في بيت الحكمة وكانوا علماء في الرياضيات والميكانيك وعلم النجوم والموسيقى . ولهم كتاب الاراغانون وكتاب الآلات التي تترنم بنفسها وهو موجود مخطوطة في مكتبة المدرسة الارثوذكسية (الثلاثة الاقمار) في بيروت^(٢) .

٦ - يحيى المكي :

له كتاب في الاغاني وقد جمع فيه احسن الامثلة من الغناء القديم .

٧ - احمد بن يحيى المكي : + سنة ٨٦٤ م

ابن يحيى المذكور . راجع كتاب ابيه واخرج منه نسخة جديدة بثلاثة آلاف اغنية ثم جمع كتاباً آخر باسم كتاب مجرد في الاغاني وجمع فيه اربعة عشر الف اغنية .

٨ - ابراهيم الموصلى : + سنة ٨٠٤ م

لم يسبقه احد من مؤلفي القطع الموسيقية . جاء في الاغاني ان ابراهيم « صنع تسعة مائة صوت منها دينارية ومنها درهمية ومنها فلسية ، وليس اكثر من صنعته . فاما ثلاثائة منها فانه تقدم الناس جميعاً فيها ، واما ثلاثائة فشاركوه وشاركهم فيها ، واما الثلاثائة الباقية فلعب وطرب^(٣) » .

٩ - عمرو بن باقر : + سنة ٨٩١ م

له كتاب مجرد الاغاني يشهد فيه ابن خلكان بقوله : « انه كافٍ لمهارته » . ويقول فيه ابو الفرج « انه اصل من الاصول^(٤) » .

(١) Farmer — A History of arabian Music p: 127.

(٢) المشرق مع ٢١ ص : ٤٤٤

(٣) ابو الفرج الاصفهاني — الاغاني ج ٥ : ١٧

(٤) الاصفهاني — الاغاني ١٤ : ٥٢

١٠ — ابن مَيْمُون الطَّنْبُورِي :

له كتابان الاول كتاب المغني المجيد والثاني كتاب اخبار الطنبوريين . ويقول ابن النديم انه رأى الكتاب الاول « بخط عتيق^(١) » .

١١ — فَرِيصُ الْمَغْنِي :

له كتاب صناعة الغناء واخبار المغنين وذكر الاصوات التي غنى فيها على الحروف ولم يتمه . والذي خرج منه نحو الف ورقة . هذا ما يقوله ابن النديم^(٢) .

١٢ — مَعْظَمُ الْبَرْمَكِيِّ + سنة ٩٣٨ م

له كتاب الطنبوريين وكتاب النديم وكان لهما شهرة كبيرة في ذلك الزمن وقد نقل عنهما الاصفهاني في كتاب الاغاني .

(١) ابن النديم — الفهرست ص : ١٤٥

(٢) ابن النديم — الفهرست ص : ١٥٦

قيمة الفصحى الغنائى

يجدر بنا، لنقدّر هذه الحكايات الغنائية قدرها، ولننزلها منزلتها من الفن القصصي العام والقصة العربية خاصة، ان ننظر في المادة التي تتألف منها وفي البواعث والاسباب التي بعثت على تأليفها وتدوينها، والاغراض العديدة التي تناولتها.

ولقد مررنا مروراً سريعاً بالاغراض الرئيسية التي طرقتها هذه الحكايات، فرأينا انها وضعت للامام بحياة المغنين والمغنيات وذكر الحانهم واصواتهم، وتعداد آلاتهم التي كانوا عليها يضربون. كما انها تبين الى حد كبير الشهرة الواسعة التي اصابها هؤلاء المغنون والخطوة الكبرى عند الخلفاء والعظماء من بني قويمهم، والثروات الضخمة التي نالها الكثيرون والكثيرات ممن مر ذكره معنا من مغنين ومغنيات. كل ذلك هو غرض هذه الحكايات، وهو غرض رئيسي هام، يطلعنا على تاريخ عصبية كبيرة من اصحاب الفن حملت لواء الموسيقى والغناء طيلة العصر العباسية وعملت جهدها في تحسينه وتنميته وترويقه. وليس هذا كل شيء بل لهذه الحكايات قيمتها الاجتماعية التي لا يستطيع المؤرخ ان ينكرها. فاي اخبار هي اخبار هؤلاء المغنين والمغنيات، تلك الروايات الطريفة التي يذكرها كتاب الاغاني وغير الاغاني عن جميلة وعزة وعريب ودفاق وغيرهن كثيرات! بل ما هي هذه المجالس الفخمة؟ مجالس اللهو والرقص والغناء والشراب، تلك التي كانت هؤلاء الجوارى يعقدنها في دورهن تارة والخلفاء في قصورهم تارة اخرى؟ انها تطلعنا على العصر العباسي، او على الاقل، على جانب منه. وهذا الجانب، رغم ما فيه من مجون ورغم ما يغلب عليه من الحرية الاخلاقية والنزعة المجونية، هو وجه من وجوه المجتمع العباسي الكثيرة، تلك الوجوه المختلفة في تقاسيمها، المتعددة في متناقضاتها!

مادة الفصحى الغنائى

ولست قيمة هذه الحكايات الغنائية محصورة في عرضها لنا، وبصور مختلفة، مظاهر العصر العباسي فقط. بل فيها مادة شعرية غزلية لارق شعراء العرب. وغير بعيد ان يتألف الشعراء والمغنون ويتصادقوا فهم بحاجة قصوى الى بعضهم البعض.

فالشعر الرقيق المقرون الى الصوت الجميل يرقص السامع ترقيصاً^(١) .

وفي هذه الحكايات الشيء الكثير عن حيل الجواري وظرفهن في كتابة الرقيق من الشعر على المراوح التي يحملونها او اذياال الفسطين التي يلبسها مما كان يلفت الانظار ويبهز العقول :

دخل ابن ابي عنيق على عبد الملك . فوجده جالساً بين جارتين قائمتين عليه ، يمسان كغصن بان ، بيد كل جارية مروحة ، تروح بها عليه ، مكتوب بالذهب في المروحة الواحدة :

انني اجلب الرياح وي يلعبُ الحجلُ
وحجابٌ اذا الجيب ثنى الرأس للقبلُ
وغياث اذا النديم تغنى او ارتجل!

وفي المروحة الاخرى :

انا في الكف لطيفة مسكني قصر الخليفة
انا لا اصلح الا لظريف او ظريفه
او وصيف حسن القد شبيهه^(٢) بالوصيفة

ويحكون عن الدارمي وكان شاعراً أمورياً شريفاً من سادات قومه انه تنسك وترك الشعر ولزم المسجد حتى اذا قدم تاجر عراقي بعِدل (نصف حمل) من خُمُر العراق الى المدينة باعها كلها الا السود . فشكا ذلك الى الدارمي فعمد هذا الى ثياب نسكه فאלقاها عنه وعاد الى مثل شأنه الاول وقال هذا الشعر ورفع الى صديق له من المغنين :

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا فعلت بزاهد متعبد ؟
قد كان شمّر للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء وقالوا : قد رجع الدارمي وتعشق صاحبة الخمار الاسود . فلم تبق مليحة في المدينة الا اشترت خماراً اسود . وباع التاجر جميع ما كان معه^(٣) .

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ١ : ١١٢ — ابن عبد ربه — العقد ج ٣ : ٢٥٥

(٢) ابن عبد ربه — العقد ج ٣ : ٢٣٩

(٣) ابن عبد ربه — العقد ج ٣ : ٢٣٥

ويتغنى ابن سريج امام عطاء بن ابي رباح ببיתי جري :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا
غضن من عبراتهم وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟

فيضطرب عطاء اضطراباً شديداً وتدخله اريحية ويحلف الا يكلم احداً بقية يومه
الا بهذا الشعر^(١) .

ويأخذ المغني ابن جامع الابيات التالية عن احدى الجوارى حتى اذا سنحت له الفرصة
تغنى بها امام الرشيد اولاً وثانياً وثالثاً فكافأه عليها بثلاثة آلاف دينار :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا : ما اقصر الليل عندنا !
وذلك لان النوم يغشى عيونهم سراعاً وما يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر لذي الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا^(٢)

ومن جميل الشعر الذي كان يتغنى به اسحق الموصلي وهو من صنعته :

الطلول الدوارسُ فارقتها الاوانس
اوحشت بعد اهلها فهي قفر بسابسُ .

وللشعراء المدنيين باع طويل في نظم الشعر الغنائي الرقيق . اسمع الى ابيات ابن
الدمينة يقول :

واذكر ايام الحمى ثم انثني على كبدي من خشية ان تصدعا
ولست عشيات الحمى برواجع عليك، ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

ولقد مر معنا ان اسحق كوفيء مكافأة كبيرة على اربعة ابيات ليست من نظمه
ولا تلحينه بل هي من نظم الاحوص وتلحين معبد وهي من اشهر الابيات في النوح :

قد لعمرى بت ليلى كأخي الداء الوجيع
ونجي الهم مني بات ادنى من ضلوعي

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ١ : ٢٥٦

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ٦ : ٣١١

كلما ابصرت ربعاً دارساً ، فاضت دموعي
مقفراً من سيد كان لنا غير مضيع

ومر معنا ايضاً ان بعضهم كان يحلف بالطلاق ان يسمع غناء المغنين ويشرب عليه
وهذه بعض اصوات محارق التي كانت تحملهم على ذلك الحلفان :

بكرت عليك فهبجت وجدا هوج الرياح واذكرت نجدا
اتحن من شوق اذا ذكرت نجد وانت تركتها عمدا ؟

وآخر :

الف الظبي بعادي ونفى الهم رفادي
وعدا الهجر على الوصل باسياف حداد
قل لمن زين ودي لست اهلاً لودادي

وتخبرنا هذه الحكايات الطريفة ان فريدة ، وكانت جارية مغنية محسنة ، اهداها
عمرو بن بانة الى الواثق ، كثيراً ما كانت تتغنى بمجلس الواثق فتجىء بالسحر الى ان
غشته يوماً هذا الصوت :

اهابك اجلاً وما بي قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل انها قلتك ولا ان قل منك نصيبها

فرفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدرجت منها من اعلى السرير الى الارض
وتفتت عودها ! ذلك ان الواثق فكّر فيما فكّر فيه بان مغنيته قد تجلس يوماً من
الايام هذا المجلس مع غيره من الحلفاء^(١) ! من يدري ؟

وبما غنى به نومة الضحى وهو من الشعر الجميل :

يا مولد النار قد أعيت قوادحه اقبس اذا شئت من قلبي بمقياس
ما اوحش الناس في عيني واقبحهم اذا نظرت فلم ابصر في الناس

وكان ابن المعتز يحسن النظم والتلحين ومن جميل اصواته التي تظارف فيها وملح :

زاحم كمي كمه فالتويا وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاق الهوى فاكتويا يا قرة العين يا همي ويا...

وله في غلام نفر منه وغضب فجهد ان يتراضاه فلم يكن له فيه حيلة :

ياي انت قد تماديت في الهجر والغضب !
واضطباري على صدودك يوماً من العجب
ليس لي ان فقدت وجهك في العيش من ارب
رحم الله من اعان على الصلح واحتسب !!

ومرسلان بن داود كاتب ام جعفر وكان جالساً مع عبدالله بن موسى الهادي خادم
لصالح بن الرشيد فسأله عبدالله : ما اسمك ؟ قال : اسمي لا تسل . فارحى هذا الاسم
لعبدالله بهذه الابيات الغنائية الجميلة .

وشادنٍ مر بنا	يجرح باللحظ المقل
مظلوم خصر ظالم	منه اذا يمشي الكفل
اعتدلت قامته	والطرف منه ما عدل
بدر تراه ابدأ	طالع سعدٍ ما افل
سألته عن اسمه	فقال : اسمي لا تسل
وطلعت في وجنتيه	وردتان من خجل
فقلت ما اخطا الذي	سماك بل قال المثل
لا تسألن عن شادنٍ	فاق جمالاً وكمل !

وقال فيه :

عز الذي تهوى وذل	صب الفؤاد محتبل
جد به الهجر وذا الهجر	اذا جد قتل
من شادن بمنطق	فاق جمالا وكمل
تناصف الحسن به	فلا تسل عن لا تسل

ومن اصوات الغريض المستحسنة :

يا خليلي قد مللت توائي	بالمصلي وقد سئمت البقيعا
بلغاني ديار هندٍ وسعدى	وارجعاني فقد هويت الرجوعا

ومن اهزاجه :

ليبك يا سيدتي لبيك الفأ عدا
ليبك من ظالمة احببتها مجتهدا
قومي الى ملعبنا نحك الجواري الخردا
وضع يداً فوق يد نرفعها يداً يدا!

وايضاً :

شجاني مغاني الحبي وانشقت العصا وصاح غراب البين انت مريض
ففاضت دموعي عند ذاك صباة وفيهن خود كالمهاة غضيض
ووليت مخزون الفؤاد مروعاً كنيباً ودمعي في الرداء يفيض

ومن اصوات ابراهيم الموصلية المشهورة وهو لابي صخر الهذلي :

عجبت لسعي الدهر ببني وبينها ولما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدني جوًى كل ليلة ويا سلوة الايام موعداك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بالله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر
اما والذي ابكي واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر
لقد تركتني احسد الوحش ان ارى اليقين منها لا يروعهما الذعر^(١)

ومن اصوات ابي حشيشة التي كان يشتهيها المستعين :

وما انس لا انس منها الحشوع وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي مضاف الى خدها قياماً الى الصبح لم نرقد!!

وأخر وكان يشتهي المعتمد :

قلبي يحبك يا منى قلبي ، ويبغض من يحبك
لاكون فرداً في هواك فليت شعري كيف قلبك؟

(١) النوري - نهاية الارب ج ٤ : ٣٥٢ والاصفهاني - الاغاني ج ٥ : ١٦ وابو علي

القالي - الآمال ج ١ : ١٥٠

وكانت جميلة اذا ما غنت بشعر عمر ابن ابي ربيعة يشق الحضور ثيابهم ويعمى عليهم :

ولقد قالت لجارات لها كالمهي يلعبن في حجرتها
خذن عني الظل لا يتبعني ومضت تسعى الى قبتها
لم تعلق رجلاً فيما مضى طفلة غداء في حلتها
لم يطش قط لها سهم ومن ترمه لا ينج من رميتها

ومن اصوات بذل وكانت تغنيه للأُمون :

الا لا ارى شيئاً الذ من الوعد ومن املي فيه وان كان لا يجدي
ومن غفلة الواشي اذا ما اتيتها ومن زورتي ابياتها خالياً وحدي
ومن ضجة في الملتقى ثم سكتة وكلتاها عندي الذ من الحلد

وقد مرت معنا بعض ابيات من هذه القصيدة التي نظمت في دنانير جارية البرامكة :

هذي دنانير تنساني واذا كرها وكيف تنسى محباً ليس ينساها ؟
اعوذ بالله من هجران جارية اصبحت من حبها اهذي بذكراها
قد اكمل الحسن في تركيب صورتها فارتجّ اسفلها واهتز اعلاها
قامت لتمشي فليت الله صورني ذاك التراب الذي مسته رجلاها
والله والله لو كانت اذا برزت نفس المقيم في كفيه القاها !!

وهناك الكثير من القصائد الحبية الرقيقة لشعراء العرب الغزلين كعمر وجميل وابن ذريح وعروة والمجنون وكلها ماذة جميلة لهذا القصص .

فوائد القصص الغنائي

ولا بد من القول ، وقد اشرفنا على الانتهاء من البحث في هذه الحكايات الغنائية ، ان فوائد عديدة تقسم الى انواع :

١ - الفائدة التاريخية : اننا مجبرون على قبول الكثير من هذه الحكايات كاصل من اصول التاريخ نستطيع بواسطته ان نوّرخ حياة المغنين والمغنيات وندرس علاقتهم بالكثيرين من ابناء عصرهم من امراء وخلفاء وشعراء وملوك .

٢- **الفائدة الاجتماعية** : لقد رأينا ان الحياة العباسية المترفة بما فيها من مجون وفسق وعريضة ، قد ارتسمت بارزة في هذه الحكايات الكثيرة التي تعج بالنوادر عن الجواري الحسان ، وتطفح بالروايات عن المغنين واجتماعاتهم بمن كانوا يشجعونهم من ملوك وخلفاء وما كان يجري في تلك الاجتماعات من شرب ومجون وخلاعة . زد على ذلك ما تقرأه بين السطور عن عادات القوم في طعامهم وشرابهم وزواجهم الى ما هنالك من امور كثيرة تؤلف للمؤرخ صورة دقيقة عن المجتمع العباسي .

٣- **الفائدة الادبية القيمة** : ليس لهذه الحكايات قيمة قصصية فنية بما لهذه الكلمة من معنى فني حديث . فالحبكة القصصية التي تملك على قارئ القصة انفاسه لا اثر لها في هذه الحكايات ولا ضير عليها من ذلك وهي انما وضعت ، كما ذكرنا في بدء هذا البحث ، لسرد خبر من الاخبار او رواية حادث من الحوادث . على ان قيمتها الادبية قائمة في لغتها المشرقة وبيانها الناصع وبلاغتها العربية . والقصص الاخباري يشترك في هذه الصفات في جميع ألوانه وانواعه . ولهذه الحكايات فائدة ادبية اخرى لا تقل اهمية عما ذكرناه . فلقد مرت بنا عشرات الابيات من الشعر العربي الرقيق لم تكن لتوجد لولا وجود المغنين . وهي قصائد يحق للادب العربي ان يفخر بها .

واخيراً ارى في هذه الحكايات مورداً عذباً ، ومنهلاً طيباً لادباء العرب المحدثين يستلهمونها حكايات جديدة ومواضيع طريفة بل آثاراً ادبية خالدة .

الفصل الثاني

الفَصْصُ البطولي

١ - نشوءه

٢ - ملاحم العالم الكبرى

١ - تسميته

٢ - مادته

٣ - ما هو القصص البطولي

١ - شهرتها

٢ - ماهي ؟

٣ - مؤلفها

٤ - طبعاتها وترجماتها

٥ - اقسامها الرئيسية

٤ - سيرة عنقوة

١ - عنقوة

ب - عبلة

ج - شيبوب

٦ - شخصاتها

٧ - الروح الاسلامي فيها

٨ - منزلتها الادبية

٩ - إلباظة العرب .

نُورُ الفِصصِ البطولي

لكل امة عريقة في المجد والمدنية تاريخ تستوحيه، وماضٍ تتطلع اليه ، وابطال تنسج حول اسمائهم هالة من الاحترام والقداسة ، تخلد في بطون الكتب وعلى الواح القلوب وتمجدهم بما تصوغه حولهم من حكايات اسطورية جميلة تظهر عبقريتهم الحربية وشجاعتهم النادرة مشيدة بما يتحولون به من سامي الاخلاق ورفيع السجاياء .

وليس لهذا النوع القصصي البطولي من تاريخ معين يرجع اليه في نشوئه وتكوينه فلقد نشأ مع الانسان الاول . ولقد حيكت حول الامم القديمة ، تلك الامم التي تحدث عنها التوراة ، عشرات الحكايات الاسطورية . وتناقلتها الالسن جيلاً بعد جيل . وفيها الغريب وفيها الطريف ، وفيها الحقيقة ممزوجة بالوهم والخيال .

ورددت الاجيال صدى هذه الحكايات الوهمية انغاماً حلوة ، تارة على شبات الرعيان يرحون في رؤوس الجبال الشاهقة وبين بطون الاودية الممرعة ، وتارة على انغام ناي عتيق لبدوي فنان، يرسل مع نغماته الحزينة انات نفسه الملتاعة وقلبه المملوع .

وخطت البشرية خطوة جديدة نحو العلم والنور فاذا بالرواة ، رواة العلم والادب والدين في الامم يتناقلون هذه الاخبار ويقصونها حكايات طريفة وروايات منمقة على جمهور من الناس كبير ، يلتف حولهم متلقفاً من شفاههم ، بشغف وانتباه، العبارة تلو العبارة ، والكلمة تلو الكلمة .

وكان المسرح ، او قل ما سمي بهذا الاسم بعد مئات السنين . فاذا به اداة صالحة لنشر هذا القصص في جمهور الناس واذا بالمثلين ، بما وهبوا من مقدرة في تصريف الكلام وزلاقة في اللسان ، وقوة في التعبير والتأثير ، يحملون الرسالة عن الرواة ويؤدونها على وجهها الكامل لجمهور المتفرجين .

وتتفاعل عناصر الامة وتتعاون بعضها مع بعض فتخلق الشاعر الموهوب والفنان العبقرى فيربط بخيطه السحري ما تشتت من هذه الروايات الكثيرة وينظمها عقداً لؤلؤياً وضاء ويسكب عليها شيئاً من فنه وسحره وروحه ، فاذا بها ملحمة من ملاحم العالم الخالدة ، تغنى بآثر الامة واجادها ، وتستعرض تاريخها وعظمتها في خيال مبدع سام ولغة انيقة مشرقة .

تلك كانت طريق هوميروس في الالياذة والاوديسة . وفرجيل في الانياذة ،
والفردوسي في الشاهنامه .

ملامح العالم الكبرى

لجميع امم العالم التي اثرت في مجرى التاريخ ملاحم معروفة يتغنى بها ابناء تلك الامم
مباهين ، مفاخرين .

فالهنود المهاجرات التي يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر او السادس عشر قبل
الميلاد وقد ترجمت الى اكثر من لغة اجنبية .

ولليونان الالياذة والاوديسة (حوالى ٨٥٠ قبل الميلاد) واثهما في الادب العالمي
والفكر الحديث اشهر من ان نشير اليه بكلمة موجزة هنا .

وللرومان الانياذة لفرجيليوس (حوالى ١٩ ق. م) وقد استقى منها دانتي في
الكوميديا الالهية .

وللفرنسيين اغنية رولان (القرن الحادي عشر^(١) للميلاد) . وتتشابه في بعض تفاصيلها
بسيوة غنتو كما سنرى . وهي صلة وصل بين الادب الملحمي القديم والملاحم الحديثة .

والطليان الكوميديا الالهية لدانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١) وهي اكبر اثر ادبي ظهر
في القرون الوسطى . ولقد استوحى الطليان اغنية رولان فكان لهم ملاحم رومانطيقية
كثيرة منها :

١ - مورغانتي ماغيور ظهرت سنة ١٤٨١ وهي للوكي بولسي

Luigi Pulci - Marganti Maggiore.

٢ - اورلاندو الخالد ظهرت سنة ١٤٨٦ وهي لـ م. م. بواردو

M. M. Boiardo - Orlando Immamorato.

٣ - مامبريانو سنة ١٤٩٧ تأليف فرنسيسكو بالو

Francesco Bello - Mambriano.

٤ - اورلاندو الغاضب للشاعر اريستو

Ariosto - Orlando Furioso.

(١) يقول بعضهم انها الفت سنة ١١٠٠ م والبعض الآخر سنة ١٠٨٠ و آخرون سنة ١١٢٥ م .

راجع مقدمة كتاب Chanson de Roland - Joseph Bédier Paris 1937

وهو من شعراء النهضة المعروفين وملحمته من اشهر ملاحم المتأخرين ظهرت في سنة ١٥١٦

٥ - ملحمة اورشليم المخلصة لتاسو

Torquata Tasso — Jérusalem délivré.

ويعدّها بعضهم افخم ملاحم الايطاليين على الاطلاق .
وللاسبان السيّد وهي في مقدمة ملاحم القرون الوسطى كتبت بين سنة ١١١٥ و ١١٧٥ . ولهم ايضاً في الادب الحديث (الاروكانا) (١٥٦٩ - ١٥٩٠) للشاعر زونيجا
Zuniga — Arancana.

وهي اول عمل ادبي ذي قيمة كما يلاحظ بعض النقاد .

وللانكليز (الفردوس المفقود) للشاعر ملتون المتوفى سنة ١٦٧٤م وهي ملحمة دينية تصف تكوين الخائفة توصل ملتون ان يضاهاها هوميروس وفرجليوس . وللالماني هيلوبراند Hildebrand ولهم (انشودة الظلام) Niebelungen Lied وقد جمع اشعارها شاعر جرمانى مجهول في القرن الثاني عشر . وكانت موضوعاً خصباً لحيال الموسيقيين الالماني فاستوحوها موضوعات موسيقية هامة وفاجنو هو في مقدمة هؤلاء الفنانين .

وللفرس الشاهنامه للفردوسي وهي نشيد القوم المفضل كما مر معنا .

ونلاحظ ان الملاحم تقسم الى انواع منها القديمة الكلاسيكية ومنها الحديثة الرومانطيقية . ومنها الشعرية وهي كثيرة ، ومنها النثرية وعددها ضئيل جداً مثل :

دون كيخوت لسرفانتي الاسباني (+ سنة ١٦١٦)

والديكاميرون او الايام العشرة لبوكاتشيو الايطالي (+ سنة ١٣٧٤)

ولقد اهتم بالملاحم الكتاب الاقدمون من يونان ورومان كما انه قد ظهرت مدرسة فلسفية غنيت بهذا النوع من الادب على رأسها : اكرزنا فانوس وبارمينيدس وامباذوقليس^(١) . هذه هي اهم ملاحم العالم وهي تختلف في انواعها وقيمها الفنية الادبية وموضوعاتها باختلاف المؤلفين والعصور والازمنة التي وضعت فيها . ولم نذكرها هنا الا لنظهر اهمية هذا اللون الادبي في العالم ونحن نعلم ان العرب لم يقصدوه بالذات ولم يخلفوا فيه آثاراً تذكر لهم كما مر معنا في مقدمة هذه الرسالة .

القصص البطولي

١ - تعريفه ٢ - تسميته ٣ - مادته

تعريفه : فماذا عيننا اذاً بالقصص البطولي العربي؟ وما هي مخلفات العرب في هذا الفن الادبي؟ وهل تسترعي الاهتمام والانتباه الى اي حد؟

ان معظم ما وصلنا من هذه الحكايات البطولية قد دون حوالى اواخر العصر العباسي الثالث وهي مجهولة المؤلف ، ضعيفة الشخصية ، هزيلة اللغة والاسلوب ، دونت لارضاء الطبقة العامة من الجمهور ليس لها لون ادبي فني ولا رونق . وهي ، وان تكن تصور المجتمع العربي من نواح عديدة في اعصره القديمة ، فالركاكة والاسفاف ، وما فيها من خلط تاريخي في سرد الحوادث والوقائع ، يحملنا على القول انها وضعت للتسلية في الدرجة الاولى .

اما لماذا اطلقنا عليها اسم القصص البطولي فلأنها تدور في مواضيعها المتعددة ورواياتها الكثيرة حول بطل او ابطال معروفين من ابطال العرب، كما انها تصف ايام العرب ووقائعهم المشهورة، معددة الشخصيات الكثيرة التي اشتهرت في هذه الحروب. هذا ما حملنا على تسميتها بالقصص البطولي. فهي وان لم تبلغ درجة سامية من فن الملحمة وآدابها كما كثر الملاحم التي تقدم ذكرها ، فهي تقوم ، مثل تلك الملاحم ، على تمجيد البطولة والتغني بذكر الوقائع وصفات الرجولة والشجاعة . وبما لا شك فيه ان تلك الحوادث المتشابهة وتلك الوقائع التي تؤلف موضوع هذه الحكايات البطولية ، لو اتبع لها شاعر عربي مرهف الشعور رقيق الاحساس عميق الخيال او كاتب موهوب يعرف كيف يصل بين اجزائها المتقطعة ساكباً فيها روحاً من روحه ونغمات من انغامه لكان للعرب ملاحم لا تقل شأنًا وخلوداً عن الملاحم المذكورة .

ما هي هذه الحكايات ؟

والى القارئ بعض هذه الحكايات التي تدخل في هذا الباب . وسندكرها واحدة واحدة دون ان نقف عندها طويلاً لسبيين :

اولاً : ان بعض هذه الحكايات ليس مطبوعاً كما سنرى . وبعض المطبوع منها

غير متيسر وجوده في البلدان العربية .

ثانياً : ان هذه الحكايات تكاد تكون في مجموعها نسخة واحدة بعضها عن بعض ، في الموضوع والاسلوب .

على اننا خصصنا عترة بدراسة خاصة لانها تمثل ، في عرفنا ، القصص البطولي اتم تمثيل . فهي اكمل مثال وصلنا من هذا النوع الادبي ويعدها بعض النقاد للعرب بمثابة الاليادة لليونان^(١) .

اما الحكايات البطولية التي اشرنا اليها فهذا بعضها :

١ - قصة شيبان مع كسرى انوشروان . مطبوعة في بمباي . لم نستطع ان نحصل على نسخة منها . وصفها زيدان في الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية^(٢) فقال ما فحواء : انها قصة تاريخية قريبة من الرواية الخيالية لان مؤلفها توسع بحوادثها التاريخية بتصرف . وتدور هذه القصة على حروب شيبان وكسرى انوشروان وسببها . وهي نثرية ويتخلل حوادثها قصائد يظهر عليها انها مصطنعة حديثاً فضلاً عن بعض القصائد الحقيقية التي نظمها ابطال القصة . وليس لهذه القصة مؤلف معروف كما كثرت هذه الحكايات انما هي مروية عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي .

٢ - قصة بكر وقلب

مطبوعة في بمباي ايضاً سنة ١٣٠٥ هـ في ١٢٠ صفحة لم نحصل عليها فنعطي فيها رأياً شخصياً وهي قصة تاريخية اكثر منها رواية خيالية . تنسب روايتها لمحمد بن اسحق ، صاحب السيرة النبوية . ذكر فيها اخبار كليب وجساس وضمنها قصائد حماسية اراد بها اظهار شهامة العرب وفروسياتهم وخاصة ربيعة .

٣ - قصة البراء العمر بن حبة + سنة ٢٦٢ هـ

وهي قصة تاريخية موجودة ضمن مجموعة خطية في المكتبة الخديوية في مصر اسمها (الجمهرة) . والغريب ان ابن النديم في ترجمته لابن شبة ذكر له اكثر من عشرين كتاباً

(١) زيدان — الهلال مج ٥ : ٧٣٠ والزيات — تاريخ الادب العربي ص : ٢٤٩ و Huart

في كتابه : Littérature Arabe ص : ٣٦٧

(٢) زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص : ٢٩٤

ولم يذكر بينها اسم الجهرة^(١) على ان زيدان وقف على هذا المخطوط وهو يشتمل على اخبار العرب العرباء وشيء من ايامهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم واليمن اما البراق فهو بطل هذه القصة ، وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء المهلهل وكليب . وليلي بنت لكيز هي ابنة عم البراق ولها خبر معه تداولته اللسان والرواة وتوسعوا فيه حتى اصبح مجموعة اخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجهرة في خمس قصص متسلسلة :

اولاً : الحرب بين ربيعة وطي ثم بين ربيعة وطي وقضاة ودخل البراق على رأس ربيعة وجرت بين الطائفتين ثمانى وقائع .

ثانياً : قصة قطيعة مضر وربيعه .

ثالثاً : قصة سبي ليلي بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم والحروب التي اثيرت بين العرب والعجم والروم بسبب ذلك السبي . والبطل هو دائماً البراق .

رابعاً : قصة الحرب او الحروب بين وائل واليمنيين لقتل كليب احد الاسرى وفي هذه القصة يدخل كليب والمهلهل .

خامساً : قصة حرب البسوس .

وهي قصة قائمة بنفسها ، حوادثها عنترية تكثر فيها الحماسات والمبارزات حتى يخيل للقارئ انه يطالع عنتره . هذا ما يقوله زيدان عن هذه القصة التاريخية^(٢) ثم يضيف الى ذلك ان هذه القصة لو دونت في العصر الذي دونت فيه سيرة عنتره لصارَت مثلها . ولكنها دونت قبل عنتره بقرن وبعض القرن . على ان لغة (البراق) اصح واقرب الى صدر الاسلام واول مبالغة من لغة عنتره .

٤ — قصة سيف بن ذي يزن :

يرجع تاريخها الى اواخر القرن الرابع عشر الميلادي . وهي متأثرة ، الى حد ، بحكايات الف ليلة وليلة . تدور حوادثها في مصر القاهرة وهي حوادث تاريخية حربية جرت بين المسلمين والاحباش الوثنيين . وفيها كثير من الحوادث الخرافية ابطالها الجن والعفاريت والارواح الساحرة .

(١) ابن النديم — الفهرست ص : ١١٢

(٢) زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ٢٩٣

موضوعها : سيف بن ذي يزن هو احد ملوك اليمن ولد من ام جارية كانت قد سميت زوجها قبل ولادة سيف. فلما ولد سيف في الصحراء اخذت تغذيه ظبية بطريقة عجيبة. ويعثر عليه الصيادون فيقتادونه الى بلاد الحبشة حيث يشب هناك بطلاً صنديداً ويلعب اسمه في الحروب الكثيرة والمعامع الحامية التي تدور رحاها تارة بين سيف والمختطف ، الملك الكافر ، وتارة بينه وبين سعدون للحصول على كتاب (النيل) الذي وضعه مهراً للزواج بشامة . وبعد حوادث عديدة ومجازفات عجيبة تلعب فيها الجن والسحرة دوراً كبيراً يعود سيف الى بلاده متعباً « بعد ان احيا الارض بالايامن وحظي من الله بالثواب والاحسان . . ويعتزل الناس في جبل خال تاركاً الحكم لولده مصر^(١) » .

يقول بارت^(٢) : « ان هذه القصة تعطينا صورة صادقة عن عقلية الشعب المسلم في مصر في اواخر القرون المظلمة وتؤلف ، في الوقت نفسه مصدراً قيماً لتاريخ الاسلام بمعناه الصحيح^(٣) . »

ويذكر كامل الكيلاني في قصته حي بن يقظان^(٤) « ان صاحب قصة سيف بن ذي يزن اقتبس فكرة ارضاع الظبية لسيف بطل قصته عن حي بن يقظان ، ثم ارتقى من الظبية الى جنبة تعطف عليه وترضعه . »

ويذكر المؤرخ الفرنسي هيار في كتابه تاريخ الادب العربي^(٥) ترجمة فرنسية لهذه السيرة بقلم علي بك ظهرت في القسطنطينية سنة ١٨٤٧م باسم (السلطان سيف ذو يزن)

٥ - سيرة بني هلال

العنصر التاريخي في القصة

بنو هلال قبيلة عربية عرفت في الجاهلية بتقديس الكعبة. وعاشوا في العصر العباسي وهمهم النهب والسلب. فجرت بينهم وبين الفاطميين حروب كثيرة حملتهم على الرحيل الى بلاد المغرب .

(١) سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن — مج ٤ : ١٢٠٨

(٢) Encyclopedy of Islam Vol : IV pp. 72.

(٣) كامل الكيلاني — حي بن يقظان — مطبعة المعارف مصر سنة ١٩٣٥ ص : ٨٢

(٤) Huart — Littérature Arabe p: 401. (٥)

هذا هو العنصر التاريخي في سيرة بني هلال . وجاء القصاص والشعراء والرواة فحاكوا حول هذه الحروب الاساطير الكثيرة واضفوا عليها شيئاً من خيالهم وقبساً من روحهم فجاءت اداة صالحة ، خصة لحكايات بطولية حبية او بالاحرى للملحمة عربية تكاد تكون فريدة في الادب العربي .

أقسام السيرة وموضوعها

وصلت الينا سيرة بني هلال في طبعتين منقحتين مختلفتين .

(١) السيرة الشامية

(٢) السيرة الحجازية .

وهي تقسم الى ثلاث مراحل . في المرحلة الاولى تاريخ عام ووصف شامل لحياة بني هلال في بلاد السرو وعباده^(١) حيث يولد للملك المنذر ابنان هما جابر وجبير جداً الهلالين .

المرحلة الثانية : حكاية بني هلال وهم يرحلون الى بلاد نجد لجوع اصابهم واستقبال الامير غانم وابنه دياب لهم استقبالا حسناً .

المرحلة الثالثة : تغريبة بني هلال او رحلة بني هلال الى بلاد المغرب ، ووصف حروبهم مع الزناتي خليفة سلطان تونس سنة ٥٤٠ هـ ، ١٠٦٨ م . وتشابك في هذا القسم الحوادث بعضها في بعض ، وتكثر الاسماء ، اسماء القبائل المتحاربة ، واسماء الابطال المتحاربين ، وتختلط الحقيقة بالخيال ، والتاريخ بالاسطورة ، وتقوم الحروب في سبيل الاستيلاء على العروش السبعة والاربعة عشر قصراً في بلاد المغرب . مما يُثير في نفس القارئ حب الاستطلاع والتشوق لمتابعة قراءة الكتاب .

مصادر السيرة

لا بد لنا ، ونحن ندرس سيرة بني هلال ، من الاشارة الى المصادر القديمة التي استند عليها جامع هذه الحكايات او جامعوها ، وذكر كلمة عن العلماء الغربيين والشرقيين

(١) السرا او سرو مدينة باذريجان وهي بين اردبيل وتبريز خربها التتر سنة ٦١٧ هـ — راجع عنها معجم البلدان مج ٣ : ٦٤

الذين درسوا هذه الحكايات دراسة علمية أدبية فادوا للادب العربي خدمة تذكر لهم ورفعوا قيمة هذا الادب الشعبي في عيون ابناء الغرب والشرق .

قلنا ان مرور بني هلال في افريقيا وحروبهم مع الفاطميين في القرن الحادي عشر كان حادثاً تاريخياً له خطره وله اثره في نفوس الشعراء والقصاص والرواة في ذلك الزمن فاستغلوه استغلالاً ادبياً فنياً ونظموا فيه القصائد ورووا عنه الحكايات . ولقد حفظ ابن خلدون بعض هذه الحكايات وشيئاً من القصائد التي استندت عليها السيرة فكان ابن خلدون اقدم مصدر استند عليه جامعو هذه الحكايات واستقوا منه ^(١) .

اما ابن الاثير (+ ٦٣٠ هـ) وغيره من المؤرخين العرب فلم يذكروا عن بني هلال سوى تاريخهم وعلاقتهم بغيرهم من الشعوب التي حاربوها ^(٢) ولعل المستشرقين هم اول الذين اثاروا بحثاً علمياً في مثل هذه الحكايات كما تقدم فلقد اصدر المستشرق الورد Ahlwardt كتالوج المخطوطات العربية في مكتبة برلين وذلك سنة ١٨٩٦ م يلخص فيه كثيراً من الحكايات العربية ، نحو ١٧٣ مخطوطة من رقم ٩١٨٨-٩٣٦١ ، ومنها سيرة بني هلال وهي تشغل من الكتاب محلاً كبيراً ^(٣) .

وكتب المستشرق هارتمن سنة ١٨٩٨ م مقالا باللغة الالمانية بعنوان : (حكايات بني هلال) اشاد فيه بقيمة هذا الادب الشعبي ومادته السخية ودرس المصادر الاساسية التي استوحيت منها هذه الحكايات « البطولية الحبية » ^(٣) .

ولقد سبق هذين المستشرقين الاستاذ Basset ببحثه القيم بعنوان :

Un Episode d'une Chanson de Geste arabe. وقد صدر سنة ١٨٨٥ م والذي يقول فيه هوار صاحب كتاب الادب العربي ان كتاب Basset ذو قيمة من حيث المصادر .

زد على ذلك ان Basset هو اول من عبّد الطريق لدراسة هذه الحكايات الشعبية عن بني هلال .

وهناك الفرد بل Bel المستشرق الفرنسي وقد كتب مقالا مطولاً قيماً بعنوان

(١) Huart ص : 398

(٢) Huart — Littérature Arabe Paris 1902 p: 398.

(٣) Journal Asiatique, 9^{me} série p: 322.

«الجازعة» Djazya استطعنا ان نطلع عليه في المجلة الاسيوية^(١) وان تقبس منه معلومات كثيرة عن هذه السيرة .

ويجد القارئ، جدولاً مفصلاً بكل هذه المصادر التي ذكرناها وبكثير غيرها في كتاب Bibliographie des Ouvrages Arabes ببليوغرافيا المؤلفات العربية لمؤلفه فيكتور شوفان^(٢) كما انه يعدد طبعتها الكثيرة المختلفة مع تواريخها .

سيرة بني هلال والشاهنامة

يرى المستشرق هيوار^(٣) تشابهاً في بعض مشاهد الشاهنامة وسيرة بني هلال وذلك عندما يلتقي ابو زيد الهلالي بالامير رزق ويصوب اليه رمحه قاصداً قتله وكل منهما يجهل الآخر حتى تأتي ام ابي زيد وتشرح لابنها وخامة عمله فيما لو اقدم على قتل الامير الذي ليس هو في الحقيقة غير ابيه ! ان هذا المشهد ، في زعم هيوار ، شبيه بمشهد آخر في شاهنامة الفردوسي عندما يلتقي رستم بابنه سحراب فيقتل الاب ابنه دون ان يعرف الواحد منهما الآخر^(٤) ، الا بعد ان يقع المقدر .

والذي نقوله: ان في سيرة بني هلال وفي غيرها من هذه الحكايات البطولية كثيراً من المشاهد التي قد تتشابه ببعض المشاهد في الملاحم العالمية الكبرى ولكنها تبقى قليلة لا تخول الباحث الحق في اصدار حكم نهائي في الموضوع . على اننا نعتقد ان مثل هذا الحكم لا يحق اصداره الا بعد دراسة خاصة عميقة، ومقارنة صحيحة بين هذه الحكايات وبين الملاحم العالمية الاخرى .

ولعل المستشرق الالماني برنهارد هالر في كتابه عن سيرة عنترة في ادب المقارنة هو المستشرق الوحيد الذي وفي الموضوع حقه من الدرس . وسنعرض لكتابه في دراستنا عن سيرة عنترة^(٥) .

(١) Journal Asiatique, 9^{me} série XIX pps: 289 et seq.

(٢) Bibliographie des Ouvrages Arabes — Tome III p: 128 et seq.

(٣) كلمان هيوار احد المستشرقين الفرنسيين واستاذ اللغة العربية في مدرسة اللغات الحية في باريس ومؤلف كتاب تاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ بغداد الحديث . راجع عنه زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ : ١٧٩

(٤) Cl. Huart — Littérature Arabe p: 398.

(٥) B. Heller — Die Bedenteng Des Arabischen, Antar : راجع في الموضوع Romano Für Die Nergleichend Litteraturkund.

سيرة عنتره بن شداد

- ١ - شهرتها
- ٢ - ما هي ؟
- ٣ - مؤلفها
- ٤ - طبعاتها وترجماتها
- ٥ - اقسامها الرئيسية
- ٦ - شخصياتها

١ - عنتره ب - عبلة ج - شيبوب	}	
------------------------------------	---	--
- ٧ - الروح الاسلامي فيها
- ٨ - منزلتها الادبيه
- ٩ - الياذة العرب

سيرة عنترة بن شداد

شهرتها : قال اسكندر آغا ابكار يوس في كتابه « منية النفس في اشعار عنترة عيس^(١) » متحدثاً عن شهرة سيرة عنترة وعن شغف الجمهور بها :

« بلغنا عن رجل من اهل حمص كان يحضر كل ليلة الى حلقة القصاص يسمع فصلاً من قصة عنترة . ففي احدى الليالي تأخر في حانوته الى ما بعد المغرب ، فحضر الى هناك بدون عشاء . وكان في تلك الليلة سياق حرب عنترة مع كسرى ، فقرأ القصاص الى ان وقع عنترة في الاسر عند الفرس ، فحبسوه ووضعوا القيد في رجله . وهناك قطع الكلام وانفضت الناس ، فدخل على الرجل امر عظيم واسودت الدنيا في عينيه وذهب الى بيته حزيناً كئيباً . فقدمت له زوجته الطعام فرفض المائدة برجله ، فتكسرت الصحون وانصب ما فيها على فرش البيت ، وشتم المرأة شتماً قبيحاً فصادمته في الكلام فضرها ضرباً شديداً ، وخرج يدور في الاسواق ، وهو لا يقر له قرار . ثم غلب عليه الحال فذهب الى بيت القصاص فوجده نائماً فايقظه وقال له : قد وضعت الرجل في السجن مقيداً واتيت مستريح البال ! فارجوك ان تكمل لي هذا السياق الى ان تخرجه من السجن فاني لا اقدر ان انام ولا يطيب عيشي ما دام على هذه الحال . وانظر ما تجمعه من الجمهور في ليلتك فانا اعطيك اياه الآن . فاخذ القصاص الكتاب وقرأ له باقي السياق الى ان خرج عنترة من السجن فقال له : اقر الله عينيك واراح بالك . الآن طابت نفسي وزالت همومي فخذ هذه الدراهم ولك الفضل . ثم انصرف الى بيته مسروراً وطلب الطعام واعتذر لأمراته بان القصاص وضع له القيد في رجل عنترة وهي جاءت به بالطعام لئلا كل فكيف يمكنه ان يذوق طعاماً وعنترة محبوس مقيد ؟ قال : واما الآن فقد ذهبت الى بيت القصاص وقرأ لي الحديث الى ان اخرجه من السجن والحمد لله ، قد طابت نفسي فهاتي ما عندك من الطعام واعذريني عما فرط مني . »

فهذه الحكاية ، على بساطتها وسذاجتها تبين شغف العامة من الناس بسيرة عنترة وتعلقها الشديد بجميع تفاصيلها . وسنرى ، بعد ان ندرس هذه السيرة ، بشيء من التدقيق والتفصيل ان هذا التقدير لم يقتصر على العامة بل تعداها الى الخاصة من الناس ، فالى الادباء والمتأديبين فالمستشرقين . لقد اعاروا هذه السيرة اهتمامهم الشديد وكتبوا

(١) اسكندر آغا ابكار يوس — منية النفس في اشعار عنترة عيس ص : ٥ - ٦

عنها الفصول الإضافية وعلّقوا عليها التعليقات الكثيرة حتى ان بعضهم الف فيها كتباً قائمة بذاتها . والحقيقة ان سيرة عنترة تستحق مثل هذه العناية من قبل رجال البحث والادب لانها تمثل قصص الفروسية عن العرب ، اصدق تمثيل . وهي اطول الحكايات العربية البطولية واشرفها مقصداً زد على ذلك ان بطلها هو عنترة الفارس الشاعر الذي ملأ الآفاق صيته وطبقت العالم شهرته .

لذلك وجب على دارس القصص البطولي عند العرب ان يتناول هذه السيرة فيدرسها درساً دقيقاً مقارناً ، مبنياً منزلتها القصصية الادبية بين الحكايات الشعبية العربية وبين مثيلاتها من الحكايات الغربية . ولست انكر على القارئ صعوبة هذا الدرس على من كان مثلي وفي حالتي تنقصه اكثر المصادر الاجنبية عن هذه السيرة وهي مصادر لها اهميتها ولها اعتبارها . كذلك ليس غرض رسالتي هذه البحث في نوع واحد من انواع القصص كما ذكرت سابقاً . وليست عنترة ، على منزلتها الرفيعة في القصص البطولي ، الالواناً واحداً من هذه الالوان الادبية المتعددة . وعندي انها تستحق دراسة علمية قائمة بذاتها ليس هذا البحث الذي نقدمه للقارئ الا مدخلاً لها وتمهيداً .

ما هي سيرة عنترة ؟

هي اعظم الحكايات العربية البطولية وهي تتناول حياة العرب في العصر الجاهلي فتصورها لنا من جميع وجوها وتطلعنا على عادات العربي في ذلك الزمن وايامه وشجاعته وكرمه ووفائه وتضحيته وحبه الضيف وحسن مراعاته الجوار وما شاكل هذه الصفات التي اشتهر بها العرب .

وهي تقوم في اساسها على ولادة عنترة ، اشهر ابطال الجاهلية واحد شعرائها المبدودين من زيبية الجارية الحبشية السوداء وكيف ان هذا العبد الاسود ، رغم ضعة نسبه من جهة امه ، ورغم تقديس العرب الجاهليين عنصر الدم في ذلك الوقت ، استطاع ان يشق طريقه الى المجد والعظمة وان يربح رضى ابنة عمه عبلة ويتزوج منها ، متكلاً على سيفه وبطولته من ناحية وعلى فصاحته وشاعريته من ناحية اخرى . فهي في ذلك رواية حماسية غرامية ذات مغزى تظهر لنا ، ببروزٍ وجلاء ، عمل الارادة القوية والشجاعة المندفعة ، والحب الصحيح . ان رجل القلب في سيرة عنترة استطاع ، رغم الاهانات

العديدة التي صُبت على رأسه ، ورغم الصعوبات الحارقة التي اعترضته في حياته ، ورغم العراقيل الممكنة وغير الممكنة التي خلقها له خصومه ليقعوه استطاع رغم كل ذلك ، ان يقف صامداً امام هذه المصائب وان يتربع ، هائلاً على عرش ذهبي من المجد والسؤدد وهذا هو الغرض الاساسي المقصود من هذه الحكاية !

مؤلفها :

اختلف العلماء في اسم مؤلفها كما اختلفوا في اسم مؤلفي اكثر هذا النوع من القصص . وحاول الكثيرون من بحث في سيرة عنترة ان يستنتجوا من دراساتهم رأياً معروفاً يركنون اليه ويطمئنون فلم يستطيعوا .

هناك آراء مختلفة متعددة لا تخرج عن حيز التخمين والظن يعزو بعضها سيرة عنترة للاصمعي احد رواة القرن الثاني للهجرة (٧٣٩ م - ٨٣١) ولكن المتأكد منه ان الاصمعي ليس هو الراوية الوحيد الذي يرد اسمه في بعض السياقات من القصة فهناك اسم ابي عبيدة وجنيئة الاخبار ونجد بن هشام وكلهم من الرواة العرب المعروفين .

ويدعي بعض المؤرخين ان اسم الاصمعي موضوع للتستر وراءه^(١) وهناك رأي آخر يقول ان واضع سيرة عنترة هو يوسف بن اسماعيل المصري (٩٧٥ م - ٩٩٦ م) وهو من الرجال الذين كان لهم اتصال بباب العزيز بالله (الخليفة الفاطمي في القرن الرابع للهجرة = اواخر القرن العاشر للميلاد) . قيل انه حدث ربية في دار الخليفة لهجت الناس بها في المنازل والاسواق حتى ساء الخليفة ذلك فاشار على الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساه ان يشغلهم عن هذا الحديث . وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في اخبار العرب ، كثير النوادر والاحاديث . وكان قد اخذ روايات شتى عن ابي عبيدة ونجد بن هشام وجنيئة الاخبار والاصمعي وغيرهم من الرواة . فاخذ يكتب قصة عنترة ويوزعها على الناس فاعجبوا بها واشتغلوا عن سواها . وكان من تلافه في التشويق ان قسم الكتاب الى اجزاء عديدة اوصلها بعضهم الى ٧٢ جزءاً كان يقطع الكلام في كل جزء عند معظم الامر حتى يتطلب المطالع الجزء التالي^(٢) . فيتضح من

(١) Huart Cl. — Littérature Arabe p: 396.

(٢) زيدان — الهلال مج ٥ : ٧٣٠

هذا الكلام ان الاصمعي لم يكن مؤلف القصة كلها لان يوسف هذا لم ينقل عنه الا بعض حوادثها اما البعض الآخر فقد نقله عن رواية آخرين غيره .

ولقد تنبه الى تعدد هذه الآراء في مؤلف سيرة عنترة بعض المستشرقين فاشار احدهم الى تعذر معرفة مؤلفها والزمن الذي ألفت فيه^(١) مما حمل المستشرق هامر بيرجستال على كتابة مقال مطول في الجريدة الاسيوية يُدلي فيه برأي جديد في تأليف عنترة يدعي فيه ان القرن الاول الهجري قد عرف القصص الذين استغلوا عنترة ابا الفوارس وحوادثه الحارقة ولكن سيرة عنترة لم توضع ولم تسم بهذا الاسم الا في القرن السادس هجري . وضعها احد اطباء وشعراء العراق المشهورين ابو المؤيد ابن الصايغ الملقب بالعنثري^(٢) . اما المصدر الذي يستند عليه هذا المستشرق فهو قول لابن ابي اصيبعة في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » جاء فيه :

« ... ان العنثري كان في اول امره يكتب احاديث عنتر العنسي فصار مشهوراً بنسبته اليه^(٣) » وابن الصايغ هذا عاش في اواسط القرن السادس هجري فهو من ادباء القرن الثاني عشر ميلادي . ويفخر كاتب المقال بانه كان اول من ادخل الى اوروبا مخطوطاً كاملاً عن سيرة عنترة وذلك لست وثلاثين سنة خلت فمن حقه ان يفخر بانه اول من يشير الى مؤلفها الحقيقي .

والذي نراه ان هذا القول لا يختلف في اساسه من حيث تعيين مؤلف السيرة عما سبقه من الاقوال وان كان ذا نصيب اكبر من الوجاهة والتقدير . فهل من الدليل الجازم القاطع ان يقول احد المؤرخين بان ابن الصايغ ، وقد اشتهر بعلمه الطبية في القرن الثاني عشر ، كان يكتب اول امره احاديث عنترة ، حتى تنسب اليه قصة كاملة كسيرة عنترة ؟

ان الادلة الخارجية للجزم في هذا الامر تنقصنا فلم يبق امامنا غير تحري النص وهذا يحتاج الى دراسة عميقة لاسلوب السيرة ومقابلته باسلوب هؤلاء الرواة الذين تتكرر اسماؤهم على انهم مؤلفو القصة او مقابلته باسلوب ذاك العصر الذي كانوا يعيشون فيه . على ان الباحث ، يستطيع ، بشيء كبير من السهولة ، ان يلاحظ ما في السيرة من

(١) Journal Asiatique tome V, 1838 p: 383.

(٢) Journal Asiatique tome V, 1838 p: 386.

(٣) ابن ابي اصيبعة — عيون الانباء في طبقات الاطباء سنة ١٨٨٢ مصر ج ١ : ٢٩٠

اخطاء نحوية وصرفية ، وما فيها من ضعف في اسلوبها ، يبلغ بها ، بعض الاحيان ، حد الاسفاف ، مما يحملنا على الحكم ان مثل هذا الاسلوب يختلف اختلافاً بيناً عن اسلوب الاصمعي واصحابه الرواة الآخرين .

والحقيقة التي تبدو لنا ان سيرة عنتره كاخواتها التي مر ذكرها لم يكن مؤلفها واحداً بل تداولتها عدة السن ودونت حوادثها عدة اقلام ودخلها من الخلط التاريخي والمفوات الكثيرة ما ينفي عنها نسبتها الى مؤلف واحد معروف .

وما قلناه في مطلع هذا الفصل من ان اكثر هذه الحكايات البطولية مجهولة المؤلف نقوله ، ولكن بشيء من الحذر عن سيرة عنتره . ذلك ان هذه السيرة ، وان تداولتها ايدي كثيرة ولحقت بها زيادات عديدة حتى اصبحت على ما هي عليه من التضخم والاسفاف ، تبقى ذات علاقة وثيقة بيوسف بن اسماعيل وبابن الصايغ وربما بغيرهم من الرواة الذين ذكرنا اسماءهم سابقاً .

وليس من المستبعد ان يكون جميع هؤلاء المذكورين وغيرهم كثيرون ممن لم تصلنا اسمائهم قد ساهموا في وصول هذه القصة البنا على هذه الصورة لان حوادث عنتره الشاعر البطل قد استغلها الرواة القصص استغلالاً ادبياً عظيماً ، فجاء الادباء من بعدهم يجمعون ما تشئت من هذه الحكايات ، وكان خيال القصص في تزويق هذه الحوادث وترتيبها وعرضها مجال فسيح فوصلت البنا وهي في حالتها الحاضرة من التشويش في التأليف وسرد الوقائع سرداً ينقصه الوحدة في التفكير والانسجام المتزن في التعبير .

والمرجح ان سيرة عنتره ليست ابعد من عصر الصليبيين ، دوت حوادثها في اواخر القرن الرابع هجري حوالى سنة ٣٨٠ هـ .

طباعتها وترجماتها :

الحقيقة ان سيرة عنتره مختلف في روايتها اختلافاً قد لا يكون جوهرياً ولكنه يجعل منها ثلاث سير بدلا من واحدة نسميها فيما يلي :

١ - السيرة الحجازية وهي اصول هذه الروايات .

٢ - السيرة الشامية .

٣ - السيرة العراقية وهي لا تختلف اختلافاً بيناً عن السيرة الشامية. لذلك يمكننا القول ان سيرة عنتره معروفة في سيرتين :

١ - السيرة الحجازية وهي كاملة .

٢ - السيرة الشامية وهي مختصرة وقد تكون تشابه تشابهاً كبيراً بالسيرة العراقية كما ذكرنا^(١) .

ولها طبعات عديدة نشير الى اقدمها ونحيل القارئ الى المصادر التي تعدد تلك الطبعات :

١ - طبعت في بيروت (١٨٦٩ - ١٨٧١) في ١٥٤ كتاباً في ٩ مجلدات .

٢ - بيروت - المطبعة الادبية (١٨٨٣ - ١٨٨٥) في ١٥٥ كتاباً في ستة مجلدات وهذه هي الطبعة التي اعتمدناها في رسالتنا .

٣ - القاهرة (١٨٨٨ - ١٨٩٣) في ٣٢ جزءاً . وهذه الطبعة تعتمد السيرة الحجازية

٤ - وقد اخذ بطبعها سليمان الحارثي والاب بُركاد Bourgade في ذيل جريدة (برجيس باريس) سنة ١٨٦٥ و ١٨٦٦ ولكن لم يظهر منها الا جزءان من اثني عشر جزءاً^(٢) .

ويعدد شوفان في كتابه المذكور (ماأخذ الكتب العربية) طبعاتها وترجماتها بالتفصيل الوافي فمن اراد الاطلاع عليها فليرجع اليه^(٣) .

ترجماتها

لا بد من الاشارة الى العدد الكبير من المستشرقين وغيرهم من ادباء الغرب الذين تصدوا لهذه الحكايات البطولية تروى عن عنتره . فمنهم من اخذ يبحث فيها بحثاً ادبياً تحليلياً مقارناً ومنهم من دفعه اعجابه بها الى ترجمتها او ترجمة قسم منها . نذكر من المستشرقين الفرنسيين الذين عملوا على ترجمتها او ترجمة بعضها :

(١) M. Hartmann — The Encyclopædia of Islam Vol. I p: 362

(٢) فؤاد افرايم البستاني — المشرق مج ٢٨ : ٦٤١

(٣) Chauvin — Bibliographie des Ouvrages Arabes Vol. III p: 113

Cardin de Cardonne

١ - كاردن دي كاردون

Du Perceval

٢ - دي برسفال

Cherbonneau

٣ - شربونو

Dugat

٤ - دوغا

Devic

٥ - دوفيك

وللشاعر الفرنسي المشهور الفونس دي لامارتين اعجاب خاص بسيرة عنتره فلقد اطلع عليها ، على ما يظهر ، في زيارته للشرق وخصها ببحث في كتابه القيم عن الشرق (رحلة لامارتين الى الشرق ^(١))

ولم يقف اعجاب لامارتين عند هذا البحث المقتضب في كتابه المذكور بل نشر بحثاً آخر في مجلة « المتمدن » Le Civilisateur سنة ١٨٥٤ بعنوان : عنتر او التمدن الريفي Antar ou la Civilisation pastorale . وقد نشر هذا البحث على حدة ثم اعاد نشره بعنوان : عنتر سنة ١٨٦٤ م . اما دوفيك الذي اشرنا اليه سابقاً فقد كتب كتاباً عن عنتره بعنوان : حوادث عنتره بن شداد طبع في باريس سنة ١٨٦٤ م .

وكان قد سبق هذا التاريخ وترجم نحو ثلث السيرة الى اللغة الانكليزية تاريك هاملتون Terrik Hamilton سكرتير السفارة الانكليزية في القسطنطينية في ذلك العهد . اما ترجمته فقد نشرت في لندن سنة ١٨٢٠ في اربعة مجلدات بعنوان :

عنتره - حكاية بدوية - Antar — A Bedween Romance

وهناك بحوث كثيرة في هذه السيرة نشرت في المجلة الاسيوية وفي غيرها من كتب الادب سنشير اليها في سياق بحثنا عنها . وعلى من يرغب في زيادة الاطلاع على ترجماتها واللغات التي ترجمت اليها ، وهي كثيرة ، واسماء الذين اهتموا بذلك ، ان يعود الى كتاب المستشرق شوفان المذكور ففيه تفصيل ما اجملاه هنا .

افسام السيرة الرئيسة

تسهيلاً للبحث نقسم سيرة عنتره الى ثلاثة اقسام :

اولاً : زواج عنترة من عبلة بعد مصاعب لا تحصى واهوال لا حد لها .
 ثانياً : سعي عنترة المتواصل لظهار فصاحته وشاعريته وتعليق معلقته في الكعبة
 ثالثاً : رحلات عنترة خارج الجزيرة العربية وغزواته الكثيرة وموته .

موضوع السيرة :

ليس للسيرة موضوع واحد كما يظهر من اقسامها الرئيسية الثلاثة المشار اليها سابقاً
 ولكنها تتناول اموراً كثيرة منها ما يمت الى عنترة وسباق القصة بصلة ومنها ما لا
 علاقة له مطلقاً بجوهر السيرة وسيرها الفني الطبيعي . ولكن هناك حوادث بارزة في
 السيرة تفرض نفسها على القارئ اكثر من غيرها وهي تؤلف عناصر القصة وموضوعها
 الاساسي وهي :

لون عنترة ، حب عنترة ، تمجيد البطولة في سيرة عنترة ، تمجيد الحسب والنسب
 والافتخار بها . وسنرى بالتفصيل ان هذه العناصر الاربعة تكاد تكون كل ما في
 السيرة . فرواة السيرة مهمهم كثيراً ان يكون عنترة « اسود ادغم ، افطس المناخر ،
 واسع المحاجر ، مهذل الاشداق ، مفلفل الشعر^(١) » . في عصر كان العرب يقدسون فيه
 العرقية الدموية، حتى اذا ما التقى بفرسان العرب الميامين في ساحات الوغى واحتقروه
 لسواد جلده ، فخر عليهم ، وهو العبد الاسود ، بقوته وجبروته فكان ذلك ادعى
 لاحتقارهم واذل لرفعتهم وتكبرهم ! .

وحب عنترة ، كما سنرى ، هو عنصر جوهري من عناصر السيرة . فمن اجل هذا
 الحب يعيش عنترة ، ومن اجل هذا الحب يناضل ويحارب ، ومن اجل هذا الحب يموت
 ميتة الابطال ! .

ويأتي في الدرجة الثالثة عنصر البطولة في السيرة . وهذا العنصر هو الذي يجعل من هذه
 الحكاية حكاية بطولية من الدرجة الاولى . نرى ان حوادث الرواية تجري كلها في نسق
 واحد وترتيب واحد ومجري واحد هو تمجيد البطولة والمفاخرة بالفروسية الصحيحة . فعنترة
 تحبه الفوارس وتعجب به وهم خصومه وما ذلك الا لبطولته وعزة نفسه^(٢) . وهو لا
 يحترم هؤلاء الفرسان خصومه ويحبهم الا لانهم ابطال صناديد لذلك فهو يكرمهم في

(١) سيرة عنترة ج ١ : ٦

(٢) سيرة عنترة ج ٤ : ١٣٠٧

حياتهم ومماتهم ويشهد بقوتهم وبطولتهم كما يشهدون هم بدورهم بقوته وبطولته^(١).
 وإذا ما ظفر عنترة بخصم من خصومه الإبطال عفا عنه أكراماً لهذه البطولة^(٢) حتى
 يصبح هذا العفو قاعدة مطردة تجري عليها فرسان العرب فيقول ربيعة بن المعدم بعد
 أن ظفر بعمره :

« انك اذا ظفرت بفارس في الحرب ابق عليه كما ابقيت انا عليك^(٣) » .

بقي العنصر الرابع وهو عنصر الحسب والنسب والافتخار بها. وهو لا يبدو بارزاً
 بروز العناصر الثلاثة الأولى ولكنه لا يقل عنها أهمية على ما يظهر لي. فالبطل مهما سما
 ببطولته ورجولته لا يفخر به العرب إلا إذا عظم حسبه وعرف نسبه . والولد ينشأ يتيم
 الأب حتى إذا كبر وقف أمام امه يسألها عن أبيه وهل كان كريم المحند؟ ومن هم آباؤه
 واجداداه؟ وهل يحق له الافتخار بهم والاعتزاز بأعمالهم المجيدة؟ حتى إذا عرف أنه
 منحدر من أرومة شريفة وقبيلة عزيزة الجانب تاه عجباً وفخر نسباً وقال في سياق
 قسمه : « وحق كذا وكذا... وجدي المنتسب^(٤) ! »

وبما لا شك فيه أن في السيرة مسائل كثيرة غير هذه الأمور الأربعة التي ذكرت
 سابقاً ولكنها مسائل تبقى ثانوية بالنسبة لسياق القصة وجراها الطبيعي .

أن في السيرة صورة صادقة لحياة العرب في الصحراء في العصر الجاهلي فهي تصف
 حبهم وبغضهم وانتقامهم وحريرتهم وغزواتهم وأيامهم وميلهم الفطري إلى إنشاء الشعر
 وغير ذلك من الشؤون التي أثرت عن العرب الجاهليين .

وفي السيرة أيضاً كثير من الحوادث التاريخية لذلك العصر السحيق ولكنها حوادث
 غير موثوق بصحتها كما سنبين في مكان آخر من هذا البحث . وأخيراً مهما كثرت
 الحوادث في سيرة عنترة ومهما كانت موضوعاتها متعددة فإن العناصر الأربعة المار
 ذكرها تبقى مسيطرة عليها سيطرة فعالة تجعل منها وحدة مترابطة أجزاءها ولو
 بعض الترابط .

(١) سيرة عنترة ج ٤ : ١٧٠٥

(٢) سيرة عنترة ج ٤ : ١٧١٩

(٣) سيرة عنترة ج ٤ : ١٦٨١

(٤) سيرة عنترة ج ٥ : ١٧٨٦

شخصياتها : الافرنج والصفات

تتكاثر الشخصيات في سيرة عنتره وتتعدد بتكاثر الحوادث وتعدددها . اما هذه الحوادث فلا حصر لها ولا عد . ففي كل لحظة دسيسة تحاك ، ومفاجأة تظهر . ومناسبة وبغير مناسبة تشن الغارات على القبائل وتلتهم الفرسان في معارك لا نهاية لها فتزعمى الابطال صرعى على الارض وتتكدس الاجسام بعضها فوق بعض ! وليس في استطاعة الباحث ان يتناول جميع هذه الشخصيات بالدرس والتحليل لانها في اكثرها قد حشرت حشراً في القصة لتملأ فراغ الفصول بالحوادث وتزوي ذوق العامة فليس لها اهمية اولية في السيرة . لذلك اكتفينا بعرض سريع لكل من الشخصيات التالية : عنتره ، عبلة ، شيبوب اخو عنتره ومالك ابو عبلة .

عنتره : يبدو لنا عنتره في السيرة اسطورياً في حبه وبطولته ، وشاعريته وحنكته السياسية ودهائه واخلاقه الرفيعة النبيلة حتى وفي موته ايضاً . ولكي نتحقق من هذا القول لا بد لنا من ان نتناوله من جميع هذه النواحي بشيء من التحليل مستشهدين على ذلك ، بامثلة من السيرة نفسها ولنبدأ في حبه فنقول :

حب عنتره : قلنا ان حب عنتره لعبلة ابنة عمه هو حب اعمى يكاد يكون محور القصة وجوهرها الاساسي . فجميع ما في عنتره وجميع مساعيه السلمية تدور حول هدف اساسي واحد ولغاية واحدة هي الوصول الى الجيبة والزواج منها ! .

وحبه هو حب عنيف ، اعمى ، عميق ، صادق ، مخلص . وعنتره عاشق حزين يشجيه صوت الحمام ويهيج اشجانه وعواطفه نسيمات الريح الناعمة . وهو ، من اجل هذا الحب يتحمل كل اهانة وكل مصيبة ويلاقي مشاق كثيرة ما انزل الله بها من سلطان ! ما ذنب هذا الرجل ليقوم بمثل هذه الغزوات التي لا تنتهي ؟ ولا تقف عند حد ؟ بل ما الدافع الذي يحمله الى ان يزج بنفسه في الجبال الشاهقة والوديان السحيقة والصحاري المقفرة معرضاً نفسه لانياب الوحوش المفترسة واظافرها الحادة ؟

لماذا يتحمل هذه المجازفات الخطرة ؟ وهذه الرحلات الشاقة الطويلة ؟ وفي سبيل من من الناس يغزو القبائل والفرسان والامراء والسلاطين والملوك والصعاليك ، انه يفعل كل ذلك في سبيل عبلة ، تلك الجيبة التي اعماه حبها وكبله هيامه لها . انه لا يرضى

لها مهراً الا الف ناقة من النوق العصافير ، وليس من طريقة لايجاد هذه النوق الا ان يغزو النعمان المنذر^(١) .

واذا كان هذا الحب قد اعمى عنتر عن ان يرى المخاطر تحف به ، وان يحس بها ، فقد اعماه ايضاً عن ان يرى جمالاً غير جمال عبلة . فالجواري التي قدمها قيصر الى كسرى وهي اجمل من الكواكب ، هي ملك يتصرف بها كما يشاء لان كسرى قدمها له هدية ولكن عنتر لا يأبه لها لان حب عبلة قد شغله عن كل حب سواه^(٢) .

لقد امتلأ بهذا الحب كل ما في عنتر من عواطف واحساس حتى اذا ما جاءه اخوه ميثوب يخبره بزواج عبلة ، مكرهة ، من بسطام بن قيس بن مسعود احس بطلنا « ان روحه قد انسكت من جسده من شدة الغرام^(٣) » .

وحب عنتر لا يعرف النعمة ولا الطمأنينة ولا لذة الوصل والتقرب من الحبيب اذ لك فهو حب ملتاغ ، جريح ، صادر من اعماق القلب :

بين العقيق وبين بركة نهد	طلل لعبلة مستهل المعهد
كيف السلو وما سمعت حماماً	يندبن الا كنت اول منشد
وسألت طير الدوح كم مثلي شجا	بانينه وحنينه المتروك
ناديته ومدامعي منهلة	اين الحلي من الشجي المكمد ؟
قالوا اللقاء غداً بمنعرج اللوى	واطول شوق المستهام الى غد !
وتخال انفاسي اذا رددتها	بين الطلول تحت نقوش المبرد !

وليت هذا الحب الجريح يقف به عند هذا الحد ! بل ليمته يُبقي له جلال البطولة وروعة الفروسية ! ان عنتر البطل لا يتردد عن البكاء عندما يعلم ان عبلة اسيرة عند الاعداء^(٤) :

اذا كان دمعي شاهدي كيف اجد
الى الله اشكو ظلم عمي وجوره
ونارُ استياقي في الحشا تتوقد ؟
اذا لم اجد خلاً على الظلم يُسعد

(١) سيرة عنتر — ج ١ : ١٢٣

(٢) سيرة عنتر — ج ١ : ١٣٦

(٣) سيرة عنتر — ج ١ : ٢٤٧

(٤) سيرة عنتر — ج ١ : ٢٣٦

خليلي امسى حب عبلة قاتلي وبأسي شديد والحسام مهند
 حرام علي النوم يا ابنة مالك ومن فرشه نار الغضا كيف يرقد؟
 سأنذب حتى يعلم الطير انني حزين ويرثي لي الهمام المغرد
 وألثم ارضاً انت فيها مقيمة لعل لهيباً حل في القلب يبرد^(١) !
 ويبدو لنا عنثرة، وقد الف السقام، وتحمل العذاب الواناً واصنافاً في حبه، عاشقاً
 حزيناً مغموماً، ناقماً على الدنيا بأسرها لان عبلة بعيدة عنه :

اذا ريح الصبا هبت اصيلا شفت بهبوبها قلباً عليلا
 وجاءتني تخبر ان قومي بمن اهواه قد جدوا الرحيلا
 وما عنوا^(٢) على من خلفوه بوادي الرمل منطرحاً جديلا
 يحن صباة ويهم شوقاً اليهم كلما ساقوا الجمولا

الا يا عبلة ان خانوا عهودي وكان ابوك لا يرعى الجميلا
 حملت الضيم والمجران جهدي على رغمي وخالفت العدو لا
 الفت السقم حتى صار جسمي اذا فقد الضنى امسى عليلا
 وقد غنى على الاغصان طير بصوت حنينه يشفي الغليلا
 بكى فاعرته اجفان عيني وناح فزاد اعوالي عويلا^(٣)

فانت ترى ان حالة عنثرة الحبية هي حالة يرثي لها . لقد اصبح ، وهو البطل المغوار
 والفارس الجبار ، ريشة في مهاب الريح لا يدري اين ولا كيف يستقر به الحال :
 أقاتل كل جبارٍ عنيد ويقتلني الفراق بلا قتال^(٤)

ومن الغريب حقاً ان يثير حبه لعبلة نقمة الناس اجمعين عليه . فعنه مالك يقيم في
 وجهه العقبات اشكالا والواناً . وابن عمه عمرو لا يترك ساحة تسنح دون ان يدس عليه .
 وعمارة بن زياد « معدن الحبث والفساد » مع اخيه الربيع يترقبان الفرص للايقاع به
 لانه يتجاسر على حب عبلة وهو العبد الاسود ذو الحسب الوضع والنسب الحسيس ! .

(١) سيره عنثرة ج ١ : ٢٤٣

(٢) كذا في السيرة والاصح : حنوا

(٣) سيرة عنثرة ج ١ : ٣٠٦ و ٣٠٧

(٤) سيرة عنثرة ج ١ : ٢١١

ومن العجب حقاً بعد ان ظهر لنا عنتره عاشقاً متيمماً بحب عبلة ، ان يعود مؤلفو السيرة فيظهره لنا في اكثر من مكان من القصة انه متزوج بغير عبلة وان نساء كثيرات منهن مريم اخت القيصر^(١) كذلك نرى عنتره عندما كان يغضب من عبلة لامر من الامور ، كان يهددها بالزواج من ضرة لها تكيدها وتنغص عليها عيشها ولقد تزوج من اكثر من جارية ، على قول الرواة ، وهجا عبلة بابيات منها :

واذا الحبيب جفا ومل فخله واجف وزده من الملالة والقلبي
ما ضاقت الدنيا علي باسرها حتى اذل لمن تريد تذلل^(٢)

والحقيقة ان هذه الامور كلها من مبتدعات القصاصين وخيالم الحُصْب وهي من الزيادات والتراويق التي انما ارادوا ان يستعينوا بها لاثارة فضول القارئ والتأثير عليه بمختلف الطرق وحشد الحوادث . ولكن اثر هذه الحوادث وهذه المفاجآت ضعيف هزيل فهي لا تثير النفس ولا تهيج العاطفة لان ادائها ضعيف ونتائجها غير خطيرة .

بطولة عنتره

ليست البطولة ، في عرف بعض الناس ، وسيلة بل هي غاية في نفسها او نتيجة^(٣) ، يضيف بارون^(٤) الى هذا القول : « ان هذه النتيجة هي التي دفعت بالاسلام والحرب الاسلامية الى ما وراء جبال الپيرانا حتى حدود نهر الرين^(٥) » .

والذي يبدو لنا ان جامعي السيرة ارادوا ان يجعلوا من عنتره بطلاً من ابطال الاسلام دفعه الى المجازفات التي قام بها ما دفع الابطال المسلمين من بعده : جهاد ديني مستمر وهدف سام مقدس . فصوروا لنا رجولته وبطولته صوراً خارقة تفوق حد التصور « فهو يقابل خمسين فارساً فيقتلهم واحداً واحداً » ج ١ : ٢١

« وهو بطل تخافه الجن ويخشاه الغول » ج ١ : ٥٥ يتقدم الفرسان « كأنه مارد

(١) سيرة عنتره ج ٦ : ٢٥٥١

(٢) سيرة عنتره ج ٤ : ١٥١٩

(٣) M. J. J. Ampère — La Revue des deux Mondes, Fév. 1838.

(٤) Perron كان مدير المدرسة الطبية في سنة ١٨٣٩ وطبيب مستشفى القصر العيني في ذلك الوقت

وقد كتب لصديق له في باريس في المجلة الاسيوية عدد ديسمبر سنة ١٨٤٦ مقالاً عن عنتره

وعن ربيعة بن المقدم بين فيه ان عنتره الاسطورة يختلف كثيراً عن عنتره التاريخ .

(٥) Journal Asiatique, — 1840 p: 513.

من مردة الجان او من عفاريت سيدنا سليمان « ٨٧: ٢ » وهذا المارد « كان يرمي اعداءه بالنبال فيشك بها مقاتل الرجال حتى اخذوا يتعوذون منه وظنوا انه شيطان في صورة انسان » ١ : ٦٦ .

حتى الاعاجم يقولون عنه : « لا نعلم هل هو من الجن او من الالباس ؟ » ١ : ١٢٨
« وكان اذا طعن ضلعاً دقّه وان ضرب رأساً شقّه » ١ : ١٢٠

وهو يقاتل البطريق ويطلق عليه السهم فيطلع من ظهر وله زفير وشهيق ٢ : ١٣٥
اما ان يضرب عنقوة بطلاً من الابطال « ضربة يطلع الرمح يلمع من قفار ظهره »
فهذا اسهل الامور ١ : ٧٣ و ٧٤

مساكين اعدائه ! « كان يضربهم فينثر رؤوسهم مثل الاكر واكفهم مثل اوراق الشجر » ١ : ١١٠ وكلهم عارف به مؤمن بجبروته حتى اذا صفوه قالوا « كان يلتقط الفارس منا في عرصات الجبال فيضرب به الآخر فيموت الاثنان في عاجل الحال »
١ : ٣٢٤

ويحجم على حذيفة المسكين « ويضرب رأس حجرته بالسيف فيبريها كبوي القلم »^(١)
١ : ٣٧٧

واليك نموذجاً من معاركه التي كان يشنها كل لحظة من لحظات حياته :

« ... كانت تتطاير الجماجم وتتدحرج وتتخضب الدروع بالدماء وتشتد نار الحرب وتتأجج ، وتضطرب الابطال وتنزعج وتدور ملائكة الموت على الارواح ويطوق عنقوة الاعناق بالدماء ويقيم الحرب على قدم وساق ويظهر العجائب والاهوال . وينثر الفرسان والابطال ولا يفقد من قومه اكثر من سبعة رجال »^(٢) !

اما مفاخرته ببطولته في الحرب ومخاطبته اعداءه مشيداً بقوته ورجولته فتملاً
تضاعيف السيرة . فهو يقول عن نفسه في حربه ضد الاعاجم :

« انا عنتر العبسي ، فارس العرب وقد ارسلتني النار على رؤوسكم حمرة الغضب »^(٣)

(١) سيرة عنتره — ج ١ : ٣٧٧

(٢) سيرة عنتره — ج ٢ : ٥٥٢

(٣) سيرة عنتره — ج ١ : ١٣٠

ويقول أيضاً :

والموت حقاً لو رأي لانشئ عني مخافة سطوتي وتجبري^(١) !

ويخاطب بسطام بن مسعود ، وقد طمع بعبلة ووعد بها ابوها على شرط ان يأتيه برأس عنقرة ، بقوله :

ان تكن تشكو لاوجاع الهوى فانا اشفيك من هذا الوجع
بجسام كلما جردته سجد الموت له ثم ركع^(٢)

وهل بقي بطل من ابطال العرب لم يبارز عنقرة ؟ لقد حشدوا له جميع صناديد الجاهلية من صخر بن عمرو بن ملك كندة الى زياد بن اكال الاكباد ، الى معاوية المعروف بقانص السباع ، الى وجه الغول ، الى ربيعة بن المقدم ، الى فهر الملقب بمرارة النسر ، الى ابي المقداد الملقب بسيف بكر ، الى الطياح ، آكل الاكباد وآفة العباد ، الى علقمة بن سيف التغلبي الملقب بقتلاع الآذان وآفة الزمان ، الى ابي براء عمرو بن مالك الملقب بملاعب الاسنة ، الى عمرو بن معدي كرب ، الى سبع بن الحارث الملقب بذي الحمار ، الى حذاوند ملك الاعاجم ، ابن الملك انوشروان ، الى الامير نازح ، الى لقيط بن زرارعة ، الى كثيرين غير هؤلاء من رجال العرب الذين اشتهروا بالفروسية في العصر الجاهلي .

ومن الطبيعي ان يتغلب عنقرة على جميع هؤلاء الابطال بدهاء وسرعة لا حد لها . كان يتصدى له خصمه فيقتله بضربة من سيفه «حتى اذا برز اليه ثاب اسره ، وثالث قهره ورابع دمره ، وخامس عفره^(٣)» حتى لا يبقى من يتجاسر على الصمود امامه في الميدان .

عنقرة والشعراء

ان الشعر ضرورة مكملة لبطولة عنقرة لان الجاهليين لم يطبقوا ان يكون لهم ابطال من غير ان يكونوا شعراء ، والحقيقة ان عنقرة قرن الى فروسيته شاعرية لم تتوفر للكثيرين من شعراء الجاهلية . وليس لنا ان نتعرض لهذه الشاعرية في دراستنا

(١) سيرة عنقرة — ج ٢ : ٥٥٦

(٢) سيرة عنقرة — ج ١ : ٢٥٥

(٣) سيرة عنقرة — ج ٤ : ١٤٥٧

هذه وانما غرضنا ان نستشف شيئاً عن شخصية عنزة الشعرية كما تبدو في السيرة . لقد كدسوا اسماء الشعراء الجاهليين ، بمناسبة وبغير مناسبة ، وجعلوا منهم ابطالا صناديد ، وحملوهم ، بسبب وبدون سبب ، على مقارعة عنزة ومبارزته . فهذا طرفه بن العبد ، وعمر بن كلثوم ، وامروء القيس امير الشعراء ، وزهير فصيح بني غطفان ، وليد العامري ، والاعشى بن ميمون آخر رجال المعلقة ، كل هؤلاء قد تصدوا لعنزة وكلهم رجعوا خاسرين في الحسب والنسب والفصاحة والادب^(١)

والملاحظ ان مؤلفي السيرة ارادوا ان يجعلوا منها خزانة للادب الجاهلي وخاصة المعلقة . فما كان منهم الا ان جعلوا من اصحاب المعلقة ابطالا يتناظرون الشعر ويتساجلون مع عنزة فيغلبهم بعد ان يسمع قصائدهم ويسمعهم قصيدته . وعنزة في السيرة هو شاعر من الطراز الاول ، استطاع ان يعلق معلقته في الكعبة رغم الصعوبات الجمة والعراقل الكثيرة التي وضعوها في وجهه .

عنزة والدهاء السياسي

راينا في عنزة بطلاً مغواراً يحمل على اعدائه بضراوة وشراسة ابن منها ضراوة الاسود الضارية والوحوش الفاتكة !

ورأيناه يحابه جيشاً عرمرماً فيقتل منه من يقتل ويأسر من يأسر ويرجع ظافراً غانماً لم يصبه خدش او كسر .

وقد يتبادر الى الذهن ان من كانت هذه صفاته لا شك وانه متهوس ، لا يحسب حساباً للعواقب الوخيمة وما قد تجره عليه مجازفاته الكثيرة من الاخطار . والحقيقة ان اندفاع عنزة ومخاطرته بجيائه في مختلف الوقائع التي شهها على اعدائه كانت مقرونة بشيء كبير من الحكمة والتروي والدهاء السياسي .

هكذا يظهر لنا عنزة في السيرة وهو في ذلك لا يختلف عن عنزة التاريخ الذي يروى عنه : « انه كان يقدم موضع الاقدام ، ويحجم موضع الاحجام^(٢) » . كذلك كان ينكر انه اشجع العرب واشدها حتى اذا سئل بما شاع له ذلك في الناس اجاب :

(١) سيرة عنزة — ج ٤ : ١٤٩٩

(٢) الاصفهاني — الاغاني ج ٧ : ١٥٢

« كنت اقدم اذا رأيت الاقدام عزمًا ، واحجم اذا رأيت الاحجام حزمًا ، ولا ادخل موضعًا لا ارى لي منه مخرجًا . وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فائتي عليه فاقتله^(١) » .

ودهاؤه السياسي هذا يحمله على مهادة خصومه الاشداء ومخالفتهم فهو صديق كسرى وحليفه في الحروب بعد ان كان خصمه اللدود^(٢) .

امثلة عنثرة

يبدو لنا عنثرة في السيرة كامل الصفات فهو عزيز النفس رغم سواد لونه وضعة نسبه . وهو عفيف في حبه لا يتهتك ولا يفحش . وهو مترفع عن الدنيا ، مترفع عن الأسلاب والغنائم التي يصيبها رجاله في الحرب فلا يمد اليها يداً . وهو سهل المخالقة ، لطيف المعشر ، دمث الاخلاق ، لا يجب ان يكون البادى بالظلم ولا يفكر بان يسيء الى الغير . اما الكرم فهو سجية طبيعية فيه .

وهو فوق كل ذلك حلیم صبور ، غير متهور ولا متهوس ، رغم المجازفات العديدة والمعارك الكثيرة التي كان يشنها على اعدائه . والفضيلة التي تجعل من عنثرة مثالا اعلى للفارس الكامل هي صونه الحريم . فهو اذ يسيي الاعداء ويقهرهم لا يتعرض للنساء والاطفال^(٣) .

وصيانة المرأة والحفاظة عليها شريعة قدسها العرب اياما تقديس . لذلك نجد ان جميع الابطال كانوا يحترمونها ويحلوها وهكذا قل في ابطال سيرة عنثرة . فالغضبان يزعم بخصومه الانزال قائلاً :

« ... انا الغضبان مبيد الاقران . وحامي الحريم والصبيان ويلكم هل بلغ من قدركم ان تسبوا الحريم والنسوان^(٤) ؟ »

واصحاب عمرو بن مالك يؤكدون له ان ربيعة بن المقدم « ما نصره الرب عليهم الا لما سبوا الحريم وهذا هو الذنب العظيم^(٥) » .

(١) الاصفهاني — الاغاني ج ٧ : ١٥٢

(٢) سيرة عنثرة — ج ٥ : ١٧٧٣

(٣) سيرة عنثرة — ج ٢ : ٦١٧ و ٦٤١ وج ٤ : ١٣٤٧ وج ٥ : ١٧٥٥

(٤) سيرة عنثرة — ج ٥ : ١٧٦٢

(٥) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٦٨٤

ولا شك في ان جميع هذه الصفات التي تبلغ حد الكمال ليست لتطلق جزافاً على
عنترة بل ان لها اصولاً في اشعاره التي أثرت عنه في العصر الجاهلي . ففي قوله :
ولقد ابيت على الطوى واطله حتى انال به كريم المأكـل
تظهر عزة نفسه وصبره وتروّفه عن الدنيا ، الامر الذي حمل النبي محمد على القول ،
بعد ان سمع البيت المذكور :

« ما وصف لي اعرابي قط فأحببت ان اراه الا عنترة (١) »

وهذه الشهادة كفيّة ان تحفظ ذكر البطل العبسي وتخلده مدى الدهر .
وفي قوله :

اغشى فتاة الحمي عند حليلها واذا غشى في الجيش لا اغشاها
واغض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارى جارتني مأواها
تظهر عفته التي تنقص الكثيرين من شعراء عصره .

وهكذا قل في سائر صفات عنترة التي يظهر اثرها بارزاً في شعره فيبدو لنا شاعر
الحرب والحب ، شاعر المعامع الحامية والمعارك الدامية من ناحية وشاعر الحب الذبيح
والغزل الحزين من ناحية اخرى !

ان حب عبله جعل منه رجلاً فوق الرجال . فمن اجل عبله وارضائها خاض ما خاض
من حروب ، وسبى ما سبى من ابطال ! دون ان ينقم عليها او يسيء اليها باقل كلمة
تخدش عفتها .

وهنا يلاحظ Perron ، ان الشعراء العرب الاقدمين يخالفون الشعراء اليونان في
نظرهم الى النساء اللواتي اثرت الحروب من اجلهن . ان مثل هؤلاء النسوة كن لعنة في
نظر الشعراء اليونان ، وكن مردولات منهم . فحرب طروادة استعرت نيرانها في
سبيل ارجاع هيلانة لزوجها ولم تكن قط في سبيل ارضائها والتقرب منها .

لم يعرف اليونان هذا الحب البطولي بل رذلوه ولعنته آلهتهم ولم يكن مصدراً لاعمال
مجيدة عظيمة بل وقف حاجزاً في وجه شعرائهم فلم يروا فيه دافعاً لتبجيد البطولة ! .

اما الحب عند العرب فكان في سبيل المرأة نفسها ، في سبيل صونها وحمايتها وهو الذي اذكى الحروب واشعل نيرانها^(١) .

« والحلاصة ان عنترة الاسطورة يرتفع حتى ارقى درجات البطولة ويزدان باسمى فضائل الفروسية . يجمع بين الشجاعة وبين عطف المقتدر ، يحنو على الارملة واليتيم ، وينصف المظلوم وينتقم من الظالم . هو مثال اعلى للفارس الكامل . فارس بطل لا تقف بطولته عند حد ، لا يهاب جيشاً مهما بلغ عدده ولا يخشى مهالك مهما تنوعت اسبابها ولا يتراجع امام عقبة مهما كان نوعها ، فاذا قاومته الالوف زعق عليها فبدها . واذا صدته الجان اعمل فيها حسامه فصرع افرادها . واذا نبا رمحہ عن خرق درعِ قرنه رمى به الارض وضرب صدر القرن بقبضته فانفذها من ظهره^(٢) » .

اما الموت فلم يخشَ بأسه ولم يتهيّب قوته . فقد وافاه الاجل بعد ان عمّر طويلاً ومات ميتة الابطال واليك ذلك :

موت عنترة

ان موت عنترة اسطورة من الاساطير ! لقد حمى قومه في حياته وفي مماته . لقد روى لنا الاغاني^(٣) ثلاث روايات عن موت عنترة لم يأخذ بها او باي واحدة منها مؤلفو السيرة . لقد صوروا فيها ما شاء لهم خيالهم الروائي وارادوا ان يجعلوا من موته مجالاً فسيحاً للمجد البطولي والعظمة الحربية . فاماتوه بسهم مسموم من اسهم خصمه اللدود وزر بن نبهان الملقب بالاسد الرهيص . لقد اكحل عنترة وزراً هذا واعماه فاراد ان ينتقم لعماه وكان انتقامه هائلاً .

« تعلم رمي الشباب ، وهو اعمى ، حتى صار يرمي به على الصوت ، فيصيب الغرض . واذا مر عليه طائر وزعق يرميه على ناحية صوته فيقتله ويأتيه عبده فيأكله^(٤) » .

واستطاع زر ، في ليلة ليلاء ، ان يُصيب مقتلًا من عنترة بسهمه الحاد المسموم ، فيزجر عنترة عندما يصيبه السهم ويهدد خصمه بابيات من الشعر ، وهو يتألم ، لا يلبث

(١) Perron M. A. — Journal Asiatique Dec. 1846.

(٢) فؤاد افرام البستاني — المشرق مج ٢٨ : ٦٣٤

(٣) الاغاني — الاصفهاني ج ٧ : ١٥٢

(٤) سيرة عنترة — ج ٥ : ٢٥٥٤

وزر عندما يسمعا ان يموت من ساعته خوفاً وجزعاً، اعتقاداً منه ان عنقورة لم يميت لان السهم قد اخطاه ! ويركز عنقورة رمحها ، بعد ان يصيبه السهم ويستند عليه ويركب فرسه الابجر ويسير بقومه طالباً منهم ان يدخلوا ديارهم وان يتركوه وشأنه، فهو يريد ان يحميهم في حياته وفي مماته . ويشعر برحيل قوم عنقورة الاعداء فيلحق بهم اربعون فارساً مغواراً وهم يقتفون اثر عنقورة الى ان وصلوا الى وادي الظبا . « وكان قد عبر الظعن فيه ، وعنقورة على ظهر جواده ، مستند على رمحها في بعض نواحيه ، تارة يسير ، واخرى يقف ، الى ان وصل الى فم الوادي والمضيقي . فهناك زاد الوجود عليه فوقف واركز رمحها واستند عليه ، فخرجت روحه من بين جنبه . وكانت العرب من بعيد واقفة تنظر اليه ، ولم يجسر احد ان يقدم عليه لانهم ظنوه في قيد الحياة وانه واقف يطلب قتال من قصده واثاره^(١) »

انه لمشهد رهيب حقاً ! انها لوحة من لوحات الفن الخالد ! بل انه تمثال رائع من التماثيل العالمية الخالدة ! ذلك الجسم الاسود الخالك في سواده ، مرتكزاً على رمح من الرماح السمهرية التي طالما اهتزت لهولها النفوس ، والابجر صامد من تحته كأنه قطعة من الليل ، والابطال من على يمينه وشماله يملأون المكان ولا يقتربون !

— هيا تقدم

— يا لك من جبان رعديد !

— ويلكم ايها الابطال ! ارجعوا على اعقابكم والاعداء اهلكم واحبابكم !

— انه عنقورة حامية بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس

— انه حبة بطن الواد !

— ولكنك واقف ، هادى ، لا يُبدي ولا يُعيد !

— هو سكون العاصفة ، واغمضة الموت الزؤام .

ويشاء ربك ان يتحرك الابجر وان يتقدم فيقع جسم عنقورة على الارض كانه برج مشيد او سد من حديد ! .

ان جميع النقّاد، الشرقيين منهم والغربيين، اعجبوا بهذا المشهد الرائع وقد نتعرض لوجه الشبه بينه وبين البطل رولاند في الملحمة المعروفة باسم « اغنية رولاند » . على

اننا نسارع الى القول بان موت عنزة في السيرة هو اروع واجمل مشهد فيها . وتنعى الاميرة عنزة ابنة عنزة ، اباهـا الى جميع قبائل العرب . فيعم الحزن الشديد وتأتي الوفود من اقصى البلاد لتؤدي واجب التعزية بالبطل الكبير الذي رفع اسم العرب عالياً :

فالامير عامر بن الطفيل مع جماعته على الحيل الضوامر

فعمر بن معدي كرب على رأس وفد من بني زبيد

فالامير هاني بن مسعود على رأس بني شيان

فبنو نبهان ، فبنو مشاجع ، فبنو مذجع ، فبنو عامل ، فبنو صباح ، فعشرات المئات من القبائل تتلاحق بعضها ببعض حتى تملأ الارض ! وما ان دفن عنزة حتى نحرت على قبره النياق بالمئات والالوف ، واخذ الشعراء والخطباء في رثائه واخذت الخلائق تلتحب عليه ممزقة ثيابها حزناً وألماً !

واخذت الوفود من غير بلاد العرب ترسل التعازي . فهذا هرقل بن قيصر يحضر على رأس وفد من الوفود ويتقدم من قبر عنزة ويتكىء على سيفه ويبكي ويأمر بذبح الف ناقة .

وهذا الملك المنذر ابن النعمان يأتي موفداً من ملك الالكاسرة ، كسرى انوشروان مصحوباً بان كسرى شهربان الذي يأمر وزيره بزرجمهر ان يذبح الف ناقة وجمل على قبر عنزة !

وهكذا نرى ان مؤلفي السيرة ، عملوا جهدهم ، ليحافظوا على هيبة بطلم عنزة ، حتى بعد مماته ، فلا تكون خاتمته غير لائقة ببطولته وعظمته عندما كان لا يزال على قيد الحياة ! .

عبله

من صفات عبلة الرئيسية الامانة والاخلاص حتى ما بعد الموت . يظهر ذلك جلياً في اكثر من مكان من السيرة . تستفزها اعمال ابنيها ومعاملته لعنزة فتثور في وجهه وتصدمه صدمة عنيفة وترويه باقبح النعوت كالغدر والمكر والحُبث^(١) .

وهي تسهر الليالي الطويلة بانتظار الحبيب المعبود عنثرة البطل . وعنثرة هو سلاحها الحاد الماضي تهدد به كل من يحاول ان يعتدي عليها^(١) . وتتزوج من عامر بن الطفيل بإطاعة لامر عنثرة بعد وفاته ولكنها لا تترك فرصة دون ان تذكر زوجها المسكين بفخر عنثرة ، مفضلة اياه على جميع رجال الارض حتى تستفز زوجها وتستثيره فيأمر بخنقها فتموت ضحية حبها وامانتها لعنثرة^(٢) .

وهي في حبها لعنثرة عفيفة ، شريفة ، طاهرة تفضل الموت الاحمر على ان تلوث عرضها . وليس سبب هذه العفة خوفاً من عنثرة الذي « تفزع منه الجن وتعجز عن مداراته ومراسه الفراعنة ، والذي يضرب رقبة من يتعرض لعبلة ، ويخرّب دياره ويقطع آثاره ويفني عساكره » كلا ليس ذلك هو السبب في عفة عبلة وان حاولت هي ان تتظاهر بذلك امام العجوز رسول ازديشير^(٣) ، بل هو حبها للخلص لعنثرة وللفضيلة . انها ثارت في وجه ازديشير بن الملك كسرى كاللبوءة التي فقدت اشبالها وما ذلك الا للمحافظة على عرضها وشرفها ولما لم تفلاح في ردعه عنها مالاّنه حتى اذا خلت به اردته بضربة سكين حادة ، فوقع صريعاً يتضرج بدمائه^(٤) .

والسيرة تظهر لنا عبلة في موافق بطولية كثيرة . فكثيراً ما كانت تستقبل عنثرة تهنوئاً بالسلامة وتقبّله وتساعد في خلع ثيابه وتطلب اليه ان تذهب لتحضر معه مواعده^(٥) .

عبلة المرأة الفيرة

ولكن المرأة هي المرأة . لقد كان لها غرورها ولها صلفها الذي حملها على مجافاة عنثرة وحمله على التزوج من اكثر من امرأة واحدة كما مر معنا الكلام سابقاً ان غرور عبلة كان السبب الذي قرر مصير عنثرة . وغيرتها دفعتها الى التصريح بان عنثرة ليس عندها « الا بمنزلة العبيد ، لا بمنزلة الرجال ، ولو انها شاءت لردته الى رعي النوق والجمال^(٦) »

(١) سيرة عنثرة — ج ١ : ٢٣٠

(٢) سيرة عنثرة — ج ٦ : ٢٥٧٥

(٣) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٤٠٦

(٤) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٤١٥

(٥) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٤٥٦

(٦) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٨٠٥

وبلغ بها صلفها ان امرت حبيبتها عنقرة في تقبيل اقدامها في ليلة سكر وعريضة
فتركها غاضباً حانقاً وفي قلبه من الشوق ما فيه (١) .

اما حب عبله لعنقرة فقد جعل منه شاعراً فصيحاً وبطلاً مقداماً كما انه كان السبب
في ان يموت ضحية عدوه اللدود الاسد الرهيص .

شيبوب

ان شيبوب في السيرة يلفت النظر ويستحق دراسة خاصة . فهو دماغ عنقرة
المفكر ، وهو الحكيم المدبر الذي يخلص اخاه عنقرة من جميع الورطات التي يقع فيها .
فاذا ما رأى عنقرة يسرف في المروءة ويعطف على من لا يستحق العطف قام واعظاً :
« ان الاسراف في المروءة يقلع الفروع والاصول (٢) »

واذا ما رأى عنقرة غارقاً في بحر ملذاته ، يشرب الكأس تلو الكأس ويتذلل امام
الاماء والجواري صرخ فيه قائلاً : « يا ابن الاماء ! لقد انهد ركن مجدك وعلاك ، اما
تستحي ان تذلل لربات القناع ، وقد ذلت لهيبتك السباع (٣) ؟ »

وشيبوب حاضر عند كل طلب « يطلع مثل ريح الهبوب او يطل مثل ذكر النعام »
وهو يحمي عنقرة كأنه البرق اذا لمع او الشهاب اذا سطع . لا يقع عنقرة في ورطة
الا ويصل اليه شيبوب « اسرع من لمح البصر كأنه الثعبان الاغبر » .

وانه لمن المؤسف حقاً ان يموت شيبوب ذبحاً بيد عبد غدار جاء مستجيراً (٤) .

ان جولدزهر يرى في شيبوب لعنقرة مثل سانكوبوزا لدون كيخوت . اما لامارتين
فيدعوه عولوس العرب (٥) L'Ulysse de l'Arabie .

هذه الشخصيات الثلاث ، عنقرة وعبله وشيبوب ، تكاد تكون محور السيرة فحولها
تجري اهم الحوادث وهي تطفئ على باقي الشخصيات ، لذلك اكتفينا بدراستها وحدها
دون غيرها من شخصيات السيرة .

(١) سيرة عنقرة — ج ٤ : ١٥١٣

(٢) سيرة عنقرة — ج ٢ : ٥٥٤

(٣) سيرة عنقرة — ج ٤ : ١٥١٣

(٤) سيرة عنقرة — ج ٦ : ٢٥٣٥

(٥) Heller — p : 126.

الروح الاسلامي في سيرة عنزة

يلاحظ ان رواة السيرة او بالاحرى جامعيها حاولوا ان يصبغوا بعض حوادثها بصباغ الاسلام ، وان يجعلوا من ابطالها العظام ابطالاً اسلاميين على بعد زمن السيرة عن الاسلام . فعنزة يبدو لنا مؤمناً بالله الواحد « الحي القيوم ، الدائم بلا زوال » الذي خلق الارض من طين وماء « باسط الارض ورافع السماء ^(١) »

ويذكر الملك زهير « الخالق العظيم » بقوله : « ومن ترى يقدر ان يرث احكام الخالق العظيم ^(٢) ؟ »

وينظر الى العجم كأنهم « عبّاد النار » اما هو وشعبه فليس توفيقهم الا بالله ^(٣) .

ويرددون كلمة « الله اكبر » والركن والمقام برب السماء !

فمن هو هذا الله الذي يرد اسمه في سياق السيرة ؟ هل هو اله اليهود والنصارى ، ام هو اله واحد قادر اخذ يحس بوجوده العرب . وقد اقترب مجيء الاسلام ؟

كذلك تتردد على افواه اكثر شخصيات السيرة كلمات : الله اكبر ، والركن والمقام ، ورب السماء ، ورب الخليل ابراهيم ، بما يؤكّد ايمانهم بوجود الاله الحقيقي من ناحية ، وكلمات زمزم والحطيم والحجر والبيت العتيق واللات والعزى والهبل الاكبر بما يؤكّد وثنيّتهم من ناحية اخرى .

وهم يسجدون امام الاصنام ويقبّلون اركان البيت الحرام ويمجّرون من جهة ثالثة الى الله خالق السماء وباسط الارض ^(٤) .

والذي يبدو لنا ان هناك محاولة من قبل واضعي السيرة لجعل بعض شخصيات السيرة اسلامية في ايمانها وتفكيرها ، وهي محاولة فاشلة ، ظاهرة التصنع ، ضعيفة الحججة ، عديمة المنطق لان عنزة ، لا يتأتى له ، وقد عاش جاهلياً ومات جاهلياً ، ان يتصور وجود اله واحد في ذلك الزمن الجاهلي السحيق .

(١) سيرة عنزة — ج ١ : ٣٠٨ و ٣٢٨ كذلك ج ٢ : ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٥٢٤

(٢) سيرة عنزة — ج ١ : ٨٣

(٣) سيرة عنزة — ج ١ : ١٢٧ و ١٣١

(٤) سيرة عنزة — ج ٢ : ٥٢٧

« ويتعجب من قدرة من يقول للشيء كن فيكون وهو الله الذي لا اله الا هو ، خالق البشر ، ومصور الصور والمخرج الذكر من الانثى والانثى من الذكر »^(١) .

وتبدو هذه الروح الاسلامية قوية في السيرة في المواقف التي يتنبأ فيها عنثرة وغيره بمجيء النبي العربي الكريم . « فالجوس تصيبهم زلزلة عظيمة تدل على معجزات النبي المفضل لانهم يوم انكسرت الفرس في ذي قار ، وقتل هاني شيرسان ، انشق الايوان وخمدت بيوت النيران سبعة ايام تمام ، وطلع لها غبار كالدخان ، وانقلبت الدنيا فلم يعرف الليل من النهار ولا الكسوف من الاسفار ، ووقع الهيكل واندثر على معبدهم الاكبر ، وكشفت مشايخ الفرس رؤوسها ، وقد ايقنت بهلاك نفوسها ، وهجروا الطعام ، وحرموا شرب المدام . وخرج الملك الى ظاهر المدينة وضربت له الحيام وايقنوا بالبلأ وظنوا ان القيامة قد قامت من السماء . وما سكن الجأش الا حسان بن معبد رأس الحكماء . فانقذ الناس من رعبهم وشدد قلوبهم واخبرهم ان الذي جرى وصار انما هو اشارة على مجيء رسول سعيد له نصر وتأيد من رب السماء ، يظهر في هذه الايام وتكون ولادته في بيت الحرام ومنشأه زمزم والمقام والمشاعر العظام ، يملك الممالك ، ويغير الشرائع ، ويخفي البدائع ، ويظهر الاسلام ويدعو الناس الى عبادة الملك العلام »^(٢)

والواضح من السيرة ان النبي قد ظهر في زمن عنثرة ولعب دوره فاسلم بين يديه الملك زهير بن قيس ومن تبقى من بني عبس . كذلك فعل عينة بن حصن ومن معه من بني فزارة ، وكانوا اعداء زهير ، فتحالفوا وتصافت القلوب تحت راية الاسلام ، الدين الجديد ، وانزلت الآية في حقهم على ما تدعيه السيرة :

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ، فاصبحت بنعمته اخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها »^(٣) .

وهناك امور اخرى ، اقل اهمية بما ذكرناه ، تؤيد نظريتنا هذه في اسلامية السيرة منها : ان هاني بن مسعود احد الابطال المشهورين يحلف يميناً انه لا يتزوج ابنة سيّد بني شيبان الا على دين النبي الذي يظهر من آل عدنان^(٤) .

(١) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٥٠٩

(٢) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٣٢١ - ١٣٢٢ وص : ١٦٨٤

(٣) سيرة عنثرة — ج ٦ : ٢٥٨٣

(٤) سيرة عنثرة — ج ٤ : ١٦٨٧

كذلك مسألة القضاء والقدر وبعض المعتقدات الاسلامية الاخرى تظهر جلية في سياق السيرة : « ان الموت لا يتقدم ولا يتأخر ^(١) » .

والذي نلاحظه في هذا الموضوع ، كما يلاحظ في امور كثيرة غيره تتناولها السيرة ، ان الحقائق التاريخية لا قيمة لها في نظر واضعي السيرة . واذا كانت هناك كثير من الحوادث التاريخية الجاهلية في هذه القصة فليس معنى ذلك انها رويت على حقيقتها بل جاءت مشوّهة ، فيها الشيء الكثير من المبالغة والتعريف حتى والكذب والحلط . فكيف يمكنك ان تصدق ان عنتره حاول ان يعلق معلقته على حائط الكعبة بقوته ، وانها كتبت بماء الذهب وعلقت ^(٢) ؟ ثم اخذ الناس يسجدون لها ^(٣) . وكيف يمكنك ان تصدق ان عنتره يبارز طرفه بن العبد لثيبت قصيدته والتاريخ لم يذكر لنا شيئاً من ذلك .

ومن هو عنتره حتى يكتب الملك النعمان بن المنذر الى الملك زهير في شأنه خطبة ابنته المتجردة ^(٤) ؟ وما قيمة هذا الحادث من الناحية التاريخية ؟ وما هي هذه الوفود الكثيرة ، التي يفوق عددها عدد النمل ، والتي تأتي ، كلها ، معزية بعنتره ^(٥) ؟ فكسرى ملك الاعاجم ، وقصر ملك الروم ، وبزرجمر وهرقل ورؤساء العشائر والابطال ، كلهم بالك ، ملتانع وكلهم ينحني على القبر مودعاً ، وهو ينحدر عليه النياق ! فإين التاريخ من كل هذه الروايات ؟

وتبدو لنا عبلة شاعرة لا تقل شاعرية عن حبيبها عنتره ، فهل عُرف تاريخياً عن عبلة انها كانت شاعرة ؟

ويولي القيصر رجلاً من الروم على دمشق فيعزله عنتره ^(٦) فمتى كان ذلك ؟ وكيف يفهم من بعض سياقات السيرة ان المسيحيين كانوا يستوفون الخراج والعداد من اليهود ^(٧) فهل للتاريخ خبر عن مثل هذا ؟

(١) سيرة عنتره — ج ٢ : ٦١٧

(٢) سيرة عنتره — ج ١ : ١٤٣٢

(٣) سيرة عنتره ج ٤ : ١٥٠٤

(٤) سيرة عنتره ج ١ : ٣٨٦ — ٣٨٧

(٥) سيرة عنتره — ج ٦ : ٢٦٢٧

(٦) سيرة عنتره — ج ٦ : ٢٥٤٦

(٧) سيرة عنتره ج ٤ : ١٥٣٩

وانه من اضاءة الوقت ان اعدد المواقع التي يكثر فيها الخلط التاريخي . فهي تشمل السيرة من اولها الى آخرها . ويكفي ان نرجع القارئ الى ما قلناه في مطلع هذا الفصل من ان القصص البطولي كان ملعباً خصباً خيال الشعراء والرواة القصاصين فوضوه على هواهم ، مطلقين العنان لخيالاتهم غير المحدودة ومغلاهم الساذجة ! فلا يمكننا ، والحالة هذه ، ان نركن لاي حادث يروونه او ان نستنتج من روايتهم اي حقيقة تاريخية .

سيرة عنترة - منزلتها الادبية

وفقدان العنصر التاريخي الصحيح لا يحيط من قيمة السيرة كقصة شعبية بطولية بل ينفي عنها صبغتها التاريخية ، فلا يصح لنا ان نعتبرها كمصدر تاريخي لذلك العصر . ورغم هذه الاخطاء التاريخية ، وطغيان الخيال طغياناً جارفاً على جو السيرة ، ورغم وجود هذه الحكايات الاسطورية ، فان سيرة عنترة تبقى معرضاً عجبياً ، زاخراً بالصور الصادقة ، والشعور المخلص عن حياة العربي الجاهلي في ذلك الزمن . فبينما تصف لنا الف ليلة وليلة حياة سكان المدن ، تصف لنا سيرة عنترة حياة سكان الصحاري^(١) وهل لدارس الادب العربي غنى عن فهم روحية الشعب الذي اوحى ذلك الادب ، والاطلاع على عادات ذلك الشعب وخصائصه الرئيسية واهدافه التي كانت يطمح اليها في حياته ؟

ان سيرة عنترة هي في مقدمة الحكايات العربية البطولية ، وهي اطول هذه الحكايات وان كان طولها سبباً في وجود مثل هذه الاقاصيص الصيانية الخارقة التي يعجز العقل البشري عن تصديقها . وبعد فما هو هذا العقل الذي لا يقنع بغير الحقائق الملموسة والبراهين الدامغة ؟ والى اين يمتد سلطانه ؟ وهل يقف عند حد ؟

نرى ان هذا العقل ، قد اخذ في العصر الحديث ، عصر المدنية والنور ، بل عصر العلم والاختراع والابتكار ، عصر الدبابة المدمرة والطيارة الخفيفة والمدفع الهدام ، والصاروخ المجنون^(٢) ، قد اخذ يجنح عن هذه المواليد المزعجة ، المصمة بضجيجها الصخاب

(١) Arbuthnot F. F. — Arabic Authors p: 186.

(٢) كتب هذا البحث ولم تكن القنبلة الذرية ولا القنبلة الهيدروجينية قد ظهرت بعد

وزجرتها الحرساء ، الى عالم اهدأ وجو طليق من قيود المادة ومكبلاتها !

الا ترى ان الانسان ، وقد سد اذنيه الا عن ضجيج هذه الآلية التي ادعى انها ابنة الحقيقة البكر ، يحاول ان يظهر في غير مظهره الصحيح ، وان يعيش حياته عبداً لهذه « الآلية » او طفلاً كبيراً يلعب لعبة خطيرة ستؤدي به الى الموت ؟

الا ترى ان هذه الحقيقة التي تجسست في الغرب الحديث في غواصة تفجر قلب الاوقيانوسات او في طيارة تشق كبد السماوات ليست سوى بذت الخيال العتيق ، خيال الف ليلة وليلة وغفاريات سليمان وجن القصاصين ؟ وان هذا العقل الانساني لم يتوصل الى هذه الحقيقة الا بعد ان تغذى ببساط الريح وقمام الجن وخاتم لبيك ! .

ان حقيقة الانسان ، هي في قلقه الروحي ، في هذا القلق الذي لا يهدأ ولا يقف لانه ضد الهدوء وضد الوقوف ، هو قلق مستمر ، رائع في استمراره ، مدesh في عدم استقراره على حالة من الحالات ، يحتاج الى ما ينميه ويغذيه ، ويحتاج الى ما يطرّفه ويسليه ، ويحتاج الى ما يربعه ويخيفه كما يحتاج الى ما يبهجه ويبهره . يتلف الى تلف الحقيقة العلمية فان وجدها أو ظن انه وجدها ، تلف الى الخيال والاسطورة ، يحدّر بها اعصابه ويعيش فيها حياته .

الهيجان والثورة والضجيج وغير المعقول والخرافات والاساطير كلها من متطلبات هذا العقل ولا تقل حاجته اليها عنها الى الهدوء والطمأنينة والسلام والمعقول والدين والله والحق !

والعقل البشري كان ولا يزال الى الوقت الحاضر ، يعيش هذه الحياة القلقة وكان ولا يزال يجد جماله وحقيقته في مثل هذه الحياة ! اتراه يتدرج نحو الكمال تدرج الطفولة البريئة الساذجة نحو الفتوة العامرة ، النابضة بالحياة ! ولكن رياح الشيخوخة ستهب وتقضي على غضاضة الشباب لتكمل الحياة نفسها فيعود الانسان سيرته الاولى ليعيش حياته الاولى .

ان الانسان في سيرة عنترة هو الانسان في الالبابذة وهو الانسان في جميع الكتب الدينية المقدسة وفي جميع الامكنة والازمنة ، ان اختلف في اللون والجنس والقوم فلا يختلف في طبيعته ومزاجه وحياته وقلقه الروحي الدائم المستمر .

ان هذه الحوادث الخارقة في تفاصيلها ، المضحكة في معانيها ، المهيجة في روحها ،

ان هذه الحوادث العجيبة الغريبة في سيرة عنتره هي التي ترفع منزلة الكتاب في نظري
وانني اعتقد انه كان من الممكن ان تعتبر سيرة عنتره ملحمة جليمة من ملاحم العالم ،
لولا تراكم هذه الحوادث تراكمًا يسد على القارئ انفاسه . فبمناسبة وبغير مناسبة
تطير الرؤوس عن الابدان وتلتحم الابطال والفرسان بما يدل على ضعف الحكمة
القصصية في هذه السيرة . ولو اردنا ان نضرب على ذلك الامثال لوجدنا الكثير منها .
فالقارئ يتعجب من السبب الذي يحمل مالكاً بن قراد ، وهو عم عنتره ، على
ان يكره ابن اخيه هذا الكره الشديد . ولماذا ؟ لأنه يطمع في الزواج من عبلة ، وهو
عبد وضع النسب من جهة امه ؟ ولكن هذا العبد محابيض فعاله سواد لونه وفرض
شخصيته على كثيرين من الابطال حتى اصبحت الملوك تجله وتحترمه وتتمنى له كل خير
الا عمه مالك فلم تأخذه عليه شفقة ولم يهزه عطف . ثم يشور الملك زهير على هذا العم
العنيد ويرغمه على تزويج عبلة من ابن عمها فيأبى مالك ذلك دون اي مبرر بما يدل على
ان المؤلف لم يوفق في خلق الاعذار لعم عنتره .

وما نقوله عن عدم تبرير هذا الكره وهذه المعارضات لعنتره من قبل عمه نقوله عن
الذين اخذوا يعارضونه في تعليق معلقته على استار الكعبة وقبوله كشاعر معروف ،
رغم انهم كانوا يسمعون شعره ويتغنون به . قد يكون لهم عذر في موقفهم هذا الموقف
وقد يقبل القارئ هذا العذر فيما لو ذكرته السيرة او لحت اليه على الاقل ولكنها لم تفعل .
ان مجمل الحوادث والمفاجآت ضعيفة في ابتكارها ، بسيطة عادية في نتائجها . فالمعركة
مثلاً تحدث لاتفه الاسباب ، وتنتهي بسرعة خاطفة ، فلا حبكة في سردها ولا عقدة في
سياقها . اما نتائجها فهي معروفة : رؤوس طائرة واجسام مجندلة ، وعنتره سالم من كل
خطر لم يصبه اي خدش !

الياذة العرب

ورغم هذه الهفوات فان هنالك آراء عديدة وصريحة تعتبر سيرة عنتره «الياذة العرب»
فالزيات يقول : «فهي افضل القصص العربية واولاها ان تسمى «الياذة العرب»^(١)»
ويقول زيدان : «ان في قصة عنتره كثيراً من الحوادث التاريخية الجاهلية وهي

من هذا القبيل تشبه الياذة هوميروس، على اختلاف بينهما باختلاف اخلاق القومين^(١)»
ويؤكد هذا الزعم احد الادباء المحدثين في بحث له فيقول :

« ان الملحمة هي رواية شعرية لواقعة حماسية عجيبة خارقة . والغاية منها تحريك
العواطف الشريفة واظهار الفضيلة سعيدة ظافرة والرديلة شقية مقهورة
والملحمة صورة عصر وحياة شعب بوصفها الاخلاق والعقائد وعرضها مشاهد الزمان
والمكان . فينبغي لها معرفة واسعة وعلم كثير وخلق كريم وفكر متوقد بالعقيدة الدينية
واعجاب بالجمال والصلاح . وكل هذا موجود في عنتره^(٢) » .

ولقد سبق ادباءنا المحدثين الى هذا القول بعض المستشرقين . فقال ده برسفال
المستشرق الفرنسي : « يرى المطالع في سيرة عنتره صورة امينة لحياة عرب الصحراء
الذين ، على ما يظهر ، لم تتأثر اخلاقهم بمرور الزمن اقل تأثير . فاكرامهم للضيف ،
ورغبتهم في الاثثار وحبهم وسخاؤهم وحماستهم التي كانت تدفعهم الى الغزو وسعفهم
الطبيعي بالشعر ، كل هذه الصفات هي مصورة تصويراً دقيقاً صادقاً وهي هي الروايات
الهوميروية عن حروب العرب القديمة وما تيههم وما تي ابطالهم الاقدمين قبل محمد . ثم ان
الانشاء اللبق ، المتنوع ، الذي يرتفع احياناً الى السمو الخيالي ، والاخلاق البارزة بقوة
والمحددة بطريقة فنية ، كل ذلك يجعل هذه السيرة في مكان سام مرموق فهي ، على
الجملة ، الياذة العرب^(٣) » .

ولسليمان البستاني معرب الياذة هوميروس ، بحث مطول في الياذة
والشعر العربي يقابل فيه بين انواع الشعر العربي القديمة وتشابهها بالشعر الغربي ، ويحاول
ان يحدد الملحمة بعد ان يعدد الملاحم العالمية ، فيخلص الى القول : ان العرب عرفوا
الملاحم ، وان لم يكن ذلك على الطريقة التي عرفها الافرنج ، فهناك سفر ايوب ، اذا
صح ان ايوب كان عربياً ، وهناك منظومات الجاهليين ، التي تناسدوها متغنين بحروبهم
وايامهم وابطالهم كالمعلقات ، والمجمرات ، والمنشقيات ، والمذهبات ، والمشوبات
والملمحات وغيرها من القصائد التي جمعت مزايا الشعر القصصي ومزايا الشعر الموسيقي كما
جمعت الياذة هوميروس بين اطراف المحاسن في الشعر اليوناني .

(١) زيدان — الهلال مج ٥ : ٧٣٠

(٢) ابو الفضل الوليد — مجلة الآمال ص : ١٣٨٠

(٣) Cl. Huart — Littérature Arabe p: 396 Paris 1902

ويتوسع البستاني في تعريف الملاحم فيضع بينها المقامات والقصص التي يمتزج بها الشعر والنثر كقصة عنزة العبسي ورسالة الغفران الخ^(١) .

اما من حيث ادعائه ان سيرة عنزة تعتبر ملحمة ، ومن حيث انها تتشابه والياذة هوميروس فلم يقف البستاني عند حد القول بل اظهر في اكثر من مكان هذا التشابه واسار اليه بشيء من التفصيل . واليك بعض هذه المشاهد :

وصف الجثث يتشابه في شعر عنزة وشعر الياذة . كذلك هلاك الابطال الحوصم ووقوع الطيور والكلاب بجثثهم .

شن الحرب والغارات يكون لحصد شوكة العدو واذلاله في سبيل الغنائم .
قال عنزة معرضاً بحاجة قومه اليه :

سيدكرني قومي اذا الحيل اقبلت وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ومثل هذا المعنى وارد في الياذة على لسان اخيل .

تشبيه الابطال بالحصون مشترك في الشعرين اليوناني والعربي .
قال عنزة :

انا الحصن المشيد لآل عبس اذا ما شادت الابطال حصنا
للدلالة على علو الهمة بالذود والكفاح .

واخذ بعض النقاد على البطل اخيل بكاءه على حبيبته بريسا ولكن البستاني يجيبهم ان بكاء الابطال يتضمن معنى الشهامة والحب والغيرة ، ويضرب الامثلة بعنزة وامريء القيس وغيرهما من شعراء العرب .

وفي النشيد التاسع من الياذة قصة مفادها ان اخيل كان عالماً بما قدّر له القضاء والقدر وذلك : اما ان يعيش عمراً مديداً في سعة ورفاء وخول ذكر ، واما ان يهلك في عنفوان الصبا ويعيش في شقاء ونصب ، ويخجل ذكره . فاختر قصر الحياة مع المجد الاثيل ، غير طامع في طويل العمر ورغد العيش .

ومثل هذا فعل العبسي :

(١) سليمان البستاني — الياذة هوميروس ص : ١٦٨ - ١٧٥

لا تسقي كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الخنظل
كأس الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز اطيب منزل^(١)

ولا ارى من الفائدة ان اعدد جميع هذه المشاهد مفصلة بل اكتفي بذكر بعضها
مثل : حنين الابطال الى القتال ، تشبيه سرايا الجيش بعصائب الطير . طرب الابطال
لصليل السلاح . تعظيم الحساء . تشبيه الجيش بماء البحر . تشبيه السيوف بالبروق .
وصف تصادم الجيشين . تشبيه الغبار بالليل والمجد بالاقدام والذل بالاحجام . تشبيه
الفرس بالريح . محاورة الحصان وصف القتلى . حماية الجار ورعاية الضيف وكلها مشاهد
تكاد تكون واحدة في تشابهها بعضها ببعض . ومن الخير مراجعتها في اماكنها^(٢) .

اما برنار هار المستشرق الالماني فيبقى في مقدمة الذين بحثوا في سيرة عنترة . فكتابه
المشار اليه سابقاً هو خير ما وضع في هذا الموضوع . وهو لا يقتصر على درس سيرة
عنترة من حيث فنها القصصي ، بل يحاول ان يبين قيمة هذا الاثر الادبي بين الحكايات
البطولية الكثيرة وخاصة أغنية رولاند . فهو يدعي ان سيرة عنترة واغنية رولاند
تشابهان في اكثر من موضع وتتفقان في اكثر من مشهد . اما هذا التشابه وهذا
الاتفاق فليس لاي سرقة ادبية او نقل ما ، بل هما نتيجة اتباع الملمحين قواعد ادبية
واحدة هي قواعد الملاحم القديمة . ثم يعدد هار هذه المشاهد التي تتشابه في الكتابين وهي :

١ - ضرب الصخرة بالسيف وشققها .

٢ - اعتراض العامود السحري لبطل الحكايتين .

٣ - تشابه الأبحر وباير وهما فرسا عنترة ورولاند .

٤ - اجتماع عنترة بربيعه شبيه باجتماع رولاند باوليفيه كما ان هناك تشابهاً عظيماً
بين الاحلام في الحكايتين وكذلك خاتمة كل منهما تتشابه بالآخرى^(٣) .

وبما لا شك فيه ان في جميع ما يقوله هؤلاء النقاد شيئاً كبيراً من الصحة يستحق
الدرس والتحصيل . وها انا اكرر هنا ما قلته سابقاً من ان مثل هذه الدراسة تحتاج

(١) سليمان البستاني — الياذة هوميروس ص : ٢٣١

(٢) سليمان البستاني — الياذة هوميروس ص : ١١٨٣ - ١١٨٤

(٣) Heller B. — Die Bedeutung... pp. 99.

وحدها ، لكتاب مستقل ككتاب هار . وحبذا لو قام من يترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية اذاً لاستطعنا ان نطلع على رأي مفصل في هذه السيرة ولعرفنا منزلتها في ادب المقارنة وخاصة بين الآداب الملحمية !

اما هذه الآراء التي ذكرت سابقاً فهي ، وان كانت على جانب كبير من الصحة ، لا تكفي لان تجعل من سيرة عنتره ملحمة من ملاحم العالم . اما انها تتبع في بعض سياقاتها قانون الملاحم فتتفق مع بعض هذه الكتب الملحمية وتلتقي اشخاصها في اخلاقهم ونفسياتهم بابطال الملاحم العالمية ، وانها تبقى ، بعد كل ذلك سجلاً ضخماً لما أثر العرب في العصر الجاهلي وحروبهم وانتصاراتهم ، فهذا حق صريح ، لا جدل فيه ولا مرأ ، وهي في ذلك اعظم القصص البطولية واطولها واكثرها شيوعاً . وهي ، في ذلك ، اليادة العرب .

الفصل الثالث

الفصل الديني

١ - تعريفه

٢ - اول قاص في الاسلام

٣ - مادة القصص الديني

١ - صفة آدم
 ب - آدم في الجنة
 ج - توبة آدم
 د - وفاة آدم
 هـ - آدم في القرآن وفي التوراة

٤ - قصة آدم

١ - سفينة نوح
 ب - قصة نوح في الكتب الدينية

٥ - قصة نوح

١ - ولادته
 ب - ابراهيم والاصنام
 ج - ابراهيم والنمرود

٦ - قصة ابراهيم

- ١ - رؤيا يوسف
 ب - يوسف وامرأة العزيز
 ج - يوسف يسجن ثم يطلق سراحه

٧ - قصة يوسف

- ١ - عجائب عيسى
 ب - عيسى في القصص الديني

٨ - قصة عيسى

- ١ - ولادته
 ب - محمد وسائر الانبياء
 ج - موت محمد

٩ - قصة محمد

- ١ - الصبغة الاسلامية
 ب - الخوارق
 ج - اثر التوراة
 د - المغزى
 هـ - روعة الوصف وغرابته
- ١ - تفضيل محمد
 ٢ - تقديس يوم الجمعة
 ١ - الاجتماعي
 ٢ - الديني الاخلاقي

١٠ - مزايا القصص الديني

١١ - رأي خاص

ما هو الفصص الديني؟

عنينا بالقصص الديني كل حكاية كان موضوعها الاساسي الدين والرسول والانبياء . وهذا القصص قديم في الاسلام قدم الاسلام نفسه . ففي القرآن الكريم حكايات عن الامم الغابرة والشعوب القديمة التي سبقت الاسلام وهي تختلف في طولها وقصرها . جاء في سورة يوسف : « نحن نقص عليك احسن القصص ^(١) » . وفي مكان آخر : « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ^(٢) » .

وجاء في سورة الكهف ، واهل الكهف كانوا مادة طيبة للقصص والحكاية ، ما يلي : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ^(٣) » .

وفي سورة الاعراف : « ... فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ^(٤) » وفي سورة مريم ويوسف والانبياء وغيرها ما يوحي القصة بكل ما في هذه الكلمة من معنى القصة .

اول فاص في الاسلام

تكاد تجمع المصادر على ان اول قاص في الاسلام هو تميم الداري . جاء عن ابن شهاب : « اول من قص في مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تميم الداري . استأذن عمر ان يذكر الناس فابى عليه حتى كان آخر ولايته فاذن له ان يذكر في يوم الجمعة قبل ان يخرج عمر ، فاستأذن تميم عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، في ذلك ، فاذن له ان يذكر يومين في الجمعة . فكان تميم يفعل ذلك ^(٥) » . وقيل ان النبي حدث عن تميم حديث الجساسة وهو حديث صحيح ^(٦) . وحديث الجساسة ، فيما يذكر ، ان تميمًا حدث انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرفقوا الى جزيرة في البحر ، حين مغرب الشمس ، فجلسوا في

(١) القرآن — سورة ١٢ آية ٣

(٢) القرآن — سورة ١٢ آية ١١١

(٣) القرآن — سورة ١٨ آية ١٢

(٤) القرآن — سورة ٧ آية ١٧٥

(٥) المقرئ — الخطط والآثار ج ٢ : ٢٥٣

(٦) ابن الاثير — اسد الغابة في معرفة الصحابة ص : ٢١٥

اقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة اهلل، كثيرة الشعر، فقالوا : ويلك ما انت؟ فقالت : انا الجساسة . وسميت الجساسة لانها تتجسس الاخبار فتأتي بها الدجال^(١) .

ويروى عن تميم هذا وكان نصرانياً فاسلم ، انه كان كثير التهجيد ، وان روح بن زنباع زاره مرة فوجده ينقي شعيراً لفرسه ، وحوله اهله . فقال له روح : اما كان في هؤلاء من يكفيك ؟ قال : بلى ولكني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ما من امرئ مسلم ينقي لفرسه شعيراً ثم يعلقه عليه الا كتب الله له بكل حبة حسنة^(٢) »

واهتم بعض الرجال المسؤولين من الدولة الاموية ، بالقصاص فكانوا يعينون بعضهم لوعظ الناس وسرد الحكايات الدينية عليهم في المساجد ، كما ان بعض القضاة كانوا يجمعون الى القضاء وظيفة القاص كسليم بن عتر التجيبي . فقد روى الكندي في كتابه : « الولاة وكتاب القضاء » وهو يترجم لسليم قال : « لقد ولي القضاء بها (اي بمصر) سليم بن عتر التجيبي سنة اربعين من قبل معاوية وكان قبل القضاء قاصاً فجمعها له » . وسليم هو اول من قص بمصر ، كان يقص على الناس ، وهو قائم ، وكان يرفع يديه في قصصه ، ولقد بعث يزيد بن معاوية سليم بن عتر هذا مع بعض اصحابه الى عبدالله بن عمرو ، وكان قد كره مبايعة يزيد بالخلافة ، ليعظوه في البيعة فقال عبدالله :

« ... واما انت يا سليم بن عتر فكنت قاصاً . فكان معك ملكان يفتيانك ويذكرا نك . ثم صرت قاضياً فمعك شيطان^(٣) يزيغانك عن الحق ويفتنانك^(٤) » .

والمقول ان السبب في وجود مثل هذا النوع الرسمي من القصص ان علياً لما رجع من صفين قتت فدعا على من خالفه ، فبلغ ذلك معاوية فامر من يقص بعد الصبح وبعد المغرب ان يدعو له ولاهل الشام ، وكتب بذلك الى الامصار^(٥) .

وقسموا هذا القصص الى نوعين : قصص العامة وقصص الخاصة . وقصص العامة مكروه لمن سمعه ولمن فعله ، وهو ان يجتمع القاص بنقر من الناس فيعظهم ويذكرهم .

(١) احمد امين — فجر الاسلام : ١٩٠ و ١٩١ وراجع ايضاً : تاج العروس مادة الجساسة

(٢) ابن الاثير — اسد الغابة ص : ٢١٥

(٣) كذا في الاصل

(٤) الكندي — كتاب الولاة والقضاء ص : ٣٠٣ - ٣١١

(٥) الكندي — كتاب الولاة والقضاء ص ٣٠٤ الهامش عدد ١ كذلك المقرئ — الخطط

اما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية : « ولي رجلاً على القصص ، فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله ، عز وجل ، وحمده ومجده وصلى على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعا للخليفة ولاهل ولايته ولحشمه وجنوده ودعا على اهل حربه وعلى المشركين كافة (١) » .

وكان القصص اصنافاً وانواعاً . فمنهم الرواة الذين يخلطون بين الحقيقة والاسطورة ومنهم الذين يتحرون الحقيقة فيتخرجون عن رواية غير الحق والصواب . فمن الرواة الذين قرأوا الكتب الكثيرة ورووا الروايات المختلفة وشك المؤرخون في رواياتهم : وهب بن منبه وكعب الاحبار وسيأتي الكلام عنهما فيما بعد . ومن القصص الذين كانوا يعتمدون على الآيات القرآنية وحث الناس على التوبة والموعظة الحسن البصري .

وكان للقصص عادة في رفع ايديهم وهم يقصون وهي عادة مقتبسة عن عبد الملك بن مروان . فقد قيل ان هذا الخليفة شكى الى العلماء ما انتشر عليه من امور رعيته وتخوفه من كل وجه فاشار عليه ابو حبيب الحمصي القاضي بان يستنصر عليهم برفع يديه الى الله قال ، فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك الى القصص فكانوا يرفعون ايديهم بالغداة والعشي (٢) .

ولقد مر معنا ، ونحن نتحدث عن سليم بن عتر ، اول قاص في مصر ان هذا القاص كان يرفع يديه في قصصه وذلك في زمن يزيد بن معاوية قبل عبد الملك بن مروان . فكيف نستطيع التوفيق بين هذين القولين ؟

نرى من كل ما تقدم ذكره ان القصص نشأ في اول عهده حول الدين والرسول والانبياء . روايات وحكايات ، واحاديث وقائع ينشرها بين الناس جماعة من الناس وهبوا مقدرة على الكلام وزلاقة في اللسان فراحوا يبشون هذه الاحاديث ، تارة في سبيل الوعظ والارشاد وطوراً للتهديد والترغيب !

مادة القصص الديني

وارتقى القصص الديني وخطا خطوة كبيرة على يد المؤرخين والمحدثين وشرّاح القرآن الكريم . فذكر الطبري والزمخشري وغيرهما من الشراح عشرات الحكايات

(١) المقرئ — الخطط ج ٢ : ٢٥٣

(٢) المقرئ — الخطط ج ٢ : ٢٥٤

ومئات الروايات ليستعينوا بها على شرح الآيات القرآنية .

وقام من يجمع هذه الحكايات ، وهي تروى على السنة الرواة ، بين دفقي كتاب في العصر العباسي ، كما ان بعض الادباء العباسيين ، راح يقص حكايات الانبياء سارداً تاريخ حياتهم ، حاثاً على اقتفائهم والاقتداء بهم فكان لنا من كل ذلك الكتب التالية :

- ١ - كتاب قصص الانبياء المسمى بالعرائس للثعالبي سنة ٤٢٧ هـ ٤٣٧ هـ ؟
- ٢ - كتاب قصص الانبياء للكسائي من مواليد القرن الخامس الهجري
- ٣ - قصة اهل الكهف
- ٤ - قصة شمشون النبي للينسابوري سنة ٤٢٧ هـ . وهي قصة تاريخية ضمن مجموعة طبعت في القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٥ - قصة سيدنا عيسى وامه مريم . ضمن مجموعة مخطوطة
- ٦ - قصة سيدنا موسى الكليم ابن عمران - مخطوطة
- ٧ - قصة سيدنا يعقوب ابن سيدنا ابراهيم
- ٨ - قصة سيدنا يوسف الصديق طبعت سنة ١٢٧٩ هـ .

هذه بعض الكتب القصصية الدينية التي استطعنا ان نعر عليها في بحثنا . ولنا حاجة الى القول اننا لم نستطع ان نراها جميعها لان بعضها ، كما يبدو ، لم يُطبع بعد ، ولان البعض الآخر ليس موجوداً في مكاتبنا العربية .

على ان اعظم هذه الكتب القصصية الدينية اطولها ، والصقها بالفن القصصي الديني هما كتابان : كتاب الثعالبي وكتاب الكسائي . وسنحاول ان ندرس القصص الديني من خلال هذين الكتابين لانها اجمع المصادر لهذا القصص واشملها .

قصص الانبياء - للكسائي : في المجلد الاول من قصص الانبياء يتحدث الكسائي عن اللوح والقلم وخلق الماء والعرش والارض والسموات والشمس والقمر والجنة والنار . ويصف جهنم وكيف خلق آدم وكيف دخل الروح في جسده ، ويروي حديث الطاووس والحية مع ابليس وكيف أخرج آدم من الجنة . ثم يأخذ بسرد تاريخ حياة الانبياء الذين جاءوا بعد آدم كأدريس ونوح وحام وهود وصالح وثمود وابراهيم واسماعيل ولوط واسحق ويعقوب وعيسو ويوسف مع اخوته ثم ايوب النبي

وُسُعيب ومنشىء الخ . وفي المجلد الثاني يتناول المؤلف حديث يوشع بن نون ويوسافس بن كالب ، ولعيزار وشمويل وداؤد وابسالوم وسليمان ويونس وعيسى بن مريم الخ . . ولقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه « انه جمع في هذا الكتاب المنبهات في خلق السماوات والارضين وخلق الجن والانس واحوال النبيين ، على قدر ما بلغنا من احوالهم واخبارهم بعد ما اجتهدت فيه وجربت ما قرب وما بعد بما وافق الحق ، فهو الذي وضعته وما كان منها بخلاف الحق فأتمه على من وضعه (١) » .

العرائس الثعلبي

ولا يختلف كتاب الثعلبي في جوهره عن كتاب الكسائي . فكلاهما ينهج نهجاً واحداً ويتناول موضوعاً واحداً وان اختلفا في الاسلوب وطريقة العرض . ويرى الثعلبي في مقدمة كتابه ان الحكماء ذكروا ان الله قص على النبي محمد القصص الخمسة امور :

- (١) لظهار نبوته وللدلالة على رسالته
- (٢) للاقتداء بمكارم اخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء الصالحين
- (٣) تثبيتاً للنبي محمد واعلاء شرفه وشرف امته
- (٤) تأديباً وتهذيباً لأتمته - لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب
- (٥) احياء لذكرى الماضين وآثارهم (٢) .

والمستنتج من اكثر هذه الحكايات الدينية انها وضعت لأعطاء العظة والحكمة . وهي تعتمد على القرآن واقوال المفسرين والمحدثين . وتعتمد ايضاً على اخبار الاولين من حكايات واساطير وروايات وخرافات واسرائيليات « لا يمكن ان تصدق ولا تكذب » على حد تعبير ابن كثير (٣) .

وينقل مؤلفو هذا النوع من القصص عن اليهود والنصارى وعن العهدين القديم والجديد ، اخباراً وردت صحيحة في هذه الكتب واخرى لا صحة لها ولا اثر كما سنرى ولقد تناول هذا القصص ، فيما تناوله ، حياة الانبياء والاولياء والرسل ، معتمداً

(١) الكسائي - قصص الانبياء ج ١ : ٦

(٢) الثعلبي - العرائس ص : ٢ و ٣

(٣) عبد الوهاب النجار - قصص الانبياء ص : ١١٤ الهامش .

على المصادر التي مر ذكرها فجاء فناً قصصياً قائماً بذاته ، تختلط فيه الحقيقة بالخيال ، ويمتزج فيه الدين بالأسطورة فيقف القارئ منه موقف المصدق تارة والمكذب تارة أخرى . على اننا سنعرض لحياة بعض الانبياء والرسل والاولياء الذين وردت اسمائهم في هذا القصص وسندرس بشيء من التروي والتعمق قيمة هذا القصص الادبية الفنية . فنلم بامور كثيرة اهمها : تأثر هذا القصص بالتوراة ، وما جاء فيه من روايات عجيبة وخوارق يصعب على العقل والمنطق هضمها وتصديقها . ثم نمرّ بالعبر والدروس الاخلاقية التي يمكن للدارس ان يستنتجها . ولنبدأ بآدم ابي البشر .

قصّة آدم

قبل ان نذكر كيف خلق الله آدم لا بد لنا من ذكر كلمة عن الارض ومن كان يعيش عليها قبل آدم . قيل : « كانت السماء تقتخر على الارض وتقول لها : ربي رفعني فوقك ، فانا الخلق الاعلى ، واني مسكن الملائكة ، وفيّ العرش والكرسي ، والقلم والشمس والقمر والنجوم ، وفيّ خزائن الرحمة ومني ينزل الوحي اليك » .

وقالت الارض : « الهي بسطتني ارضاً واستودعتني بنبت الاشجار والنبات والعيون ، وارسيت على ظهري الجبال ، وخلقت علي انواع الثمار ، وهذه السماء تفتخر علي بما خلقت فيها من الملائكة يسبحونك . وقد اخذتني الوحشة اذ ليس علي خلق يذكر ونك . فتوديت الارض : اسكني فانا خالتي من اديمك صورة لا مثل لها في الحسن وارزقها العقل واللسان ، واعلمها من علمي ، وانزل عليها من ملائكتي ، ثم املئ منها بطنك وظهرك وشرقك وغربك فافتخري يا ارض على سمائي بذلك . فاستقرت الارض وهي ، مع ذلك ، بيضاء نقية كأنها الفضة البيضاء . فاشرفت الجان والى ما فيها من الوحش والسباع والهوام . فسألت الله ان يهبها اليها فاذن الله لهم في ذلك ، على ان يعبدوه ولا يعصوه . فاعطوه العهد على ذلك ، وهم سبعون الف قبيلة ، فعبدوا الله تعالى حق عبادته دهرأ طويلاً ثم اخذوا في المعاصي وسفك الدماء حتى استغاثت منهم الارض وقالت : الهى ، ان خلوي احب الي من ان يكون علي ظهري من يعصيك . فاوصى الله تعالى الى الارض ان اسكني فانني باعث اليهم رسولا^(١) . » وقد ارسل الله

للجان ثمانائة نبي في ثمانائة سنة فقتلوه جميعاً بعد ان كذبوا دعوتهم . فما كان من الله الا ان امر ابناء الجن الذين في السماء ، وعلى رأسهم ابليس ، بالنزول لمقاتلة جان الارض فقاتلوه وكان الفوز لابليس . فرفعه الله اليه . وكان ابليس يتنقل من سماء الى سماء يقضي السبت في السماء الدنيا والاحد في السماء الثانية والثالثة فالرابعة الى السابعة . حتى حسدته الملائكة على تقدير العلي له ، وفي مقدمتهم جبريل وميكائيل .

هكذا كانت الارض قبل آدم .

ويعر دهر طويل بعد ذلك ، فيأمر الله جبريل ان يهبط الى الارض ويقبض قبضة من شريقها وغربها وسهلها وجبالها ليخلق منها خلقاً جديداً يجعله افضل المخلوقات جميعها . ولكن ابليس العابد ، وهو رأس الزاهدين ، ينصح الارض لكي تقسم على جبريل الا يقبض منها شيئاً لئلا تكون سبباً في اعطاء الحياة لمخلوق يعصى الله فيعذب بالنار . ويرتعد جبريل من قسم الارض ويرجع الى الله دون ان يأخذ من الارض شيئاً فيرسل الله ميكائيل لياتيه بالقبضة فتفعل الارض معه ما فعلته بجبريل فيطيعها . عندئذ بعث الله عزرائيل ملك الموت ، فلما هم ان يقبض من الارض قبضة اقسمت عليه مثلما اقسمت على جبرائيل وميكائيل فقال لها : « وعزة ربي وجلاله لا اعصيه امرأ امرني به ثم قبض منها قبضة من جميع بقاعها ، عذبها وحلوها ، ومالحها ومرها ، وطيبها وحملها الى الله بعد ان اخبره بما جرى له مع الارض . فقال الله : « وعزتي وجلالي لا اخلقن بما جئت به خلقاً ولا سلطتك على قبض ارواحهم ، لقلة رحمتك . فجعل الله نصف تلك القبضة في الجنة ونصفها في النار (١) » .

وخلق الله آدم ، كما خلق كل بني البشر من تلك القبضة ، ورأس آدم من الارض الاولى ، وعنقه من الثانية ، وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة ، وبطنه وظهره من الخامسة ، وفخذه وعجزه من السادسة ، وساقاه وقدماه من السابعة (٢) .

هذا ما حدث به وهب بن منبه . اما ابن عباس فقال : « خلق الله آدم من اقاليم الدنيا . فراشه من تربة الكعبة ، وصدره من تربة الدهناء ، وبطنه وظهره من تربة الهند ، ويداه من تربة المشرق ، ورجلاه من تربة المغرب (٣) » .

(١) الكسائي — قصص الانبياء ج ١ : ٢٣

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ج ١ : ٢٤

(٣) الكسائي — قصص الانبياء ج ١ : ٢٤

صفحة آدم

فآدم اذاً مخلوق عظيم لم يسبق ان شهدت الملائكة او اي المخلوقات قبله نظيراً له . وتنظر الملائكة الى هذا المخلوق الجديد « كأنه الفضة البيضاء »^(١) كيف البسه الله من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة ، ورفع على سرير وحمله على اكتافهم وقال لهم : طوفوا به في سماواتي ليرى عجائبها وما فيها^(٢) .

ولم يستنكف جبريل ان يأخذ بلجام الميمون وهو الفرس الذي خلقه الله من المسك الاذفر بجناحين من الدر والجواهر ليركبه آدم في طوافه في السماء . كذلك كان ميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله . بينما كان يطوف جميع السماوات . وقد اصطفت حوله الملائكة وضربت له في الصفح الاعلى قباب من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر . فكان يمر بالملائكة يحییهم وعليه ثياب سندس في رفاقة الهواء وله صفرتان مرصعتان بالجواهر محشوتان بالمسك والعنبر ، وعلى رأسه تاج من الذهب مرصع بالجواهر له اربعة اركان في كل ركن منها درة عظيمة يغلب ضوءها ضوء الشمس والقمر وفي اصابعه خاتم الكرامة ، وفي وسطه منطقة الرضوان ، وله نور ساطع في كل غرفة في الجنة .

بهذه الزينة التي تدهش اهل الارض والسماء وقف آدم خطيباً في الملائكة فحمد الله وتحدى الملائكة ليخبروه باسماء المخلوقات فما استطاعوا فيجعل يخبرهم باسم كل شيء خلقه الله في البر والبحر حتى الدرة والبعوضة .

آدم في الجنة

وخلق الله حواء على طول آدم وعلى حسنه وجماله ولها سبعة مائة صغيرة مرصعة بالياقوت ، محشوة بالمسك ، وزوجه اياها باهية وعظيمة . فوضع لآدم كرسي من جوهر وجلس عليه وكان الخاطب جبريل والشهود الملائكة فنثروا على العروسين نثار الجنة وقال الله تعالى لآدم :

حواء أمتي وانت عبدي . يا آدم ! ما خلقت من هو اكرم علي منكما اذ انتما

(١) الكسائي — قصص الانبياء ج ١ : ٢٧

(٢) الثعلبي — العرائس ص : ١٨

اطعتماني . وقد خلقت لكما داراً وسميتها جنتي . فمن دخلها كان وليي حقاً ومن لم يدخلها كان عدوي حقاً^(١) .

ويأمر الله جبريل ليأمر رضوان حارس الجنة باحضار ميمون فرس آدم الذي خلقه الله خمسمائة سنة قبل ان يخلق آدم ، ذلك الفرس المخلوق من مسك الجنة ممزوجاً بماء الحيوان ، ذلك الفرس الذي عرفه من المرجات وناصيته من الياقوت وحوافره من الزُّبرجد واجنحته من الجواهر . فيصدع رضوان بالامر ويفتح ابواب الجنان وينادي الميمون فيقبل بالتسبيح والتقديس والتهليل حتى يقف بين يدي جبريل فيوقفه بين يدي آدم فيستوي على ظهره ويأخذ جبريل بركابه . وجيء لحواء بناقاة فاستوت عليها ودخل الاثنان وحوّلها الملائكة صفوفاً صفوفاً الى ان بلغوا باب الجنة .

ولما توسط آدم وحواء الجنة ، جنة عدن ، نظر فاذا هو بسرير من جوهر له سبعمائة قائمة من انواع الجواهر ، وله شرافات كثيرة ، وعلى السرير فرش من السندس والاستبرق . وبين الفرش كتيبان المسك والعنبر ، وعلى السرير اربع قباب : قبة الرضوان ، وقبة الغفران ، وقبة الخلد ، وقبة الكرم . وكان عن يمين السرير جبل من مسك وعن يساره جبل من عنبر وشجرة طوبى . وبقي آدم مع حواء في الجنة خمسمائة عام من اعوام الدنيا في اتم سرور وانعم الاحوال . وكان آدم يتمشى في ميادين الجنة وحواء خلفه تسحب سندسها ، وكلما تقدما من قصر الى قصر نثرت عليهما الملائكة من نثار الجنة حتى يرجعا الى سريرهما .

وقضى آدم مع حواء خمسمائة سنة في الجنة في اتم سرور وانعم بال الى ان وقع في الخطيئة ، بعد ان طغاه ابليس بان احتال على الحية ودخل معها الجنة وهو مختبيء بين انبيائها .

وأخرج آدم من الجنة . وحُجبت عنه حواء . وكانت الملائكة تخافه وهي تنظر اليه عريان . واهبط الى بلاد الهند ، على جبل من جبالها يقال له سرنديب^(٢) واخذ في البكاء حتى بكى مئة عام ليلاً ونهاراً ، وهو لا يرفع رأسه الى السماء حتى انبت الله من

(١) الكسائي — قصص الانبياء ج ١ : ٣١ و ٣٢

(٢) كذا في الاصل وهو في جزيرة سرنديب . جاء في معجم البلدان لياقوت مج ٣ : ٨٢ ما يلي : «وفي سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم يقال له الرّهون وهو ذاهب في السماء يراه البحر يرون من مسافة ايام كثيرة . »

دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل والكافور والغرغر والقماري وأنواع الطيب كله ، ولهذا السبب يعزون كثرة المسك الى بلاد الهند . . وكانت الطيور والسباع والموام والوحوش تشرب من دموع آدم لغزارتها . وبكت حواء فانبت الله من دموعها القرنفل والافارغة . ولقد استطاع آدم ان يتكلم وحواء عن بعد سحيق . كانت الريح تحمل كلام آدم الى حواء وكلام حواء الى آدم فيظن كل واحد منهما انه قريب من صاحبه . وبينهما البلاد البعيدة !

ولقد القى هبوط آدم الى الارض الرعب في روع الحيوانات من برية وبحرية . فالنسر يحمل الجبر الى الحوت ويستعيزان من هذا المخلوق الجديد قائلين : الويل لاهل البر والبحر من هذا الانسان !

توبة آدم

قيل ان آدم بكى على فراقه الجنة، بكاء لو وضع في كفة ووضع في الكفة الاخرى بكاء يعقوب على يوسف وبكاء داود على خطيئته ، مع بكاء جميع الخلق لرجع بكاء آدم على بكاؤهم !

وقيل انه قام على بكاؤه ثلاثمائة عام لا يرفع رأسه الى السماء وهو يقول : اللهم باي وجه انظر الى السماء وانا نزلت منها عريان عاصياً ؟

وسمع الله نداء آدم وقبل توبته فارسل ملاكه جبريل لمجيئه ولیمسح دموعه ويعلمه الكلمات ، فصعد جبريل بالامر وحمل الكلمات ونشر جناحيه فامرهما على وجه آدم فهدأ بكاءه فقال له : يا آدم : لقد غفر الله خطيئتك وقبل توبتك ، ولقد ابكيت اهل السماوات والارض فاليك الكلمات وهي كلمات الرحمة والغفران . واما هذه الكلمات فسيأتي الحديث عنها . وشكر الله آدم وطلب المغفرة لنفسه ولأولاده من بعده . فانتشر صوته في الآفاق وضجت الارض والجبال والشجر من ذلك الصوت الرهيب . ثم رفع رأسه فرفع له حجاب النور وفتحت له ابواب السماوات وحاول ان يقوم فلم يقدر لان رجليه كانتا راسختين في الارض كعروق الشجر فاقتلعه جبريل اقتلاعاً صاح آدم على اثره من شدة الالم . فقال له جبريل : هكذا تفعل الخطيئة باهلها . واخذ آدم يعمل وامراته حواء في الارض، يحرث ويزرع ويحفر الآبار . ولم تنقطع

عنه الملائكة بل كانت تعلمه كيف يتصرف في شؤونه ويداري اموره ويداوي جوعه وعطشه . فكانت الكباش تأتيه من الجنة وهو يذبحها لياً كل لهما ثم يجز صوفها ويغزله مع زوجته لينسجاه لهما ثياباً .

وفاة آدم

وبعد ان عمرت الارض كلها وذلك بفضل آدم وعمله المستمر واهتمامه الشديد بغرس الاشجار والحراث والزراعة استوفى مدته . فاوصى الله اليه : يا آدم قد قرب اجلك . فخاف آدم من الموت وخاصة عند ما عرفه الله بان الموت « هو اشد مرارة من السم القاتل وانه يذهب بالنضارة من الوجه والكلام مع الحسن والجمال حتى يعود الجسم كما كان » (١) .

ولكن آدم عاد ففهم ان الموت هو الحُتم الذي كتبه الله على جميع خلقه وان الملائكة قيام في السماء قد نشروا اجنحتهم وفي ايديهم الكرامة ينتظرونه ليستقبلوه استقبالا عظيماً ، وان الله لو خلد احداً في الدنيا لكان خلد آدم . لذلك صدع بالامر امر الخالق العظيم واجاب ملك الموت : « اني سميع مطيع لامر ربي » . فناول ملك الموت شراب الفراق فشربه وفارق الدنيا وعمره الف سنة . فلم يبق على وجه الارض والسموات شيء الا وبكى على آدم . بكى عليه الوحوش والسباع والطيور والهوام وكسفت الشمس . وعندما علمت حواء بموت زوجها ، وكان آدم قد امر بالا تخبر زوجته بوفاته الا بعد دفنه ، صاحت صيحة عظيمة ومزقت ثوبها ولطمت وجهها ودقت على صدرها ، ولزمت قبره لا تأكل ولا تشرب الى ان حان حينها ففارقت الدنيا وكفنت كآدم في كفن من الجنة ودفنت الى جنب زوجها ، رأسها على رأسه ورجلاها عند رجله .

آدم في القرائن والتوراة

يرى القارئ مما تقدم ان هذا القصص الديني يتناول حياة ابي البشر بشيء كثير من التفصيل والتزويق اللذين لا اثر لهما في القرآن او في التوراة . ولقد سبق القول ان هذا القصص وُضع اول ما وضع ، في سبيل تفسير القرآن وخدمة لفهم آياته . ولكن

واضعيه استطوا عن الطريق القويم واستسلموا لخيلائهم فابتكروا الخوارق وابتدعوا العجائب فجاء قصصهم ملوناً بالف لون لا يمت بصلة الى اي كتاب من الكتب الدينية . وتصديقاً لادعائي هذا فقد راجعت حياة آدم في الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم فلم اعثر على شيء من هذه الاخبار الحارقة التي مرت بنا والى القارىء نفثاً عن حياة الانسان الاول كما وردت في القرآن :

هناك آيات تدل على ان الانسان خلق من طين^(١) .

هو الذي خلقكم من طين . ولقد خلقنا الانسان من طين . الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه . اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . وليس في القرآن الكريم تفصيل لخلق آدم بل هو يزيد على ما تقدم قوله :

ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضفة فخلقنا المضفة عظماً فكسونا العظام لحمًا ثم انشأناه خلقاً آخر . فتبارك الله احسن الخالقين .

فانت ترى ان القرآن الكريم يوجز ايجازاً كلياً في خلق آدم كما انه لا يشير الى موته ، على ما نرى ، ولكن في هذا الايجاز مجالاً كبيراً للتفكير وللشرح والتأويل . وقد استغل القصاص هذا الايجاز فجاءوا بقصصهم الذي نحن بصده .

ولو رجعنا الى التوراة لوجدنا ان قصة آدم مذكورة في سفر التكوين في الاصحاحين الثاني والثالث وهي لا تختلف عنها في القرآن اختلافاً جوهرياً وان جاءت اكثر تفصيلاً في بعض الامور :

« وجبل الرب الاله آدم تراباً من الارض . ونفخ في انفه نسمة حياة . فصار آدم نفساً حية . وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله . وانبت الرب الاله من الارض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل . وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر^(٢) » .

(١) سورة الانعام آية ٢ . سورة الاعراف آية ١١ . سورة المؤمنين آية ١٢ . سورة السجدة

آية ٦ و ٧ و ٨ . سورة ص آية ٧١ و ٧٧

(٢) الكتاب المقدس — سفر التكوين الاصحاح ٢ : ٧ و ٨ و ٩

ثم تشير التوراة الى وصف هذه الجنة والى وصية الله آدم لياكل من جميع اشجار الجنة الا من شجرة معرفة الخير والشر ثم الى خلق حواء من اضلاع آدم وحياتها معاً سعيدين هنيئين الى ان استطاعت الحية ان تحتال على حواء وتخدعها فتحملها على اكل الثمرة المحرمة واطعام آدم منها فيقعان في الخطيئة ويبدو لهما عريهما فيختبئان من وجه الرب الاله في وسط الجنة . ثم تذكر التوراة مخاطبة الله لآدم وحواء وفرض القصاص عليهما . وتذكر ايضاً ان ادم توفي وله من العمر تسع مائة وثلاثون سنة^(١) .

بين التوراة والقرآن

وليس الاختلاف بيناً في قصة آدم وحواء كما وردت في الكتابين الكريمين الا في بعض مسائل طفيفة :

اولاً : ان الذي اغرى آدم وحواء للوقوع في الخطيئة هو ابليس على حد قول القرآن وهو الحية على قول التوراة .

ثانياً : ان القرآن يذكر الحوار بين الله وبين ملائكته عن عزمه على خلق ادم وعن وجوب سجودهم له . وليس شيء مثل هذا في التوراة .

ونحن نلاحظ ان واضعي القصص الديني متأثرون الى حد بعيد بالتوراة ولكنهم وقعوا في اخطاء كثيرة ، وهم ينقلون هذه الاخبار . وسنبرهن على خطأهم فيما بعد .

هذه هي حكاية خلق ادم كما رواها رواة القصص الديني مستندين على القرآن تارة وعلى الاسرائيليات طوراً وها اننا موردون هنا نتفأ من حكايات بعض الرسل والانبياء لاعطاء القارئ صورة صحيحة عن هذا القصص ، متوخين من ذلك دراسة هذا القصص واستجلاء ما فيه من عناصر التشويق واللذة والفن .

وسنتناول ، بإيجاز كلي بعض النقاط في حياة كل من نوح وابراهيم ويوسف وعيسى ومحمد .

نوح

هبط جبريل بامر الله وبشّر نوحاً بالنبوة والرسالة وارسله لينذر قومه الكفرة اولئك القوم الذين كانوا يخرجون في يوم عيدهم ، جميع اصنامهم ينصبونها على اسرتها وكراسيها ويقرّبون القرابين بين ايديها ويشربون الخمر ويضربون بالصنوج ويرقصون ويأتون الفواحش على احط انواعها . وكان نوح يقف بين هؤلاء الناس الفجار واعظاً ويدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار فلا يسمع له احد منهم الا امرأة اسمها عمورة وهي التي تزوج منها واولدها ثلاثة بنين : سام وحام وياث وثلاث بنات : حصورة وميشورة ومحبورة . واتهم نوح بالجنون والكذب وكانوا يحرقونه بوجله فيلقونه على المزابيل فيغشى عليه وهو صابر على اعمالهم المنكرة يذكر لهم عجائب الله فلا يسمعون له بل يضعون اصابعهم في اذانهم ولا يزدادون الا عتواً .

ومضى على نوح ستة قرون (والقرن مئة سنة) وهو يعظهم فلا يتعظون ويأتي اصنامهم في الليل ويسفهاها منادياً باعلى صوته : « يا قوم قولوا لا اله الا الله واني نوح نبي الله ورسوله » . فيتهمونه بالجنون ويضربونه ضرباً مبرحاً ويدوسون في بطنه الى ان اوصى الله اليه ان اصنع الفلك فعلم نوح ان الله سيفرق القوم الفجار بالطوفان .

سفينة نوح

وضع نوح السفينة بمساعدة اولاده « فجعل رأسها كراس الطاووس وعنقها كعنق النسر ووجهها كوجه الحماة وكونها كذنب الديك ومنارها كمنقار الباز واجنحتها كأجنحة العقاب » (١) .

اما طولها فيبلغ الف ذراع وعرضها خمسمائة وسمكها ثلاثمائة . هذا على رواية الكسائي (٢) . اما في العرائس فيبلغ طولها ١٢٠٠ ذراع وعرضها ستائة (٣) .

ووضع نوح في السفينة طبقات طبقات خص بعضها بالدواب والوحوش وبعضها بالطير واجناسها والهوام الطائرة وغير الطائرة . ووضع في الباب الاول الرجال وجسد ادم وهو غض لم يتغير منه الا اظافره .

(١) الكسائي — قصص الانبياء ج ١ : ٩٢

(٢) التلبي — العرائس ص : ٣٧

وامر الله السفينة ان تطوف بنوح اقطار الارض والدنيا فطافت باهلها الارض كلها في ستة اشهر لا تستقر على شيء حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت واخبرت نوح بان هذا المكان هو الذي ستسكنه الانبياء من بعد نوح . ثم سارت الى الكعبة ونطقت بالتلبية !

واستوت السفينة بعد هذا التطواف الطويل على جبل الجودي « وهو جبل حصين من ارض الموصل »^(١) فخرج نوح ومن معه من السفينة واتخذ من ارض الجزيرة موضعاً وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون . وتوفي نوح وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة . قيل له : كيف وجدت الدنيا ؟ قال : كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر .

فصله نوح في الكتب الربانية

ولا حاجة بي الى القول بان حكاية نوح ، كغيرها من القصص الدينية الذي نحن بصددده ، مبنية على بعض الآيات القرآنية . ولكنها تخالف القرآن مخالفة كبيرة في هذه التفاصيل الخرافية وهذه الحوادث الخارقة التي تشوه وجه الحقيقة تشويهاً ظاهراً .

نوح في القرآن

لقد ورد ذكر النبي نوح في القرآن في أكثر من اربعين موضعاً وذكرت قصته مفصلة في عدة سور « كالاعراف وهود والمؤمنون والشعراء والقمر ونوح » . ومفادها ان الله ارسل نوحاً الى قومه ليعظهم ويرشدهم بعد ان تمادوا في غيبتهم وضلالهم فكفروا بدعوته ورذلوه ولم يصدقوه . فيئس نوح من هداية قومه ودعاه به عليهم قائلاً :

« رب لا تدرك علي الارض من الكافرين دياراً . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً »^(٢) .

(١) الثعلبي — العرائس ص : ٣٧ جاء في معجم البلدان مج ٢ : ١٤٤ ما يلي : الجودي هو

جبل مطلق على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من اعمال الموصل ، عليه استوت

سفينة نوح .

(٢) القرآن — سورة نوح آية ٢٥ و ٢٦

نوح في التوراة

وذكرت قصة نوح في التوراة بشيء من الاختلاف عما هي عليه في القرآن وذلك في بعض امور نبينها فيما يلي :

ذكرت التوراة انه في سنة ستائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفجرت طاقات السماء وكان المطر على الارض أربعين يوماً وأربعين ليلة. في ذلك اليوم عينه دخل نوح واولاده سام وحام ويافث وامراته وثلاث نساء بنيه الى الفلك . وتعاضمت المياه على الارض مائة وخمسين يوماً . واستقر الفلك في السابع عشر من الشهر على جبال اراراط . . وكلم الله نوحاً قائلاً: اخرج من الفلك انت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك^(١).

وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة . فكانت كل ايامه تسعمائة وخمسين سنة ومات .

وجاء في سفر التكوين عن حجم السفينة ما يلي :

« اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر تجعل الفلك مساكن وتطليه من خارج وداخل بالقار . وهكذا تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك ، وخمسون ذراعاً عرضه ، وثلاثون ذراعاً ارتفاعه^(٢) » .

وهناك اشارة واضحة في التوراة الى اغراق جميع من كان على وجه البسيطة من الاحياء حتى الحيوانات :

« وتعاضمت المياه كثيراً جداً على الارض . فتغطت جميع الجبال الشاخحة التي تحت كل السماء . خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاضمت المياه فتغطت الجبال فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض من الطيور والبهائم والوحوش . وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس ، كل ما في انفه نسمة روح حيوة من كل ما في اليابسة مات . فمجا الله كل قائم كان على وجه الارض : الناس والبهائم والدباب وطيور السماء فانمحت من الارض وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط^(٣) » .

(١) الكتاب المقدس — سفر التكوين اصحاح ٧ و ٨ و ٩

(٢) الكتاب المقدس — سفر التكوين اصحاح ١٤ و ١٥

(٣) الكتاب المقدس — سفر التكوين اصحاح ٧

فنحن نرى ان قصة نوح كما رويت في هذا القصص الديني فيها الشيء الكثير مما لم يروا في التوراة ولا في القرآن وفيها هذه المبالغات الفاحشة في كل شيء وهذه التفاصيل التي اوجت بها مخيلة الرواة .

ولعلنا لو قارنا بين حجم سفينة نوح كما ورد في القصص الديني وهو يبلغ الف ذراع طولاً وخمسمائة ذراع عرضاً وثلاثمائة ذراع سمكاً وبين حجمها كما ورد في التوراة ، لأتضح امامنا هذه المبالغات الفاحشة ولاستطاع القارئ ان يكون لنفسه فكرة عن هؤلاء الرواة .

اما القرآن فلم يذكر شيئاً عن حجم السفينة ولكنه ذكر عن ابن لنوح عصى اياه ولم يشأ ان يدخل السفينة فهلك مع الهالكين مع ان التوراة لا تذكر شيئاً من ذلك .

كذلك هناك مسألة زوج نوح وقد ذكرت في التوراة انها رافقت زوجها الى السفينة وكانت بجانبه هي وبنوها ونساء بنيتها . اما في القرآن فامرأة نوح كانت كافرة وهلكت مع القوم الهالكين . وليس شيء من جميع هذه الامور المذكورة في هذا القصص الديني الذي بين ايدينا وان ذكر شيء فبطريقة خيالية بعيدة كل البعد عن العلم والحقيقة المجردة .

هذه هي حكاية نوح وهذا ما عنّا ان نعلقه عليها . ولا بد من الرجوع الى بعض تفاصيلها عندما نبحث في بعض مزايا هذا القصص الديني . والى القارئ قصة ابراهيم :

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

قصّة ابراهيم

ولادته

ولد ابراهيم بالسوس^(١) من ارض الاهواز بعرف البعض وفي بابل من ارض السواد^(٢) بناحية يقال لها كوئا بعرف البعض الآخر . وهناك من يقول انه ولد بالوركاء^(٣) في حدود كسكر او في بجران^(٤) . هذا ما جاء في القصص الديني اما في الكتب المقدسة فلم يذكر شيء من ذلك . وتوافق ولادته اسطورة مفادها ان الكعبة عند ولادته ، خرّت ساجدة وقالت : لا اله الا الله وحده ، لا شريك له . والاصنام كلها اصبحت منكوسة وضربت السباع باذناها الارض لحمل ابراهيم وطلع نجمه وله طرفان احدهما بالشرق والآخر بالمغرب . وكان له ضياء كضوء الشمس والقمر^(٥)

وكان ابراهيم ، وهو لا يزال طفلاً ، يمص اصابعه الخمس فتدّر له الابهام عسلاً والسبابة خيراً والوسطى لبناً والبصرة زبداءً والخصر ماء ! .

ابراهيم والاصنام

وكان ابو ابراهيم تارح يصنع الاصنام ويعطيها لابنه ليلبيعها فيذهب بها ابراهيم وينادي : من يشتري ما يضر ولا ينفع ؟ فلا يشتري احد منه . فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر وضرب رؤوسها وقال لها : اشربي .. كسدت .

(١) جاء في معجم البلدان لياقوت مج ٣ : ١٨٨ - ١٨٩ ما يلي : السوس بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي . والسوس ايضاً بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية . وفتحت الاهواز في ايام عمر بن الخطاب على يد ابي موسى الاشعري وكان آخر ما فتح منها السوس .

(٢) « السواد موضعان ، احدهما نواحي قرب البلقاء . والثاني يراد بها رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب » معجم البلدان مج ٣ : ١٧٤

(٣) « الوركاء بالفتح ثم السكون . موضع بناحية الروابي ولد به ابراهيم الخليل ، وهو من حدود كسكر » معجم البلدان مج ٤ : ٩٢٢

(٤) التعليق — العرائس ص : ٤٦

(٥) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٢٩

ابراهيم والنمرود

ويذكر هذا القصص ان النمرود كان الملك الحاكم في زمن ابراهيم وانه كان معبود الشعب والهمهم وله مملكته الارض ، شرقها وغربها . وكان نمرود هذا اسود ، احول ، افطس يهابه الشعب ويرتعد منه فرقاً عند ذكر اسمه ويسجدون له بكرة وعشياً الا ابراهيم فقد خالف الجميع وعصى اوامر النمرود وكذب به بين جمهور الناس وسفّه وهزى منه ومن اصنامه واخذ يعظه قائلًا : « من اياي ان ادعو الاسود والافيلة والكلاب واسلطها عليك وامر سريرك فيسقطك عنه وامر تاجك ويطيور عن رأسك ، وامر قصرك ويقع عليك ، انما الله لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير ^(١) » .

فكان النمرود يفتاظ لمثل هذه الاقوال واخذ يعذب ابراهيم . فامر به فقيدوه وادخلوه الحبس تحت الارض . فكانت الملائكة تأتيه بطعام وشراب من الجنة . واجترح ابراهيم العجائب الغريبة ليحمل النمرود على الايمان فلم يؤمن . لقد استطاع ان يجمع بين اربعة اخوة من ابناء العرب ، كان الملك قد غضب عليهم فحبسهم واحداً في السجن وكان مع ابراهيم ، وواحداً بالمشرق والثالث بالمغرب ، والرابع باليمن . فعل ابراهيم كل ذلك بعد ان صلى ركعتين مع ان السحرة عجزوا ، رغم كل ما اوتوا من مهارة ، ان يقوموا بشيء مما قام به نبي الله ^(٢) !

ومن الطريف حقاً ان نذكر باختصار هذه الحرب الشعواء التي شنها النمرود على نبي الله ابراهيم وعلى اتباعه الذين رأوا اعماله فأمنوا بعجائبه . ساء النمرود ان يتجبر ابراهيم عليه وان يعصي اوامره وينفّر قلوب الشعب من حوله فأمر بحفر حفرة واسعة ، وامر بجمع الحطب الكثير على الدواب والبغال مدة اربع سنين . ثم أضرمت هذه النار فالتهمت وعلا دخانها حتى انتهى مقدار اربعمئة ذراع ورموا بابراهيم في هذه النار وهو عريان فلم يصبه اذى من حرها . واتاه جبريل بسرير من ذهب والبسه لباساً اخضر من الجنة واحاطت به الملائكة بمقدار مئة الف !

النمرود يحاول الانتقام من ابراهيم

وتبلغ الحماقة بالنمرود وقد رأى ان النار لا تؤثر في ابراهيم ان يتخذ له تابوتاً مربعاً

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٣٤

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٣٥

يكون له بابان ، باب الى السماء ، وباب الى الارض . ويسمر في اركان التابوت عمودين من حديد يربط اليهما اوساط اربعة من النسور . فتطير بالتابوت في الجو وفيه النمرود يحمل قوساً ونشاباً وهو يصعد الى مقاتلة اله ابراهيم !

الملاك بنصح النمرود

ويتلقاه ملك في الهواء ويقول له : وملك يا نمرود الى اين تريد ؟ فيقول : انا اريد اله ابراهيم لاحاربه . فكم بقي بيني وبينه ؟ وعندما يسمع النمرود ان بين الارض والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وان سمك السماء كذلك ، وهي سبع سموات ، وبين كل سماء كما بين السماء والارض ، غضب واخذ القوس ووضع فيه سهماً ورمى به في الفضاء محاولاً ان يقتل اله ابراهيم . فارتد اليه السهم ملطوخاً بالدماء على ما يقال (١) . ولكن جبريل لم يطق صبراً على مثل هذه التهجمات تصدر عن ملك عات متبرد نحو العزة الالهية فضرب بريشة من ريشه التابوت والقاه في البحر بمن فيه ولكن الامواج قذفته الى الساحل فخرج النمرود منه وقد ابيضت لحيته ورأسه . وانتهت حياة النمرود انتهاء مفاجئاً اذ اقبلت اليه بعوضة فقعدت على لحيته ، فهمّ بقتلها ، فدخلت في احد منخريه ، وصعدت الى دماغه واكلت اللحم والمنخّ والدم وجعلت تسبح الله حتى مر اربعون يوماً والنمرود لا ينام ولا يأكل ولا يشرب . واخيراً انخذله عصاً من حديد وامر اعوانه ان يضربوا بها رأسه لكي تسكن البعوضة في الداخل . واخيراً ضربه احد وزرائه ، وكان ذا بأس شديد فشق رأسه نصفين وخرجت البعوضة ، وهي « كفرخ الحمام » وهي تقول : لا اله الا الله ، ابراهيم رسول الله وخليفه ! وكان من الطبيعي ان يموت النمرود بعد كل هذا .

والحقيقة ان هذه الاسطورة تلفت نظر القارىء وتستوقفه وتستدعيه الى التساؤل : من اين اتى جامعو هذا القصص بها ؟ وعلى ماذا استندوا في سردها ؟ وللجواب على ذلك رجعنا الى القرآن الكريم نستعرض جميع الآيات التي ورد فيها ذكر لابراهيم فلم نجد ذكراً للنمرود ولكن في بعض الآيات اشارة الى ملك تجري بينه وبين ابراهيم محاوره شبيهة بالمحاوره التي جرت بين ابراهيم والنمرود .

« ألم تر الى الذي حاجّ ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم: ربي الذي

يحيي ويميت . قال : انا احيي وأميت . قال ابراهيم : فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ^(١) . والذي حاج ابراهيم في ربه واتى الملك ليس غير النمرود في عرف جامع هذا القصص . فهم يذكرون ذلك بوضوح وجلاء ، لا يقبلان الشك عندما يسردون حياة ابراهيم في تفاصيلها ، وعندما يحاولون ان يروا اصولها في القرآن .

ومن المرجح ان يكون اصل هذه الاسطورة قد نقل عن اليهود فلو اجرينا مقابلة بسيطة بين هذه الحكاية كما جاءت في هذا القصص العربي وبين طريقة سردها كما وردت في الفصل السادس عشر من كتاب : Midrâsh Rabbâ . وهو تعليق على التلمود ، لاتضح لنا التشابه واطهر لنا النقل ظهوراً واضحاً . هذا ما يقول به القس تيسدال في كتابه « اصول القرآن ^(٢) » .

ويذكر المؤرخ المعروف ابو الفدا (٦٧٢ م) هذه الحكاية باختصار كلي مؤكداً اتصال ابراهيم « بالنمرود بن كوش الذي كان ملك تلك البلاد » . ويحاول القس تيسدال المذكور ، بعد ان يقارن بين مختلف هذه الروايات ان يؤكد ان قصة النمرود ووضعه ابراهيم في النار ليست الا من مخترعات الخيال ومبتكرات القصص اليهود الاقدمين . وان المؤرخين العرب وقصاصيهم نقلوها الى اللغة العربية دون فهم او تمحيص . لاسيما وان التوراة تذكر النمرود وتذكر انه عاش قبل ابراهيم بزمان طويل .

هذا ما خطر لنا حول هذه الاسطورة . بقي ان نقول ان ابراهيم امثالاً لاوامر الله اخذ ابنه اسحق ليقدمه قرباناً « فقال الرب يكلم عبده ابراهيم : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه (اسحق) واذهب الى ارض الموريا ^(٣) واصعد محرقة على احد الجبال الذي اقول لك ^(٤) . هذا ما جاء في التوراة . ويتصدى الى تكذيب هذا القول شيخ من شيوخ الاسلام في كتاب ضخم هو كتاب : قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار . فيقول معلقاً على قول التوراة المار ذكره : « وفي رأيي ان مسألة الذبح كانت قبل ولادة

(١) القرآن — سورة البقرة آية ٢٦٠

(٢) Tisdall, W. St Clair — The Original Sources of the Qur'an p: 66

(٣) جبل الموريا هو الذي عليه مدينة اورشليم

(٤) الكتاب المقدس — سفر التكوين الاصحاح ٢٢

اسحق وان ابراهيم اسكن اسماعيل وامه مكان مكة قبل مسئلة الذبيح وانها حصلت بنواحي مكة لا في جبل الموريا^(١) . ثم يتهم اهل التوراة بتحريف كتابهم وبأنهم مشهورون بذلك ومن شاء شيئاً من ذلك فليراجع ما كتبه كتّاب المسلمين في هذا الشأن . يفعل النجار كل ذلك ليجعل الذبيح اسماعيل بدل اسحق اذ كيف يكون اسحق هو الذبيح وهو ابو اليهود ولا يكون اسماعيل وهو ابو العرب ؟ ويتكلف عبد الوهاب النجار بحثاً طويلاً يحاول ان يؤكد ادعاءه، مستنداً على التوراة نفسها مع ان نص التوراة اوضح من ان يقبل شرحاً او تأويلاً .

ولسنا في موقف الدفاع عن التوراة . وليس في مقدور من كان مثلي ولا من رأيه ان يثير مثل هذه البحوث وان يرد على القسس والمشايع ولكني اعيد الحقائق من ان تصبح تحت اقلام بعض الكتاب عرضة للذم والتحقيق خاصة متى كانت هذه الحقائق واردة في الكتب الدينية اياً كان نوعها .

هذه هي تعليقاتنا على قصة ابراهيم كما جاءت في الكتب الدينية وكما زوّقتها مخيلة القصاص . وليس قصدنا ان ندرس جميع الانبياء وان نحلل حياتهم واحداً واحداً كما يظهرون في هذا القصص . انما نكتفي بدراسة حكاية يوسف الصديق من انبياء التوراة ففيها امور غريبة كثيرة وهي قصة مشهورة ذكرت في جميع الكتب المقدسة حتى قيل فيها : « ما بعث الله نبياً الا وقص عليه قصة يوسف كما قصها على النبي محمد^(٢) » .

على انه لا بد من التعرض لحياة عيسى ومحمد كما وردت في هذا القصص الذي ندرسه لاسيما وان لها شأناً كبيراً يختلف في تأثيره واهميته عن اي نبي من الانبياء الذين مر ذكرهم .

(١) عبد الوهاب النجار — قصص الانبياء ص : ١٣٥

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٧٩

قصة يوسف

قصة يوسف اطرف الحكايات الدينية واشدها انتشاراً بين العامة والخاصة. زد على ذلك انها كانت نواة صالحة للأدباء وأوا فيها مادة غزيرة للقول والشرح والتأليف. ولن احاول ان اسرد هذه الحكاية في تفاصيلها كما وصلتنا من مصادرنا المختلفة لان ذلك باستطاعة من يشاء الرجوع الى تلك المصادر والاطلاع عليها ، ولكني ذكّر بعض حوادثها الرئيسية كما وردت في الكتب الدينية ثم موقف هذا القصص الديني من تلك الحوادث . وهل يتفق معها ؟ والى اي حد ؟

من هو يوسف ؟

هو يوسف بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق بن ابراهيم . وكان جميل الصورة ، فطناً ذكياً ، يفضلوه ابوه على سائر اخوته .

رؤيا يوسف

رأى يوسف ، يوماً ، في منامه ان احد عشر كوكباً سجدوا له . كذلك حلم حاملاً آخر وقصه على اخوته قائلاً : « ها نحن حازمون حزماً في الحقل ، واذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي ^(١) » . فابغضه اخوته واضمروا له الشر حتى اذا سنحت لهم الفرصة واجتمعوا به في البرية ، وهم يرعون المواشي تأمروا عليه ورموه في الجب . ثم مرت بهم قافلة من الاسماعيليين تقصد مصر وقافلة أخرى من المديانيين فسحبوا يوسف من الجب وباعوه للاسماعيليين . واشاع اخوة يوسف ان وحشاً قد افترسه وحملوا الى والدهم قميص اخيههم ملطخاً بالدم . فمزق الوالد الحزين ثيابه وابى ان يتعزى لهذه المصيبة الفادحة تحمل بابنه الحبيب وقال : « اني انزل الى ابني نائحاً الى الهاوية ^(٢) » .

ولتقف هنا لتقابل ما قدمناه ، وهو مستقى من التوراة والقرآن معاً ، بما جاء في

(١) الكتاب المقدس — سفر التكوين الاصحاح ٣٧

(٢) الكتاب المقدس — سفر التكوين الاصحاح ٣٧

القصص الديني الذي ندرسه فنرى « ان الله كان قد اهدى الى ابراهيم خمسة اشياء صارت كلها الى يوسف . وهن : عمامة اهديت اليه يوم بُعت الى غرود . و قميص الخلة اهدي اليه يوم اتخذه الله خليلاً ، ومنطقة النصر والرضوان تمنطق بها يوم القي في النار ، وخاتم النبوة ، وقضيب النار الذي كان له خمس شعب مكتوب على الاولى : ابراهيم خليل الله وعلى الثانية اسحق ذبيح الله ، وعلى الثالثة اسماعيل صفي الله ، وعلى الرابعة يعقوب اسرائيلي الله ، وعلى الخامسة يوسف صديق الله ^(١) . »

ونرى كذلك ان الله ما سمح ان يجري ليوسف بما سمح به الا لان يعقوب اباه جاءه يوماً فقير وشم رائحة طعامه فلم يطعمه !

ونلاحظ ان الرواة همهم التأثير في القارىء لذلك فلا يتركون ساحة تسنح دون ان يستغلوها ويقصوها بطريقة محزنة ، مؤثرة . فهم يذكرون ان اخوة يوسف عذبوه قبل ان رموه بالجـب . ولم يسقوه بعد ان اجهده التعب والعطش بل كسراخوه شمعون الكوز وقال له : « قل لاحلامك الكاذبة تسقيك ^(٢) » ثم تقدم منه ولطمه على وجهه !

ونرى ان الجب في نظر هؤلاء ضيق ولكنه عميق وهو على قارعة الطريق ، وان ماءه مالح . وقد حفره سام بن نوح وقد كتب عليه : هذا جب الاحزان !

حتى طريقة انزال يوسف في الجب طريقة تسترعي الانتباه ويلعب فيها خيال القصص دوراً . فبعد ان نزع الاخوة ثياب اخيم ، شدوا وسطه بالحبل وادلوه . ولما قرب من وسط البئر اطلقوا الحبل من ايديهم كي يقع ويموت . ولكن جبريل كان هناك فأخذه بين يديه قبل ان يصل الى قعر الجب . وبسط على وجه الماء صخرة عظيمة كانت في قعر الجب ^(٣) فاجلس يوسف عليها واتاه بطعام ، وشراب من الجنة فاكل وشرب . وعندما يعلم يعقوب ابو يوسف بفقد ولده يجرّم الضحك والفرح على نفسه وعلى السباع الضارة والوحوش الشاردة . ويبقى يوسف في الجب ثلاثة ايام ! اما الذي انتشله منه فهو مالك بن دعر الحزاعي . هذا ما يقوله القصص الديني !

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٥٦ و ١٥٧

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٥٨

(٣) مر معنا القول في التوراة ان البئر كان فارغاً من الماء

يوسف وامرأة العزيز

ولنعد الى سياق القصة كما جاءت في التوراة وفي القرآن ثم نقارنها بما جاء في هذا القصص .

قبل ان يوسف بيع الى فوطيفار في مصر وهو خصي فرعون ورئيس الشرط . فأكرمه اكراماً عظيماً ورأى على وجهه الخير والسعادة والبركة فلم يمنعه عن شيء مما كان يملكه . وكان يوسف ، كما مر معنا ، جميل الخلقة ، حسن الصورة والمنظر ، فاجتبه امرأة سيده وجاءت تلاطفه وتراوده عن نفسه فامتنع يوسف عن اجابتها الى طلبها وهو المؤمن الذي يحفظ الجميل .

اما في القصص الذي ندرسه فالقصص يتوسعون في شرح الآية : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت : هيت لك . قال معاذ الله . انه ربي احسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون . ولقد هممت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه . كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ، واستبقي الباب وقدت قميصه من دبرٍ والفيها سيدها لدى الباب^(١) » .

فيقولون ان امرأة العزيز بنت لنفسها بيتاً حسناً مزيناً بكل زينة سمته بيت الفرح والسرور وزينت نفسها وقعدت على سريرها ودعت بيوسف واجلسته على الكرسي وغلقت الابواب وارخت الستور . ثم قالت . يا يوسف ، هيت لك معناه انا لك . . . واخذت تحاوره باعذب الاحاديث وتحشه على ارتكاب الاثم والمنكر حتى اذا بقي مصرأ على امتناعه هددته بقتل نفسها اذ اخذت سكيناً وهمت ان تضرب بها نفسها فاقترب يوسف منها ليأخذ السكين من يدها وليرميها جانباً فألقت نفسها عليه . وكاد يوسف ان يقع في الخطيئة لولا ان هبط جبريل وتمثل له بصورة ابيه يعقوب وهو عاض على انامله . وهذا تفسير لقول الآية المار ذكرها :

« وهمت به وهم بها ، لولا ان رأى برهان ربه » .

يوسف بسجن ثم بطلي سراً

ليس في ادخال يوسف السجن واخراجه منه ما يلفت النظر من حيث الاختلاف سواء كان في التوراة او في القرآن او في اقوال المفسرين ، اللهم الا بعض ذيول وحواش لا تخلو منها حكايات المفسرين . من ذلك ان فرعون عندما اتاب يوسف خليفة عنه وولاه على اهل مملكته ، اخذ يوسف ، بما له من حكمة وحسنة ، يجمع الغلال ويخزنها مدة السنين السبع الحصة حتى اذا وافت سنو الجوع السبع اخذ يبيع الشعب « في السنة الاولى بالدنانير ، وفي السنة الثانية بالخلي والجواهر ، وفي السنة الثالثة بالبعير والحيل ، وفي السنة الرابعة بالدور والمنازل ، وفي السنة الخامسة بالبساتين والازراع ، وفي السنة السادسة بانفسهم حتى صاروا عبيداً له . ثم اطعمهم في السنة السابعة لانهم كانوا عبيده (١) » .

وهناك اشارة الى ان يوسف ، رأى بين الجموع التي كانت تتزاحم في طلب الغلال امرأة العزيز فلم يعرفها ، بعد ان هزلت من الجوع . فسألها عن نفسها فاخبرته وذكرت حاجتها الى الطعام . فبكى يوسف وارجعها الى ماضي عزّها سيدة مصونة محترمة . ثم تزوج منها بشهادة الملك ريان بن الوليد ، وبحضرة ملوك مصر . ودخل بها فوجدها لا تزال بكرّاً فولدت له ولدين افرام ومنشا .

وليس لي ان اعلق على مثل هذه الروايات وقد مر القارىء بالكثير مثلها ، فهي ضعيفة الثقة لا تقوم على شيء من الحقيقة . ولا بد من الاشارة هنا الى ما جاء في الاصحاح الحادي والاربعين من التوراة بهذا الشأن فيرى القارىء الفرق ويحكم :

« ودعا فرعون اسم يوسف (صفات فعنيج) واعطاه بنت فوطي فارع كاهن أون زوجة . وولد ليوسف ابنان قبل ان تأتي سنة الجوع . ولدتهما له اسنات بنت فوطي فارع كاهن اون . ودعى يوسف اسم البكر منسى قائلاً لان الله انساني كل تعبي وكل بيت ابي ودعا اسم الثاني افرام قائلاً لان الله جعلني مشمراً في ارض مذلي (٢) » .

اما كيف تتحول اسنات ابنة فوطيفار كاهن اون وزوجة يوسف الى زليخا

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٦٧
(٢) الكتاب المقدس — سفر التكوين اصحاح ٤١

امراة العزيز ويتحول ابوها فوطيفار الى فوطيفار زوج زليخا فهذا ما لا نعرفه ولا نستطيع ان نجيب عليه . فالقصاص وحدهم هم المسؤولون عن ذلك !

وليس في ما تبقى من هذه الحكاية ما يهمننا درسه لان سياقها واحد في جميع المصادر سوى بعض المحاورات الطريفة التي يذكرها الكسائي وغيره من القصاص ، وقد جرت بين يوسف واخوته عندما اقبلوا مع المقبلين يطلبون من فرعون مصر ، غلة لهم ولعياهم . قال لهم يوسف :

« يا اولاد يعقوب ! ان من العجب ان يأكل الذئب اخاكم وفيكم من يصيح بالاسد فيخر ميتاً ، وفيكم من يأخذ برجل الذئب فيشقه نصفين ، وفيكم من اذا صاح وضعت الحوامل ما في بطنها ، وفيكم من يقلع الشجرة من اصلها ، وفيكم من يعدو مع الفرس فيسبقها » . قالوا :

« نعم ايها العزيز وفينا من يفعل اكثر من ذلك ، لكن اذا جاء القضاء عمي البصر ، وضعت القوة ^(١) » .

ويتحدث يوسف مع اخيه الصغير بنيامين وهما ياكلان معاً على مائدة واحدة فيقول يوسف لاخيه :

« هل تزوجت ؟ قال : نعم ورزقت ثلاثة اولاد ذكور . قال : وما اسمائهم ؟ فقال : اسم اكبرهم ذئب لان اخوتي زعموا ان اخي يوسف اكله الذئب . واسم الثاني دم لان اخوتي جاءوا بقميص اخي يوسف ملطخاً بالدم واسم الثالث يوسف كاسم اخي » . وامثال هذه المحاورات كثير لا اثر له لا في التوراة ولا في القرآن .

اما يوسف فقد مات وعمره مئة وعشر سنوات بحسب قول التوراة ، فحنطوه ووضعوه في تابوت بمصر .

فصله عيسى

كنت أود لو تناولت بالبحث قصة سليمان ، لولا ضيق المقام . ففي هذه القصة يتسع مجال القول وينفسح المدى امام خيال الرواة والقصاص . فتعليم الله نبيه سليمان منطق الطير ، وتسخير الرياح له ، وانتقال العرش من مكان الى مكان وتسخير الجن ، وبلقيس ملكة سبا وزيارتها لسليمان واسئلتها العديدة بصورة الاحاجي ، كل ذلك يجعل هذه القصة فريدة في بابها من حيث الادب والفن . ولكننا نرى ان الرسالة قد طالت والموضوع قد تشعب وتنوع . وليس بمستبعد ان نعود ، عاجلاً او آجلاً ، الى كثير من هذه الموضوعات التي حملنا على اختصارها حملاً فندرسها درساً عميقاً ونحللها تحليلاً ادبياً ما وسعنا الحظ الى ذلك سبيلاً . اما الآن فنحن مضطرون الى تناول حياة السيد المسيح كما رآها هؤلاء القصاص وكما وردت في القرآن الكريم ثم نختم البحث بذكر تنقيح عن النبي محمد نذيلها ببعض الآراء الخاصة في هذا القصص .

يظهر ان عيسى القصاص هو غير عيسى الانجيل لان امه مريم دامت مدة حملها به ثمانية اشهر على قول البعض ، وستة اشهر على قول البعض الآخر وثلاث ساعات او ساعة واحدة على قول البعض الثالث^(١) .

ويولد عيسى من غير اب اذ ينفخ الملاك جبريل في جيب درع مريم . وولادته كانت حدثاً تاريخياً عظيماً اقام الشياطين واقعدهم ففقدوا الاجتماع تلو الاجتماع وتشاوروا مع ابليس (وهو على عرشه في لجة خضراء) واخبروه ان امرأً عظيماً حل بالاصنام فنكس رؤوسها الى الارض . وهم ابليس ان يكتشف الامر فطار (واحصى الارض كلها في ثلاث ساعات مشرقها ومغربها ، برها وبحرها ، واخافقين والجو) حتى مر بالمكان الذي ولد فيه عيسى واذا به يحده محاطاً بالملائكة يسهرون عليه من كل حذب وصوب . فرجع خائباً واخبر جماعته بالامر قائلاً : « ما اشتمل رحمي انثى على ولد الا بعلمي ولا وضعته الا وانا حاضرها . وما كان نبي اشد علي وعليكم من هذا المولود^(٢) .

ويشاء القصاص ان يذهب عيسى الى الكتاب ليتعلم ، وكان عمره تسعة اشهر ، فاذا بالمؤدب يسأله ان يقول : باسم الله الرحمن الرحيم واذ بعيسى يردد هذه الجملة كلمة كلمة .

(١) العرائس — التعليق ص : ٢٢٧

(٢) التعليق — العرائس ص : ٢٢٨

وَيَتَشَجَّعُ الْمُؤَدَّبُ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَقُولَ : (اِجِدْ) فَيَرْفَعُ عِيسَى رَأْسَهُ وَيَقُولُ لَاسْتَاذَهُ : هَلْ تَدْرِي مَا اِجِدُ ؟ وَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُؤَدَّبُ أَنْ يَعْرِفَ الْجَوَابَ الصَّحِيحَ اخَذَ عِيسَى يَشْرَحُ لَهُ كَلِمَةَ اِجِدْ هَكَذَا :

« اِجِدْ : فَانْهَا اَرْبَعَةُ اَحْرَفَ : اَلْاَلِفُ اَللَّهُ (أَوْ لَا اِلَهَ اِلَّا اَللَّهُ) وَالبَاءُ : بِهَاءِ اَللَّهُ (أَوْ بِهَجَةِ اَللَّهُ) وَالجِيمُ : جَلالُ اَللَّهُ ، وَالدالُ : دِينَ اَللَّهُ .

هَوَّزَ : الهاءُ هُوَ اَللَّهُ (أَوْ جَهَنَّمَ وَهِيَ اَلْهَآوِيَّةُ) . وَالواوُ : وَيلَةُ لِّلْمَكْذِبِينَ (أَوْ وَيْلُ لَّاهْلِ النَّارِ) وَالزايُ : زَبَانِيَّةٌ لِّلْكَافِرِينَ (أَوْ زَفِيرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ)

حَطِي : اَلْحَطَّةُ لِّلْخَاطِئِينَ (أَوْ حِطَّةُ اَلْخَطَايَا عَنِ اَلْمُسْتَغْفِرِينَ) وَالطاءُ : شَجَرَةُ طُوبَى لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَالياءُ : يَدُ اَللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ .

كَلَمْنُ : اَلْكَافُ كَلَامُ اَللَّهِ (أَوْ كَلَامُ اَللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَا مَبْدُلٌ لِّكَلِمَاتِهِ) وَاَللَّامُ : لِقَاءُ اَللَّهِ ، وَالمِيمُ : مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ ، وَالنونُ : نُورُ اَللَّهِ

سَعْفَصُ : السَّيْنُ : سَنَّةُ اَللَّهِ (أَوْ صَاعُ بَصَاعٍ وَالجَزَاءُ بِالْجَزَاءِ) وَالعَيْنُ : عِلْمُ اَللَّهِ . وَالفاءُ : فِعْلُ اَللَّهِ . وَالصَّادُ : صَدَقَ اَللَّهُ فِي وَعْدِهِ .

قَرَشْتُ : اَلْقَافُ : قُدْرَةُ اَللَّهِ (أَوْ تَقَرَّشَهُمْ حِينَ تَحْشَرُهُمْ أَيِ تَجْمَعُهُمْ) . وَالرَّاءُ : رُبُوبِيَّةُ اَللَّهِ . وَالشَّيْنُ : مَشِئَةُ اَللَّهِ . وَالتَّاءُ : تَعَالَى اَللَّهُ عَمَّا يَشْكُرُونَ (١) .

فَمَا كَادَ الْمُؤَدَّبُ يَسْمَعُ بِهَذَا الشَّرْحِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ حَتَّى أَخَذَتْهُ اَلدَّهْشَةُ مِنْ عِلْمِ عِيسَى وَسَعَةِ اِتِّلَاعِهِ فَأَخَذَهُ لَامُهُ وَقَالَ لَهَا : خُذِي وَلَدَكَ أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْلَمٍ . وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ تَظْهَرُ سَدَاجَةُ الْقِصَاصِ وَفَقْرُهُمُ الشَّدِيدُ إِلَى التَّمَحْيِصِ الْعِلْمِيِّ اَلتَّارِيخِيِّ وَمِيلُهُمْ لِكُلِّ عَجِيبٍ غَرِيبٍ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِمَّا لَا يَقْبَلُهُ اَلْعَقْلُ وَلَا يَقْرَبُهُ اَلْمَنْطِقُ .

عجائب السيد المسيح

لَقَدْ قَالَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِعَجَائِبِ الْمَسِيحِ أَوْ ببَعْضِهَا كَمَا جَاءَتْ فِي الْأَنْجِيلِ (٢) . فَلَمْ يَقُولْ بِهَذِهِ الْعَجَائِبِ رِوَاةُ الْقِصَصِ ؟ بَلْ لِمَاذَا لَا يَعْمَدُونَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَيَنْسَبُونَ

(١) الْكَسَائِيُّ — ص : ٣٠٦ وَالتَّلْبِي ص : ٢٢٩ مَا بَيْنَ اَلْهَلَايْنِ لِّلْتَّلْبِي
(٢) الْقُرْآنُ — سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةُ ٤٨ وَ ٤٩ وَ ٥٠ . وَسُورَةُ اَلْمَائِدَةِ آيَةُ ١٠٩ . وَسُورَةُ الزَّخْرَفِ آيَةُ ٦٢ وَ ٦٣

الى السيد المسيح عجائب ومعجزات غير مذكورة لا في الاناجيل ولا في القرآن . من ذلك ان عيسى استطاع ان يعرف صفات ابن الملك قبل ان ولد فقال لابيه : « ان في بطن زوجتك غلاماً جميلاً احدى اذنيه اطول من الاخرى ، وعلى صدره خال اسود ، وعلى بطنه شامة بيضاء »^(١) . الخ .

وهو يستطيع ان يحول الوان الاصباغ ساعة يشاء ، الى ما يشاء . كالسحرة . تماماً ! وتصديقاً الى انه يحيي الموتى فلقد احيا سام بن نوح فوثب من قبره وكان قد مضى على موته اربعة آلاف سنة . ولقد تكلم سام بعد قيامه من الموت وقال : لما سمعت صيحة عيسى ظننت انها صيحة القيامة فايضت لحيتي ورأسي من هولها .

ويذكر الثعلبي في كتاب العرائس كثيراً من مثل هذه الحكايات والافكار لا نرى فائدة في سردها وتعدادها وكلها على نط واحد واسلوب واحد .

وهذه العجائب والمعجزات ، يأتي بها القصاص ، مقتبسة في اكثرها ، عن الاناجيل او عن الرواة اليهود الذين اسلموا ولهم المام بالدين المسيحي واليهودي . وهذا اننا موردون معجزة اقامة لعازر من القبر كما وردت في هذا القصص وفي الانجيل لنرى وجه التشابه ومقدار الاقتباس . جاء في العرائس ما يلي :

واحى (اي عيسى) امواتاً منهم لعازر ، وكان صديقاً له . فأرسلت اخته الى عيسى ان اخاك العازر يموت فاتاه ، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة ايام . فاتاه هو واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام ، فقالوا لاخته : انطلقى بنا الى قبره ، فانطلقت معهم الى قبره ، وهو في صخرة مطبقة . فقال عيسى : اللهم ! رب السماوات السبع . انك ارسلتني الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرتهم اني احى الموتى باذنك فاحى العازر . فقام العازر وخرج من قبره وبقي ، ووُلد له^(٢) .

وجاء في انجيل يوحنا في الاصحاح الحادي عشر :

« وكان انسان مريضاً وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرتا اختها . وكانت مريم ، التي كان لعازر اخوها مريضاً ، هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها . فارسلت الاختان اليه قائلتين : يا سيد ، هو الذي تحبه مريض .

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٣٠٥

(٢) الثعلبي — العرائس ص : ٢٣٣

فلما سمع انه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين . ثم بعد ذلك قال لتلاميذه : ... لعازر حبيبنا قد نام . لكنني اذهب لاوقظه . فقال تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى . وكان يسوع يقول عن موته . وهم ظنوا انه يقول عن رقاد النوم . فقال لهم يسوع حينئذ علانية : لعازر مات ! .

وذهب يسوع مع تلاميذه فوجدوا انه قد مضى على مدته اربعة ايام . فجاء يسوع الى القبر وكان مغارة وقد وُضع عليه حجر . قال يسوع : ارفعوا الحجر . قالت له مرثا اخت الميت : يا سيد ، قد انتن لانه له اربعة ايام . قال لها يسوع : الم اقل لك ان آمنت ترين مجد الله . فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال : ايا الآب اشكرك لانك سمعت لي وانا علمت انك في كل حين تسمع لي . ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا انك ارسلتني . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجاً . فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب ^(١) .

فلو قارنا ولو مقارنة بسيطة بين الروايتين لرأينا شبهاً كبيراً أولاً في سياق الحادثتين وثانياً في اتفاقهما حتى في بعض التعابير والكلمات مما يدل على ان الاقتباس موجود . وقل كذلك في كثير من الروايات والحكايات .

ونحن نرى ان المسيح في القصص الديني الذي ندرسه يجترح العجائب ، صغيرها وكبيرها ، فهو يخلق الطير من الطين ويبرئ الاكمه والابرس ويشفي العمي ويحيي الموتى ، ويعلم الغيب ، ويخبر الناس بما يأكلون وما يشربون وما يدخرون في بيوتهم وهو يمشي على الماء ، يفعل كل ذلك بامر من الله وباذن منه .

« يروى ان عيسى خرج في بعض سياحته ومعه رجل من اصحابه قصير ، وكان كثير اللزوم لعيسى . فلما انتهى عيسى الى البحر قال : باسم الله بصحة ويقين ، فمشي على وجه الماء . فداخله العجب فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء ! وانا امشي على الماء . قال : فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء واخرجه وقال له : ما قلت يا قصير ؟ فاخبره بما خامر خاطره فقال عيسى : لقد وضعت نفسي في غير الموضع الذي وضعك الله فيه . فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله بما قلت .

فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها^(١) .

فهذه الرواية ليست الا صدئى لما جاء في الانجيل متى في الاصحاح الرابع عشر :

« ولوقت الزم يسوع تلاميذه ان يدخلوا السفينة ويسبقوه الى العبر حتى يصرف الجموع ، وبعد ما صرف الجموع صعد الى الجبل منفرداً ليصلي ، ولما صار كان هناك وحده . واما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر ، معذبة من الامواج ، لان الريح مضادة . وفي الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشياً على البحر فلما ابصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين : انه خيال . ومن الخوف صرخوا . فلوقت كلمهم يسوع قائلاً : تشجعوا انا هو لا تخافوا . فاجابه بطرس وقال : يا سيد ان كنت انت فمرني ان آتي اليك على الماء وذهب ليأتي الى يسوع . ولكن لما رأى الريح شديدة خاف واذا ابتداءً يفرق صرخ قائلاً : يا رب نجني . ففي الحال مد يسوع يده وامسك به وقال له : يا قليل الايمان لماذا شككت ؟ ولما دخلا السفينة سكنت الريح والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين : بالحقية انت ابن الله^(٢) .

والذي يظهر بارزاً في هذه المعجزة ، وهو الذي حمل القصص على نقلها في زعمنا ، هو عنصر الشك الذي لجرد تسربه الى ضمير المؤمن يفسد ايمانه . نقول ذلك خاصة بعد ان نقرأ الواضعي هذا القصص مثل هذا الحديث عن النبي . قيل :

« حدثنا ابو منصور الخشايي باسناده الامام ، عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل . وما بلغ ذلك احد قط . قالوا : ولا انت يا رسول الله ؟ قال : ولا انا . قالوا : يا رسول الله قد بلغنا ان عيسى بن مريم مشى على الماء . قال نعم ولو ازداد خوفاً و يقيناً لمشى على الهوى . قالوا : يا رسول الله ما كنا نرى ان الرسل تقصر فقال : ان الله تعالى ابلغ شأننا من ان يبلغ احد شأنه^(٣) .

عيسى في القصص الربني

والحقية ان عيسى في هذا القصص فيه من كل شيء . فيه من لون الانجيل وفيه

(١) التعلي — العرائس ص : ٢٣٤

(٢) الكتاب المقدس — متى الاصحاح الرابع عشر

(٣) التعلي — العرائس ص : ٢٣٤

من لون القرآن وفيه فوق هذا وذاك من لون القصاص الذين اغرموا بكل طريف غريب وكل اسطورة وخرافة . فبينما ترى خبراً من أخبار السيد المسيح يسرد كما هو معروف في الانجيل يدل على حنو المسيح وحبه للبشر وعطفه عليهم اذا بك تقرأ أنه يقوم بغزوة يغزو بها بني اسرائيل ويقتل منهم خلقاً كثيراً !

وعيسى البسه الله ثوب الهية واعطاه ما رجاه وطهره ورفعته اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع منه شهوة الطعام والمشرّب فهو يطير مع الملائكة حول العرش لانه انسي وملكي ، وارضي وسماوي .

وعيسى هو كلمة الله « لان الله قال له : من غير اب كن فكان ، فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد^(١) » . اما مدلول « الكلمة » والمقصود منها ، او تفسيرها الديني ، فليس شيء من ذلك مذكوراً في كل هذا القصص .

واراد القصاص ان يزيدوا في هبة المسيح وتكريمه فجاءوا باحاديث نسبوها الى النبي العربي الكريم تؤيد نظريتهم . قالوا : « حدث الحسين بن احمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « كيف يهلك الله امة انا في اولها ، وعيسى في آخرها . والمهدي من اهل بيتي في وسطها » !

وقيل : اخبر محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن ابن هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اذا اهبط الله المسيح عيسى يعلى في هذه الامة ما يعلى ، ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن الى جنب قبر عمر . فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبين » .

وايضاً : اخبرنا ابو صالح شعيب . قال رسول الله : الانبياء اخوة لعلات^(٢) امهاتهم شتى . ودينهم واحد . ورائي اولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي . ويوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً وانه نازل على امتي وخليفتي

(١) الثعالبي — العرائس ص : ٢٢١

(٢) جاء في الحديث : « الانبياء بنو علات » اي انهم لامهات مختلفة ودينهم واحد . (المعاجم) وجاء في كتاب النهاية في غريب الحديث والاثار لابن الاثير ج ٣ : ١٢٤ ما يلي :
الانبياء اولاد علات ، اولاد العلات الذين امهاتهم مختلفة وابوهم واحد ، اراد ان ايمانهم واحد وشراعتهم مختلفة

النهاية في غريب الحديث والاثار مجد الدين ابني السعادات المبارك ابن محمد بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير سنة ١٢١١

عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربع ، الخلق الى الخمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل ، ينزل بين مخضرتين فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ، ويهل من الروحاء حاجاً او معتمراً او مليباً بها جميعاً ، ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال ، وتقع الآمنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً. ثم يلبث في الارض اربعين سنة ويتزوج ويولد ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر^(١) .

وكان هذا الحديث كافياً ليستغله الرواة ويكتبوا عنه ما شاء لهم خيالهم ان يفعلوا فيقول الكسائي متكلماً عن السيد المسيح :

« ... ثم رفعه الله اليه وهو باق حياً في السماء ، الى ان يأذن له بالنزول لقتال الدجال فيقتله فتملاً الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . ثم يتزوج بامرأة من العرب وتولد له ويحجج ويعمر ثم يموت ، ثم يخرج ياجوج وماجوج وهي من كل حدب يذسلون فتملاً الارض منهم حتى لم يبق للوحوش والهوام موضع تستقر فيه ثم يتوجهون الى بيت المقدس لقتال عيسى ... الخ الخ^(٢) » . وهنا يرعى القاص لحiale العنان فيصنّف هذه الخلائق التي تقاتل عيسى الى اصناف منهم من هم كالنخل الشاهق بطولهم وعرضهم يأكلون الاشجار والاثار .

ومنهم من طولهم ذراع واحد وعرضهم ذراع واحد وهم يأكلون النبات ! ومنهم من طولهم شبر واذنه ذراع ، يفرشون اذنأ تحتهم واخرى فوقهم ، ويشربون جميع المياه ! ولكن عيسى يدعو عليهم فيرسل الله عليهم عفاريت الجن فيهلكونهم عن آخرهم حتى اذا اكمل عيسى اربعين عاماً ارسل الله اليه ملك الموت ليقبض روحه فاتى جبريل ومعه مسك من الجنة ليرفعه الى عيسى . فأخذه عيسى وشبه فطارت روحه فيه ثم نزلت الملائكة اليه يغسلونه ويحنطونه ويدفنونه الى جانب قبر النبي محمد .

هذه هي الصورة التي تعلق بذهن القارىء عن السيد المسيح في هذا القصص . وهي

(١) الثعلبي — العرائس ص : ٢٤٠

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ص ٣٠٧ و ٣٠٨

صورة سوداء مشوهة الى آخر حدود التشويه . ومن المضحك حقاً ان يعتقد القارئ ان باستطاعة هؤلاء القصاص ان يرمموا صورة صحيحة للسيد المسيح ، خاصة وان المؤهلات لذلك تعوزهم اشد العوز . فلقد رأينا قلة اعتمدوا على التاريخ عامة وعلى تاريخ المسيحية بصورة خاصة . فهذه المعلومات التي وصلتهم عن الدين المسيحي وعن انبياء التوراة لم تصلهم الا على يد بعض اليهود الذين اشتهروا بالكذب وقلة التمهيد العلمي .

وهناك فقر هؤلاء القصاص في العلوم الفلسفية والفقهية التي يحتاجها كل من اراد ان يدرس نبياً وان يحلل تعاليمه تحليلاً فلسفياً . خاصة وان هذه التعاليم مبنية في اساسها على الروح كتعاليم الديانة المسيحية .

ونحن نظم هؤلاء الرواة في بحثنا هذا ونخرج موقفهم احراجاً كبيراً . فليس هناك من يدعي انهم قاموا بشيء من كل ما ذكرناه ، او انهم ، وقد احاطت بهم الظروف التي مر ذكرها ، كانوا اهلاً لمل مثل هذا العبء الثقيل . وليس لمؤمن ، مسلماً كان ام مسيحياً ، ان يرى في هذا القصص حقيقة دينية ، دون الرجوع الى الكتب الدينية وكتب التفسير المعروفة . ورب معترض يقول : ولكن هذه الحكايات وضعت اول وضعها لتفسير آيات القرآن واسهبت في شرح حياة الرسل والانبياء مستندة على القرآن وانها تحمل لونا قرآنياً وتصطبغ بالصبغة الاسلامية فكيف تحذر المسلمين من الاخذ بها واعتبار حقائقها ؟ جواباً على هذا سأعرض امام القارئ صورة للنبي محمد كما يظهر في هذا القصص ثم اشفعها ببعض الامثلة التي تلون هذه الحكايات بالروح الاسلامية فيرى القارئ في ذلك ما لا يطمئن اليه عقل العالم ولا روح المؤمن ! .

النبي محمد في الفصل الديني

يقسم هذا القصص الديني من حيث مادة الموضوع الى قسمين رئيسيين : في القسم الاول يتناول حياة النبيين والمرسلين الذين جاءوا قبل النبي محمد . وفي القسم الثاني يتناول حياة النبي محمد ويتوسع في شرح الآيات القرآنية كما مر معنا الحديث . فمن الطبيعي ان يذكر محمد في القسم الثاني لانه هو النواة التي يدور القصص عليها في هذا القسم . اما الذي يلفت النظر حقاً فهو ورود ذكر النبي محمد في سياق الحكايات حول الانبياء الاقدمين مثلاً على ذلك حديثه عن آدم بعد طرده من الجنة وكيف ان الله وعده بولد اسمه شيت ولما وضعته حواء رآته على صورة هابيل وكان على وجهه نور النبي محمد^(١) .

ولادة محمد

امتاز الاسلام بمزايا كثيرة جعلته ديناً سماوياً خاصاً له مزاياه الخاصة وتقاليده الخاصة ككل دين سماوي آخر . وبرز هذه الصفات في نظري هي البساطة والوضوح . فكلنا نعرف ان محمداً ولد كما يولد كل طفل آخر ، وانه نشأ وترعرع بطريقة معلومة ندرسها في كتب التاريخ وهي لا تتغير ولا تتبدل . اما ولادة محمد في نظر القصاص فليست كذلك والى القارىء شيئاً من ذلك :

« لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ارتجس (ارتجف) ايوان كسرى ، وسقطت منه اربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تحمد قبل ذلك بالف عام ، وغاضت بحيرة ساوه^(٢) ، ورأى الموبدان^(٣) ابلأصعاباً (غير منقادة) تقود خيلاً عرباباً (عربية منسوبة الى العرب) قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها^(٤) .

وفي سياق الحديث عن خلق الله لادم ان الله أمر ملاكه جبريل لياخذ قبضة من الارض ، فصدع جبريل بالأمر وصعد بالتراب الى الله تعالى فأمره ان يجعل التراب طيناً

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٧٣

(٢) مدينة بين الري وهمدان — راجع باقوت — معجم البلدان ج ٣ : ٢٤

(٣) الموبدان للمجوس كقاضي القضاة المسلمين .

(٤) ابن عبد ربه — العقد الفريد ج ٢ : ١٠٨ والطبري — تاريخ الامم ٢ : ١٣١

وان يخمره ويعجنه بالماء المر والعذب والملح . ثم امر الله ملاكه جبريل ان ياتي به بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً . فهبط جبريل في ملائكة الفردوس المقربين وقبض قبضة من موضع قبر النبي وهي ، يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسليم^(١) ورعرت حتى صارت كالدرة البيضاء ، ثم غمست في انهار الجنة كلها . فلما اخرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى ، الى تلك الدرة الطاهرة ، فانتفضت من خشية الله ، فقطر منها مائة الف قطرة ، واربعة وعشرون الف قطرة . فخلق الله من كل قطرة نبياً ، فكل الانبياء من نور محمد خلقوا . ثم طيف بالقبضة في السماوات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمداً قبل ان تعرف آدم^(٢) .

محمد وسائر الانبياء

يلاحظ اذن ان النبي محمد يختلف عن جميع الانبياء . فاذا كان جميع الانبياء قد خافوا من الموت فمحمد اقبل عليه هاشماً باشاً . ومحمد قد رأى الملك جبريل وتحدثا معاً اكثر من مرة . ولقد رأى الملك جبريل محمداً يبكي فبكي معه الى ان ناداهما الله من السماء قائلاً : « يا جبريل ويا محمد ! ان الله تعالى قد امكنهما من غضبه فلا يعذبكما^(٣) » .

اما فضل النبي محمد على سائر الانبياء فكفضل جبريل على سائر الملائكة . وهو اول نبي جاء في الميثاق والوحي ولقد جاء نوح بعده ونوح سينظره ليدخل الجنة قبله وهو يدعوه : حبيبي محمد . ويوم البعث هو اول من تنشق عنه الارض^(٤) .

ولقد تنبأ بمجيء النبي محمد كثير من الانبياء الذين ذكرهم القرآن . فموسى يمشي على البحر ويمجد الواحاً من الذهب مكتوباً عليها : باسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله ، محمد رسول الله^(٥) .

وسليمان يركب الهواء ويمر بمدينة النبي محمد ويقول عنها : هذه دار هجرة نبي ، وهو سيد المرسلين . فطوبى لمن رآه وآمن به ! ويمر بمكة ويقول : هذا مولد ذلك النبي ،

(١) التسليم هو ماء في الجنة يجري فوق الغرف والقصور وقيل : هو ارفع شراب اهل الجنة (المعجم)

(٢) الثعلبي — العرائس ص : ١٧

(٣) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٢٨٥

(٤) الثعلبي — العرائس ص : ٣٨

(٥) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٢٣٣

وفضل هذا البلد (اي مكة) على سائر البلدان كفضل محمد على سائر الانبياء^(١) .
وشيت يبني المدن والمناثر ينادي عليها : لا اله الا الله ، آدم صفوة الله ، ومحمد
حبيب الله^(٢) .

اما آدم والجنة والنار فلم تخلق لولا محمد . عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن
عباس قال : اوصى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : يا عيسى : آمن بمحمد وأمر امتك
ان يؤمنوا به ، فلو لا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . ولقد خلقت العرش على
الماء فاضطرب فكتبت عليه : لا اله الا الله محمد رسول الله^(٣) فسكن .

كذلك سفينة نوح التي مر ذكرها ، لم تصح ولم تستطع ان تقاوم الامواج وصخب
المياه الا بعد ان سمر نوح فيها اربعة مسامير ، عليها اسماء اصحاب محمد^(٤) .

وهناك في موضع سيرة « الجمالتيق » حيث يقطر من الورق ماء كحمر الدم يوجد
قبر هود ، دخله احد الناس ورأى هود ولمس بدنه . ولم يعد يعمل فيه البلاء بعد شيئاً
ورأى عند رأسه صخرة مثل اللوح مكتوباً عليها بالهندية ثلاثة اسطر :

اولها : لا اله الا الله — محمد رسول الله

الثاني : وقضى الله الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً^(٥) .

موت النبي محمد

وكما قبض الله روح نبيه آدم هكذا فعل بمحمد . لقد هبط ملك الموت لقبض روح
آدم بامر من الخالق العظيم ، بصورة لا ينزل بها على احد الا على محمد^(٦) .

فنحن نرى ان في جميع هذه الاوصاف شيئاً من النبي محمد ولكنها جميعها لا تعطينا
صورة النبي كما ترسم امامنا من كتب التاريخ او كتب السير . ذلك ان الرواة لم
يقصدوا الى تحري الحقائق بقدر اهتمامهم في اثاره فضول القارئ وذلك بعرضهم امامه
حوادث عديدة ومفاجآت مذهلة ونوادير مضحكة ساذجة ، ان استلذتها العاطفة وقتاً ،
فلا يستسيغها العقل ولا يقبلها المنطق السليم .

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٢٨٥

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٨٠

(٣) الثعلبي — العرائس ص : ١٦

(٤) الكسائي — ص : ٩٣

(٥) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٠٩ و ١١٠

(٦) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٧٧

مزايا القصص الديني

- | | |
|--|----------------------|
| ١ - تمجيد نبوة محمد
ب - تقديس يوم الجمعة
ج - تفسير آيات القرآن | ٢ - الصبغة الاسلامية |
|--|----------------------|

٣ - الخوارق

٤ - روعة الوصف وغرابته

- | | |
|-------------------------------|-----------|
| ١ - الدينية
ب - الاجتماعية | ٤ - العظة |
|-------------------------------|-----------|

واخيراً نرى ان لهذا القصص مزايا خاصة به، وهي تظهر بارزة كما هي مدونة اعلاه واليك بعض الامثلة :

الصبغة الاسلامية

تبدو الصبغة الاسلامية في هذه الحكايات بوجود متعددة اهمها تمجيد نبوة محمد وتقديمه على جميع الانبياء وذكره بين انبياء التوراة وقد مر معنا امثلة كثيرة تؤيد ما ذهبنا اليه من ان هذا القصص وضع لرفع شأن النبي العربي وآله ودينه . وليس لي ان

اضيف الى الامثلة السابقة الا اسطورة حمل الرياح للنبي وذهابه لزيارة اهل الكهف^(١).
وتبدو الصبغة الاسلامية واضحة في ذكر الآيات التي يستدعي وجودها سياق
الحكاية بما يدل على ان الحكاية وُضعت خاصة لتفسير الآيات القرآنية . وهي كثيرة
تملاً لتضاعيف الحكايات ، لا نرى فائدة من ذكر الامثلة عليها .

تفرييس يوم الجمعة

وللصبغة الاسلامية ، في القصص الديني ، لون بارز في ذكر يوم الجمعة كأنه اعظم
الايام لان فيه تجري اعظم الامور واهم الاحداث .

ففي يوم الجمعة استتمت الروح في جسد آدم خمسمائة عام عند زوال الشمس^(٢) .

وسجد جميع الملائكة لآدم في يوم الجمعة . وبقوا في سجودهم الى العصر فجعل الله
ذلك اليوم عيداً لآدم ولأولاده الى يوم القيامة^(٣) وكما يخلق الله آدم يوم الجمعة فهو يقبض
روحه في يوم جمعة ايضاً^(٤) .

ويأمر الله الملائكة ان تحمل البيت الحرام الى السماء وذلك في يوم الجمعة . وفي يوم
الجمعة يولد اكثر الانبياء كابراهيم واسحق وغيرهما .

ويرى يوسف رؤياه في ليلة الجمعة ، وعندما يعلم ابوه يعقوب بوجود ابنه يوسف في
ارض مصر يأتي اليه مع كل آله ويدخلون ارض مصر يوم الجمعة^(٥) .

وموسى يتأفف من الموت ، ثم يعود فيرضى به على ان يطلعه ربه على الساعة التي
يقبض فيها روحه فيخبره بانه متوفاه في يوم جمعة^(٦) .

ويدخل يشوع بن نون مدينة اريحا مع جيشه يوم الجمعة^(٧) . وبكلمة واحدة تقوم
الساعة وقت الضحى يوم الجمعة^(٨)

(١) التعلي — العرائس ص : ٢٤١

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٢٧

(٣) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٧٧

(٤) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٥٧

(٥) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٢٤٠

(٦) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٣٠٩

فانت ترى ان العالم كله وُجد يوم الجمعة ، وان العالم كله سيزول في يوم الجمعة !
وهناك تفاصيل كثيرة غير التي مر ذكرها تبين ، بجلاء ووضوح اصطباغ هذا
القصص بالروح الاسلامي حتى ولو كان الحديث عن الزمن الذي سبق ظهور الاسلام .
فزيد بن عمرو يتلمس الدين الصحيح فلا يجده لا في اليهودية ولا في النصرانية بل
في الدين الحنيف ، دين ابراهيم . مع ان زيدا يموت سنة ١٧ ق. هـ. (١) .
وعندما قبل الله توبة آدم ارسل الملاك جبريل قائلاً : اذهب وحيه مني بالاسلام .
ويحمل جبريل الكلمات من الله لآدم فاذا هي بعض الآيات القرآنية (٢) .
اما انبياء العهد القديم كابراهيم واسحق وداود وسليمان فهم كلهم مسلمون . كذلك
هي امرأة ايوب ابنة افرائم بن يوسف كان اسمها رحمة وكانت مسلمة (٣) .
والنبي اسحق نحرّ ساجداً لله ويرفع يديه الى السماء باشارة التوحيد وهي اشارة
الاسلام (٤) .
وعندما رفع عيسى الى السماء حُجِبَ ابليس عن اربع شهوات اما عندما رُفِعَ
محمد فحجب عن جميعها (٥) .
وعندما امر فرعون بقتل امرأته الصالحة هبط الملاك جبريل ليبشرها بالجنة وان الله
قد زوجها بالبشير النذير ، السراج المنير محمد (٦) .
ومكة هي بيت الله الخاص زارها آدم وفيها قبره
اما الكعبة فلقد تم بناؤها على زمن آدم ! وهي مبنية من خمسة اجبل : طورسينا
وطورزينا ولبنان والجودي (٧) والحجر الاسود وجد مقدساً منذ كانت الخليفة . فلقد
رفع الله البيت الذي كان يحج اليه آدم صيانة له من الغرق في الطوفان كما ان جبريل

(١) ابو الفرج الاصفهاني — الاغاني ٣ : ١٢٦

(٢) الكسائي — ص : ٥٥

(٣) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٧٩

(٤) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٥٠

(٥) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٨٠

(٦) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٢١٧

(٧) الثعلبي — العرائس ص : ٥٢

خبثاً الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الطوفان ايضاً^(١) .

وقد وردت قصة اهل الكهف ضمن هذه الحكايات الدينية وفيها تعزيز للاسلام حتى ان الرواة جعلوا بعض شخصياتها شخصيات مسلمة ، مع ان المعروف ان هذه القصة حدثت لفتية مسيحيين على زمن الملك داقوس والقصة شائعة في الآداب السريانية^(٢) .

والحقيقة التي تبدو لنا من كل ما تقدم ان كلمة مسلم تفيد معنى خاصاً في هذه الروايات المذكورة وفي القرآن الكريم . فعند ما جاء يوسف يشكر الله تعالى ، معلناً نعمته عليه ، دعى الله تعالى ان يتولاه في الدنيا والآخرة وان يتوفاه مسلماً اي مطيعاً لله ، غير عاصٍ ولا آثم^(٣) .

كذلك هم الحواريون ، اصحاب المسيح الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه وهم : سمعان بطرس ، اندراوس ، يعقوب بن زبدي ، يوحنا اخو يعقوب ، فيلبس ، برتولماوس ، توما ، متى العشار ، يعقوب بن حلفى ، لباس ، سمعان ، يهوذا الاسخريوطي كل هؤلاء كانوا مسلمين !

اقرأ هذه الآية :

« فلما احس عيسى منهم الكفر قال : من انصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن انصار الله ، آمنا بالله واشهد باننا مسلمون^(٤) .

وهذه :

« واذا اوصيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا : آمنا واشهد باننا مسلمون^(٥) »

فيتضح من هذه الآيات ومن كثير غيرها ان رواة القصص كانوا ، وهم يتحدثون عن اسلام الانبياء الاقدمين ، يستندون الى مثل هذه الآيات الواردة في القرآن الكريم ويعتمدون على الفكرة العامة التي تقول بان الاسلام انما يبتدىء بالنبي ابراهيم .

(١) التعليق — ص : ٣٥ و ٥٢

(٢) انيس فريجه — مجلة الابحاث السنة ١ ج ٣

(٣) النجار — قصص الانبياء ص : ١٧٣

(٤) القرآن — سورة آل عمران آية ٥١

(٥) القرآن — سورة المائدة آية ١١٠

الخوارق في الفصل الربيعي

قلنا ان مزاي هذا القصص كثرة الخوارق التي يصعب تصديقها حتى على السذج من الناس .

فمن وصفه للملائكة جبريل واسرافيل وعزرائيل ،

الى وصف السماء والجحيم ، الى خلق الارض بطريقة خارقة ، الى خلق الجن ، الى صفة النار ، الى صفة ابليس العابد ، وابليس المتمرد ، الى ذكر اساطير بلقيس ملكة سبأ ، الى كيفية دخول الروح في آدم وعدد السنين التي تقضيها في هذا الدخول ، الى الطاووس العجيب الذي له جناحان يغطي بها سدرة المنتهى ،

الى نوم صالح مدة اربعين سنة ،

الى اغراق ابليس نفسه في البحر الاعظم سبعين يوماً ، الى مركبة سليمان الهوائية يطير عليها من مكان الى مكان الى ولادة ابراهيم وكيف درّت له اصابعه اللبن والعسل والزبدة والحجارة والماء ،

الى البقرة الحسنة الجميلة التي تحاول ان تنطح غرود لعتوه وعبادته الاوثان فيذبجها ثم يعيدها الله الى الحياة وينبت لها جناحين لتطير في الهواء ،

الى غرود يغزو الله في تابوت تحمله النسور فينطلق في الجو في سفرة خيالية يخر على اثرها مصعوقاً ويبقي مختبئاً في قعر البحر اياماً طويلة ،

الى كبش المذبح الذي يحسن الكلام ويدعي انه رعى في مروج الجنة اربعين خريفاً ، الى عصا موسى السحرية الى حية مثل الجمل ، تقطّع الصخور وتبتلع كل شيء وتتكلم باعلى صوتها مع فرعون ،

الى الحجارة والعواميد التي تتكلم ،

الى الاطفال الذين ينطقون بالحق وهم لا يتجاوزون الستة اشهر ،

الى الريح التي تحمل رائحة قميص يوسف الى ابيه يعقوب من مسيرة عشرة ايام ،

الى تفسير اجد هوز تفسيراً عجيباً غريباً مر ذكره ،

الى النار التي تكلم آدم ،

الى هذه السبعائة لغة التي يتكلمها آدم ،
الى قابيل الذي يتزوج بجنيّة وهابيل الذي يتزوج بجوراء ،
الى الزهرة المرأة الفاتنة الجميلة التي طغت هاروت وماروت فمسخت كوكباً ! .
الى ... الى ما شاء القارئ من مثل هذه الروايات وفيها الطريف المسلي وفيها
الساحر الفتان ، وفيها الساذج السخيف !

ولن اقف طويلاً عند هذه الروايات الخارقة ، والخرافات الكثيرة ، والمبالغات
الخيالية بعد ان ابدت وأياً فيها^(١) على انني اسرع فاضيف الى ما قلته سابقاً ان هذه
المبالغات وهذه الخرافات ليست وقفاً على امة دون اخرى بل هي ، على الارجح ،
وليدة العصور القديمة ، يتساوى في ذلك العرب وغير العرب من الشعوب القديمة . وهذه
اليادة هوميروس ومثلها جحيم دانتي وكثير غيرها من الملاحم القديمة ، كلها مشحون
بالحوادث العجيبة والاقاصيص الغريبة . وقد نقل المؤرخ جرجي زيدان في كتابه تاريخ
آداب اللغة العربية رسوماً عن اصول خطية ترجع الى القرن الثالث عشر للميلاد ، وهي
تمثل الاسكندر المقدوني يحارب اقواماً رؤوسهم وحشية واقواماً آخرين متوحشين
لكل منهم ست أيدٍ^(٢) .

وهذه المبالغات لا تلفت النظر لمخالفتها العقل والمنطق فحسب بل في انها تخالف
النواميس الطبيعية ايضاً . وهي كما ذكرنا سابقاً ، وليدة البيئة والعصر اكثر مما هي
خاصة بشعب معين من الشعوب .

والذي يثير العجب في هذه الخوارق ويدعو الى التساؤل حقاً هو اعمار بعض
الانبياء وعدد السنين التي يعيشها كل منهم . فآدم عمّر نحو الف سنة ونوح ٩٥٠ سنة
وشيث ٩٢٠ سنة وعوج بلغ ٢٠٠ سنة وكان طوله نحو ٣٣٠٠ ذراع! وهارون بلغ ١٢٧
سنة وابراهيم ١٧٥ سنة واسحق ١٠٠ سنة وموسى ١٦٠ سنة وهكذا قل في بقية الرسل
والانبياء . فما معنى هذه السنين ؟ وهل كانت تعني لهم ما تعنيه لنا اليوم ؟ واذا كان
كذلك فكيف نفسر هذه الاعمار الطويلة في ذلك الزمن بينا اكثر اعمار ابناء اليوم
لا تبلغ الثمانين او التسعين ؟

والحقيقة انه ليس لدينا جواب قاطع على هذا السؤال ولن نتعدى في ردنا ما قاله

(١) راجع هذه الرسالة ص : ١١٤ - ١١٦

(٢) زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ٢٩٧

بعض الذين حاولوا ان يدرسوا هذه الظاهرة وهاك بعض آرائهم :

ان الانبياء الاولين والذين عاشوا في زمنهم استطاعوا ان يعمرؤا طويلاً خلّوْ
اجسامهم من الامراض الفتاكة والمتاعب ، والصعوبات التي تنهك الجسم البشري في
الوقت الحاضر .

فلا يستطيع جيلنا ان يعمرّ كالاجيال الغابرة .

ولولا هذه الحياة الضنكة ، تستنفد قوانا وجميع ما ندّخره من عناصر الحياة
والنشاط لاستطاع الواحد منا ان يعيش نحو المئتي والثلاثائة سنة . هذا هو رأي بعض
العلماء الغربيين .

وهناك رأي آخر وهو ان العام في نظر ابناء الماضي لم يكن يعتبر اكثر من شهر
من شهورنا فالف سنة من سنينهم تساوي الف شهر من شهورنا . وهذا ما عناه ابو
العلاء في قوله :

وروا للمعمرين اموراً لست ادري ما هن في المشهور
أترام ، فيما تقضى من الايام عدوا سنينهم بالشهور ؟
كلما لاح للعيون هلال كان عاماً لديهم في الدهور
هكذا ينبغي والا فان العقل يثني في حالة المبهور^(١)

وهناك من يشير الى ان المغالاة ظاهرة في هذه الروايات لانه يستحيل على الانسان
ان يعيش خمسة قرون واحياناً عشرة ، اذا صدقنا هذه الروايات ، مهما خلا جسمه من
الامراض ومهما ابتعدت عنه الهموم والهواجس ! ويستشهد اصحاب هذا القول ببعض
المعمرين في وقتنا الحاضر . فاذا ما سألت احدهم عن عمره الحقيقي اجابك فوراً : عمري
طويل ، طويل جداً يبلغ المئة فما فوق . وتكون الحقيقة دون ذلك بكثير . وربما
كان القصاص يتبعون هذه الطريقة فلا يأبهون للارقام ولا يهتمون بالاعداد^(٢) ولكن
اذا صح هذا القول على رواية الرواة وقصص القصاص فهل يصح اطلاقه وتطبيقه على
التوراة والقرآن وفي كليهما ذكر لهذه الارقام الضخمة ؟ بقي ان نعود الى كتب التفسير

(١) عبد القادر النجار — قصص الانبياء ص : ٦٨

(٢) المهداني — كتاب الاكليل ج ٨ : ٢٥٣ راي لناشر الكتاب الاب انتاس ماري الكرمل
البغدادى

المختلفة عن اسفار التوراة . والحقيقة ان في بعض تلك الكتب محاولات لشرح هذه الارقام ولكنها محاولات تبقى في حيز التخمين لا يطمئن اليها الباحث اطمئناناً علمياً^(١) .

اثـر التوراة في القصص الديني

لقد بينّا اثر التوراة ، وهو بارز واضح ، في هذا القصص الديني وهنا نشير الى مقدار هذا الاثر والطرق التي تسرب منها الى هذا القصص .

يرجع ذكر التوراة الى القرآن الكريم ككتاب من الكتب المنزلة « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور^(٢) » . فكان من الطبيعي ان ينظر اليها علماء المسلمين نظرة اجلال واحترام وان يتأثر بها الرواة والمؤرخون وخاصة في مجسم حياة الرسل والانبياء . والمظنون ان التوراة ترجمت الى اللغة العربية قبل الاسلام وقد سادت بين الادباء العرب يومذاك ولكنها فقدت . اما الترجمة العربية للتوراة فقد ظهرت في العصر العباسي الثاني^(٣) . ويذكر ابن النديم ان احد علماء اليهود المتمكنين من اللغة العربية واسمه سعيد الفيومي وقد ترجم التوراة وان له عدة مؤلفات دينية اخرى^(٤) .

ويذكر ابن النديم ترجمة اخرى لاحمد بن عبدالله بن سلام . ولقد تأثر كثير من ادباء العرب ورواتهم في العصر العباسي بالتوراة وغيرها من كتب اليهود الدينية ولكن معلوماتهم تلك كثيراً ما كان يشوبها الخلط التاريخي فتأتي مشوّهة ، مليئة بالاساطير والخرافات ، بعيدة عن الحقيقة والمنطق ذلك انهم كانوا يستقون من منبع واحد ، لا يصح الاعتماد عليه ولا يركن اليه الا وهو: كعب الاحبار ووهب بن منبه .

كعب الاحبار

اما كعب فهو اقدم اخباري في الاسرائيليات وقصص الانبياء، يهودي الاصل من اليمن، اعتنق الاسلام في خلافة ابي بكر او عمر على الاغلب . عاصر النبي ولكنه لم يره .

(١) S. R. Driver — The Book of Genesis — London p: 79

(١) J. Skinner — Genesis -- Edinburgh, 1910 p: 127

(٢) القرآن — سورة المائدة الآية ٤٨

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية — زيدان ج ٢ : ١٥٥

(٤) ابن النديم — الفهرست ص : ٢٣

وهب به منه

اما وهب فقاص من اليمن ، مشهور في اخباره عن اهل الكتاب ، فارسي الاصل يذكر الفهرست انه من اهل الكتاب ويزعم ابن خلدون انه يهودي والاغلب انه ولد مسلماً .

اخباره عن اهل الكتاب منتشرة في اكثر المصادر العربية وتزعم هذه المصادر انه قرأ نحو سبعين كتاباً من كتبهم المقدسة مما لا يستطيع تصديقه لان اكثر اخباره منقولة شفاهاً عن اهل الكتاب .

وهناك غير هذين الاخباريين ممن كان يهودياً فاسلم فحمل معه الى الاسلام هذه الاخبار الكثيرة منقولة عن التوراة وهذه المنقولات هي التي سميت بالاسرائيليات . ولقد شاعت هذه الروايات وانتشرت انتشاراً كبيراً حتى 'ملئت' بها كتب القصص الديني واهما الكتابان اللذان ندرسهما وهما كتابا الشعبي والكسائي .

ولم يقف تأثير هؤلاء الرواة على القصص الديني الذي ندرسه بل تأثر الاسلام بنظريات عديدة تسربت اليه عن طريق هؤلاء الرواة منها : اهتمام مؤرخي المسلمين كالطبري وابن الاثير وابن قتيبة بنقل تاريخ بني اسرائيل ومحاوله البحث في جواز نسخ القرآن ، جرياً على بحث اليهود في نسخ التوراة ، والقول بخلق القرآن كما قال بعض اليهود بخلق التوراة من قبل ، وكثير من الامور الكلامية التي تسربت عن طرق متعددة اهمها الرواة اليهود .

فجميع هذه الروايات وجميع هذه الاحاديث كوَّنت ثقافة يهودية كانت لها اثرها البين في الثقافة الاسلامية العربية في العصر العباسي عامة وفي القصص الديني بصورة خاصة .

والذي لا بد من ذكره هنا هو ان هذه الثقافة لم تكن كلها صحيحة علمياً لانها لم تؤخذ كلها عن مصادرها الصحيحة كما ذكرنا سابقاً . فبعضها وصل الى المسلمين عن العلماء الموثوق بكلامهم ، وبعضها اخذ عن الرواة الذين لم يتورعوا عن ذكر روايات كثيرة هي بالاساطير اشبه منها بالحقائق الدينية .

وما قلناه عن تأثير هذا القصص الديني بالثقافة اليهودية عامة وببعض اقوال التوراة

خاصة نقوله عن تأثره بالثقافة المسيحية . فلقد رأينا هذا القصص يتعرض لحياة السيد المسيح ويرويها كما فهمها هؤلاء الرواة . كذلك هو يتعرض لحياة زكريا ويحي ابنه (او يوحنا) ومريم وغيرهم كثيرين .

قيمة القصص الربني

(١) العبرة — سبق القول ان الغاية الاساسية التي وضع هذا القصص من اجلها هي دينية ، اخلاقية ، اجتماعية . وانه ل يبدو من السهولة بمكان ان يستجلي القارئ العبرة الاخلاقية والعظة الدينية من كل حكاية يقرأها .

فلقد ادعى رواة هذا القصص ان الله سبحانه وتعالى ، ابتلى حواء وبنات جنسها بخمس عشرة خصلة لانها خالفت وصية الله فأكلت من شجرة الخير والشر واطعمت زوجها آدم . وهذه الخصال تؤلف دستور المرأة الاجتماعي يعرف هؤلاء الرواة^(١) .

وفي جواب ابليس على سؤال وجهه اليه سليمان الحكيم : « اي الاعمال احب اليك ؟ » عظة ودرس اجتماعي . قال ابليس مجيباً سليمان :

لولا منزلتك عند الله تعالى ما اخبرتك اني لست اعلم شيئاً احب الي وانبغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة^(٢) .

وقيل ان آدم وهب من عمره ستين سنة لابن له اسمه داود فلما حان اجل آدم جاء ملاك الموت لقبض روحه ، فطالبه آدم بالاربعين سنة ، فذكره الملاك بانه وهبها لابنه داود فانكر آدم ذلك ، فانزل الله عند ذاك الكتاب واقام الملائكة شهوداً^(٣) .

وهناك كثير من الصفات الحميدة التي يمكن اكتسابها من هذا القصص منها :

سعة الصدر ، وعدم مقابلة الشر بالشر ، وعمل الخير لوجه الله تعالى ، والايمان القوي بالله وبملائكته ، ورقة القلب ، ورسوخ العقيدة واستهانة الصعائب في سبيل خدمة الحق ودحض الباطل ، والصدق في الوعد ، والاخلاص في الاعمال وما شاكل هذه الصفات التي تحلى بها جميع الرسل والانبياء .

(١) الثعلبي — العرائس ص : ٢١ و ٢٢

(٢) الثعلبي — العرائس ص : ٢٧

(٣) الثعلبي — العرائس ص : ٣٠

ويكفي ان نذكر ابراهيم وما قام به من رائع الاعمال في سبيل الاله الحق ،
وابنه اسحق وقبوله ، دون اقل تأفف او جدل ، ان يقدم ذبيحة الى الرب ،
ويوسف وما لاقاه من عذاب شديد وآلام مبرحة من اخوته ، وصبره على كل ذلك
ثم عفوه عنهم ، وموسى وما قابله به بنو اسرائيل من اضطهاد وجحود ونكران جميل
واحتماله كل ذلك ، يكفي ان نذكر كل هذا لنتذكر قول القرآن الكريم :
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب^(١) .

(٢) الوصف الغريب - ولهذا القصص جماله الخاص ولونه الخاص وهما يظهران في
الوصف الغريب الذي يحمل القارئ الى عوالم فوق هذا العالم ودنياوات غير هذه
الدنيا . وليس لي ان اخص هذا الوصف بمدح او استهجان لما فيه من روعة الخيال
وسداجة التفكير ولكنني عارض بعض النمودجات امام القارئ ليكون حكمه الخاص
بعد ان يطلع عليها .

ان الباحث في هذا القصص ليختار في الاختيار ، اختيار الامثلة التي قد تسترعي
انتباه القارئ . اضع امام عينيه وصف ناقه صالح وكيفية ولادتها من الصخرة ؟ ام
وصف نمrod الطاغية الجبار وقتله النساء والاطفال ؟ ام وصف السماء والجحيم ؟ ام خلق
الجن من النار وصفة النار ؟ ام كيف اهلك الملائكة مدائن لوط عندما قالت له امرأته :
يا لوط ! الى اين تخرج ؟ هل لربك قدرة ان يهلك هذه المدائن كلها ؟ فاتاها حجر من
حجارة السجيل ووقع على رأسها واهلكها . فقليل انها بقيت ممسوخة حجراً اسود
عشرين سنة ، ثم خسفت بها بطن الارض ، ثم بسط جبريل جناح الغضب واسرافيل
جمع اطراف المدن ، وميكائيل جعل جناحه تحت تخوم الارض السابعة السفلى ،
وعزرائيل تهباً لقبض ارواحهم بكلايب من نار . فلما برق عمود الصبح ، قلع جبريل
هذه المدن من آخرها حتى بلغ الى الماء الاسود ، ثم رفعها بجبالها ودورها واشجارها
وانهارها حتى انتهى الى البحر الذي في الهواء ، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها . فسمعت
الملائكة الذين في السماء الدنيا لتسبيح الديوك ونباح الكلاب فقالوا : من هؤلاء المغضوب
عليهم ؟ فقليل لهم : هؤلاء هم قوم لوط ، فصجّت بالتسبيح والتقديس لله ! فنودي جبريل
يا جبريل اضرب المدائن التي على جناحك بعضها ببعض وامطر عليها حجارة من سجيل

فاستيقظ القوم وهم يهويون في الهواء والنار من تحتهم ، والملائكة يرفعونهم بالحجارة المسومة ، فجعل يخرج من تحت تلك المدن دخان اسود ، منتن لا يقدر احد ان يشمه . وبقيت آثار المدائن ليعتبر بها كل من رآها^(١) !

وتبدو سداجة هذا القصص في الحوار التالي يجري بين ذي القرنين وجبل قاف :
« وخلق الله تعالى جبلاً عظيماً من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف . وهو الذي اقسم الله به فقال **وهو القرآن المجيد** . وقال وهب : ان ذا القرنين اتي على جبل قاف فرأى حوله جبلاً صغاراً . فقال له من انت ؟ قال : انا قاف . قال : فاخبرني ما هذه الجبال التي حولك ؟ فقال : هي عروقي . فاذا اراد الله ان يزلزل ارضاً أمرني فحزكت عرقاً من عروقي فتزلزل الارض المتصلة به . فقال : يا قاف : اخبرني بشيء من عظمة الله تعالى . فقال : ان شأن ربنا لعظيم تقصر عنه الصفات وتنقضي دونه الاوهام . قال : فاخبرني بادنى ما يوصف منها ؟ قال : ان ورائي لارضاً مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضاً . ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ، لولا ذلك الثلج والبرد لاحتوت الدنيا من حر جهنم^(٢) . »

واليك صفة داود النبي وصفة صوته الذي لم يسمع السامعون مثله :

« روي ان بني اسرائيل تفرقوا واشتغلوا بملاهي الشيطان . فمنهم من لها بالعيدان ومنهم من لها بالطنابير والمزامير والزنج^(٣) وما يشبه ذلك حتى بعث الله داود نبياً وانزل عليه ستين سطرّاً من الزبور واعطاه من الصوت ما كان يزيد على سبعين لحناً يتوسل ويتوتل ، لم يسمع السامعون مثله خفصاً ورفعاً . وكان يحكي في مزاميره اصوات الرعد وصفير الطيور وحنين الوحوش . وكان يأتي في المزامير بكل صوت طيب في الدنيا فتركوها (كذا) بنو اسرائيل لهوهم ولعبهم واقبلوا نحو محرابه يسمعون منه اصواته . وكان اذا سبّح سبّحت الجبال معه والطيور والوحوش . وكان داود يوم عبادته ، يذهب الى الهيكل ويدعو باسفار الزبور ، يأخذ في ترجيع الحانه ، فكان لا يتلو شيئاً من مزاميره الا كانت الوحوش والطيور تجبه (كذا) عند ترجيعه . واستأذنت الملائكة ربه في زيارة داود فنزلت حتى احاطت حول محرابه . فكانوا ينقلون عنه

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ١٤٩

(٢) الثعلبي — العرائس ص : ٤

(٣) لعلها الصنوج

وتوفّر عليه الطيور وتسبّح معه الجبال وتقّس معه الوحوش والسباع الخ^(١).

ولعله من المستحسن ان نختار بعض المقاطع من قصة سليمان وما منحه الله من خصائص جعلته فوق البشر . قيل : « لما توفي داود هبط جبريل على سليمان وقال له : ان الله يقول لك : ايّما احب اليك ؟ الملك او العلم ؟ فخر سليمان ساجداً لله وقال : يا رب : العلم احب الي من الملك . فاوحى الله الى سليمان اني اعطيتك الملك والعلم والعقل وكّال الخلق .

ثم اقبلت الرياح الاربعة ووقفت بين يديه وقالت : يا نبي الله ! ان الله قد سخّرنا لك فاركبنا الى اي موضع اردت . ثم اقبلت الوحوش والسباع والطيور وقالت : ان الله قد امرنا بطاعتك لتضع بنا ما شئت .

ثم اقبل جبريل ومعه خاتم الخلافة الذي اخذه من الجنة يضيء كالكوكب الدرّي وله لمعان واربعة اركان . مكتوب على الركن الاول : لا اله الا الله ! ومكتوب على الثاني : كل شيء هالك الا وجهه ! وعلى الركن الثالث : له الملك والكبرياء والسلطان وعلى الركن الرابع : تبارك الله احسن الخالقين^(٢) !

وامر سليمان بني اسرائيل باتخاذ السلاح والسيوف . وكان عنده اثنا عشر الف درع من عمل ابيه داود . فاجابوه الى ذلك باجمعهم .

ثم ان جبريل نشر احد جناحيه بالشرق والآخر بالمغرب فحشر الجن والشياطين من كل فج وجانب يسوقها سوق الراعي لغنمه ، حتى صارت بين سليمان ، وهم يومئذ اربعمائة وعشرون فرقة ، كل فرقة على غير دين الأخرى . ثم امر الله سليمان ان يبني بيت المقدس عند صخرة المعراج . فجمع سليمان مرّة الشياطين وعفاريت الجن وحكماء الانس ، وفرّق الشياطين في قطع الصخور ونشر الرخام وغير ذلك . فأمر بحفر الاساس حتى بلغ الماء وأمر ببنيانه فغلب الماء على الاساس . فصنع الجن افلاكاً من نحاس ورصاص وكتبوا عليها : لا اله الا الله ! فثبت الاساس وارتفع البنيان !

... وبني سليمان البيت المقدس بانواع الجواهر ووضع فيه الف عمود من الرخام ووضع على كل عمود مناراً من الذهب الاحمر ، حتى اذا فرغ من بناءه في مدة اربعين

(١) الكسائي — قصص الانبياء ص : ٢٥٨ و ٢٥٩

(٢) الكسائي — قصص الانبياء ج ٢ : ٢٧٨

يوماً ، لانه كان يعمل فيه كل يوم الف عفريت والف شيطان والف بناء من الانس ، علق في الف قنديل من الذهب الاحمر ، سلاسلها من الفضة البيضاء . ثم قرّب فيه قرباناً عظيماً وقال : الهى وسيدى ! انك البستي لباس النبوة واعطيتنى الملك العظيم . اسألك ان تعطينى في بناء بيتك المقدس ما اعطيت ابراهيم الخليل في بناء الكعبة ! .

واستأذنت الملائكة ربها في زيارة البيت فاذن لها . وسمعت الملوك بالبيت المقدس من اطراف الاقاليم فجاءوا لزيارته فتعجبوا من حسنه وصنعتة . ثم اتخذ سليمان اثني عشر الف كرسي من العاج والابنوس . واتخذ لنفسه كرسيّاً من عظام الفيلة ، قوائمه من الذهب ، وضع فيه تماثيل الوحوش والسباع والطيور . وكان مرصعاً بالؤلؤ ، كل لؤلؤة على قدر بيض النعام . وكان في الدرجة الاولى منه كرمه الذهب ، اوراقها من الزبرجد ، وعناقيدها من الجواهر على مثال الغنبل . وركّب على يمين الكرسي وشماله نخلاً من الذهب وعلى النخل طواويس وطيور وعقبات مجوفة مرصعة بالجواهر تدخل الرياح في اجوافها فتصفر صغيراً لم يسمع السامعون مثله ! .

وركّب على الدرجة الثانية اسدين عظيمين !

وعلى الدرجة الثالثة طيوراً وطواويس ونسوراً !

فكان سليمان اذا صعد الدرجة الاولى ترفرف العقبات والطيور اجنحتها وتشر عليه المسك .

واذا صعد الدرجة الثانية تصيح الوحوش والسباع ، ويسمع صوتاً وراءه : يا ابن داود اشكر الله على ما اعطاك من هذا الملك العظيم . واذا صعد الدرجة الخامسة سمع نداء يقول : انه بما تعمل بصير . واذا صعد الدرجة السابعة دار الكرسي بمسا عليه ثم سكن فيجلس عليه فتشر الطيور عليه المسك والعنبر^(١) .

رأى خاص

وليس لي ان ازيد على ما ذكرته من امثلة فكلها تكاد تتشابه معنىً ومبنىً . على اننا نلاحظ على هذا القصص بعض ملاحظات لا بد من ذكرها انماً للفائدة .

نرى ان هؤلاء القصص قد حكموا خيالهم في هذا القصص الى حد بعيد وارخوا له

العنان فما وقفوا عند حد ولم يوفقوا ان يصوروا ما يلذ للعين والاذن والقلب معاً .
 ورب معترض يقول : ان الخيال من مزايا الاديب القاص التي يحتاجها حاجته الى اي
 عنصر آخر من عناصر الكتابة ، فنجيب بان خيال الرواة في هذا القصص كان من نوع
 خاص . هو خيال مكبوت ، محدود لا يسمو بك الى فوق حتى يصدك بالحسوس
 الملموس ! وهو خيال واحد ، لا يتغير ولا يتنوع ، يقودك ابدأً ودائماً الى هدف واحد
 وغاية واحدة : هي المادة المجسمة ! وهنا لا بد من الوقوف لنشير الى هذه المادية تجاهك
 في هذا القصص . فالمسك والعنبر ينشران عليك من كل حذب وصوب .

وبيت المقدس ، كما رأيت ، يبنيه الجن والعفاريت بامر سليمان بانواع الجواهر
 والرخام والذهب .

والكراسي التي يجلس عليها الانبياء هي من العاج والابنوس وعظام الفيلة .

والؤلؤ والزبرجد ، على الوانه الجميلة المختلفة ، هي الحجارة الكريمة التي منها تكون
 الارض والجبال وغير ذلك .

وليس في هذا القصص شيء من التحليل النفسي او التعليل المنطقي . فلقد رأينا
 الامثلة العديدة التي لا علاقة بين مختلف اجزائها ولا ارتباط . فقد تجاهك حكاية قائمة
 بنفسها ، بينما انت تقرأ حكاية ثانية اخرى ، دون ان يكون للواحدة علاقة بالاخري .

اما الاخبار العجيبة والمفاجآت الغريبة البعيدة عن التصديق ، الحالية من كل منطق
 فهي اكثر من ان تحصى ولقد مر معنا امثلة كثيرة عنها .

ونرى ان التسلسل الفكري غير منسجم بل يكاد يكون مفقوداً في بعض الحكايات
 وبكلمة لم ينظر الراوية او القاص الى الاحداث التي وصفها والحكايات التي قصّها
 ككل يبحثه او يعمله ويحلله كما يفعل العالم النفسي ، بل كان يطوف هنا وهناك فيرى
 هنا زهرة وهناك وردة ، ويعثر ، وهو يتخبط ، بدرة او بلؤلؤة ، فيجمع كل ذلك ،
 ويحمله بين يديه ، فرحاً به ، تماماً كما يحمل الطفل العابه الجميلة ، وهو لا يستطيع ان
 يجمع بعضها الى بعض او ان يصيغ منها وحدة تلذ للقلب والروح كما تلذ للعين والنظر .

ولقد وصل الينا هذا القصص ، كغيره من الالوان القصصية التي مر ذكرها على

السنة الرواة فقدت القصة الواحدة بذلك كثيراً من الترابط والتماسك بين اجزائها المختلفة وضاعت الغاية التي وضع من اجلها او كادت .

ولعل ابرز ميزة في هذا القصص ، انك لا تجد فيه شخصية لمؤلف او راوية مهما كان هذا المؤلف شهيراً في عالم الادب .

واخيراً لا بد لي ، بعد هذا البحث الطويل من التساؤل مع المتسائلين عن غاية هذا القصص او الفلسفة من وضعه ؟ ما هي ؟ وكيف ظهرت فيه ؟ هل صور عصره تصويراً صحيحاً ، فاعلم لنا العصر العباسي بفسقه وفجوره ، ببطشه واحزابه ؟ بامرائه وخلفائه ؟ بعلماؤه وادبائه ؟

ما علاقة هذا القصص بعلوم عصره وهل افاد منها او الم بها على مختلف الوانها واسماؤها كالتطب والفلك والحرب والسياسة والدين والنقش والغناء والموسيقى والتصوير والعرافة والعيافة والكهانة وتفسير الاحلام وعلم الانساب والتاريخ والجغرافيا والادب والشعر وغير ذلك من انواع العلوم والفنون التي عرفت في ذلك العصر ؟

على اي وتر من اوتار العقل او القلب ينقر هذا القصص ؟ هل مزج الحقيقة بالخيال فوحد بينهما ام هل جرّب ان يسبر اعماق النفس البشرية فيظهر ما فيها ؟ هل مزج الخير بالشر والضعف بالقوة ليعطينا درساً في الحياة مفيداً ؟

وهل استطاع القصص العرب ان يحياوا الرواية التافهة والاقصوصة الساذجة بانطاق ابطالها امامنا ؟ وهل استطاعوا احياء ابطالهم فوصفهم وصفاً نفسانياً موفقاً ؟ هل استطاعوا ان يرونا عظمة الزمان القديم وابتهته ، فرحه وترحه ، بأسلوب معجب اتخاذه ؟

والمرأة ؟ هل كان لها في قصصهم مكان لاثق بها فدرسوها وحلّوا نفسها ورأوا فيها انساناً يحس ويشعر ، يفرح ويحزن ، يضحك ويبكي ، تسر الروح به ويسكن الفؤاد اليه ؟ ام عرفوها متعة للجسد وشهوة محرقة للنظر ؟

واخيراً هل ظهرت نفسية العربي في هذا القصص ؟ وما هي هذه النفسية ؟ وما لونها ؟ وهل انفرد العرب بهذا اللون من القصص ام عرفته امم اخرى غيرهم ؟ وهل تساوى العرب في معرفتهم هذا القصص بغيرهم من الشعوب ام قصروا عنهم ؟ ام سبقوهم ؟ ولماذا ؟ كل هذه الاسئلة (وغيرها كثير) نطرحها امام القارئ لينعم فيها نظره ويجيب

نفسه عليها ، بعد ان يقرأ هذا الكتاب . اما لماذا لا نجيب عليها نحن الآن فلسبيين :
 اولاً : لان بعضها وربما اكثرها قد تناولنا الجواب عليه في سياق بحوثنا المختلفة في
 هذه الرسالة .

ثانياً : لاننا نعتقد ان الجواب الشافي على بعضها الآخر يتطلب رسالة اخرى لا تقل
 ضخامة عن هذا الكتاب الذي بين ايدينا .

ولكن ذلك لا يمنعنا من القول بان هذه الالوان القصصية الثلاثة ، وقد اخترناها
 من ضمن خمسة انواع^(١) تمثل القصة العباسية العربية اتم واصدق تمثيل ، وتصور نفسية
 العربي ومجتمعه احسن وابعد تصوير .



مصادر البحث حسب ترتيبها التاريخي

الكتاب المقدس
القرآن

الطبري (٣١٠ هـ) - تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري

لندن ١٨٧٩ - ١٩٠١ م

ابن عبد ربه (٣٢٨) - العقد الفريد لاحمد بن محمد بن عبد ربه . المطبعة الاميرية

مصر سنة ١٢٩٣ هـ

الهمداني (٣٣٤) - الاكليل تأليف ابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف

بن داود المشهور بالهمداني - نشر الكرملية بغداد ١٩٣١ م

المسعودي (٣٤٦) - مروج الذهب ومعادن الجوهر لابي علي بن الحسين بن علي

المسعودي . باريس ١٨٦١ - ١٨٧٦ م

الكندي (٣٥٥) - كتاب الولاة وكتاب القضاة لابي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب

الكندي

الاصفهاني (٣٥٦) - كتاب الاغاني لابي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني . بولاق مصر

١٢٨٥ هـ والجزء ٢١ لندن ١٣٠ هـ

ابن النديم (٣٨٥) - كتاب الفهرست لمحمد بن اسحق الوراق المعروف بابن النديم

ليبزك ١٨٧١ م

الخوارزمي (٣٨٧) - كتاب مفاتيح العلوم لابي عبدالله بن احمد يوسف الخوارزمي

مطبعة الشرق ١٣٤٢ هـ

الثعلبي (٤٢٧) - عرائس المجالس في قصص الانبياء تأليف ابن اسحق احمد بن محمد

بن ابراهيم الثعلبي . مصر مطبعة مصطفى محمد ١٣٠١ هـ

الحصري (٤٥٣) - زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق الحصري القيرواني .

المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٥ م

ابن رشيقي (٤٥٦ هـ) - كتاب العمد لابي العباس الحسن بن رشيقي القيرواني مصر

١٩٢٥ م مطبعة امين هندية

الكسائي ؟ قصص الانبياء للشيخ الامام محمد بن عبدالله الكسائي ليدن ١٩٢٢ م
ياقوت (٦٢٦ هـ) - معجم البلدان للشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي

الرومي . ليبزك ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م

ابن الاثير (٦٠٦ هـ) - النهاية في غريب الحديث والاثري في خمسة مجلدات . مجد الدين ابن
العادات المبارك محمد بن الجزري - المطبعة العثمانية بمصر ١٣١١ هـ

ابن الاثير (٦٣٠ هـ) - الكامل في التاريخ لابي الحسن عز الدين المعروف بابن الاثير
المطبعة العامرة . مصر ١٢٩٠ هـ

ابن الاثير (٦٣٧ هـ) - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابي الفتح نصر الله
بن ابي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الاثير مصر ١٢٨٢ هـ

القفطي (٦٤٦ هـ) - اخبار العلماء باخبار الحكماء لجمال الدين ابي الحسن علي بن
يوسف القفطي مصر ١٣٢٦ هـ

ابن ابي اصيبعة (٦٦٨ هـ) - عيون الانباء في طبقات اطباء لموفق الدين ابي العباس
احمد بن القاسم

ابن خلكان (٦٨١ هـ) - وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين احمد
بن محمد بن خلكان مصر ١٢٧٥ هـ

النويري (٧٣٢ هـ) - نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب
بن احمد البكري النويري مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣

- ١٩٣٣ م

ابن خلدون (٨٠٨ هـ) - كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر لابي زيد عبد الرحمن
بن خلدون بيروت ١٩٠٠ م

المقرئزي (٨٤٥ هـ) - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لابي العباس
تقي الدين المقرئزي

المقرئ (١٠٤١ هـ) - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها
لسان الدين بن الخطيب مصر ١٢٧٩ هـ

الحاجي خليفه (١٠٦٨ هـ) - كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون لمصطفى
بن عبدالله كاتب جلبي - ليبزك ١٨٣٥ - ١٨٥٨ فلوجل

سيرة عنترة بن شداد - بيروت المطبعة الادبية سنة ١٨٨٤ م

سيرة فارس اليمن الملك سيف ابن ذي يزن . مصر . المطبعة السعيدية

المصادر الحديثة

- اسكندر آغا ابكار يوس - منية النفس في اشعار عنتر عبس
 سليمان البستاني - الباذة هوميروس
 عبد الوهاب عزام - الشاهنامه . مصر مطبعة دار الكتب ١٩٣٢ م
 جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية مطبعة الهلال ١٩١٤ م
 احمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي مطبعة الاعتماد مصر ١٩١٤ م
 احمد امين - فجر الاسلام مصر ١٩٢٨
 زكي مبارك - ضحى الاسلام مصر ١٩٣٣
 النثر الفني في القرن الرابع - دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٣٤ م
 محمود تيمور - نشوء القصة وتطورها . المكتبة السلفية ١٩٣٦ م
 ارتولد وجيوم - تراث الاسلام ترجمة لجنة الجامعيين لنشر العلم مصر ١٩٣٦ م
 محمد صابر - ادب الفراعنة . القاهرة ١٩٣٧ م
 عبدالله غانم - كتاب الاجيال . بكفيا ١٩٣٨ م
 ده بور - تاريخ الفلسفة في الاسلام ترجمة ابوريده القاهرة ١٩٣٨ م
 عبد العزيز البشري - المختار . مطبعة المعارف . مصر ١٩٣٧ م
 فؤاد افرام البستاني - مجلة المشرق مج ٢٨
 توفيق الحكيم - تحت شمس الفكر . مطبعة التوكيل القاهرة ١٩٤١ م
 ? - مجلة العروة الوثقى عدد كانون الثاني سنة ١٩٣٩ م
 ? - كليلة ودمنة . مطبعة المعارف القاهرة ١٩٤١ م المقدمة
 جرجي زيدان - الهلال مج ١٤
 محمد احمد جاد المولى - قصص العرب مصر ١٩٣٩ م
 علي محمد البجاوي
 محمد ابو الفضل ابراهيم

- | | |
|---|--------------------|
| — مجلة الآمال | ابو الفضل الوليد |
| — المكشوف مج ٢ | ? |
| — دفاع عن الادب ترجمة محمد مندور القاهرة ١٩٤٢ م | جورج ديهامال |
| — مجلة المقتطف مج ٢٩ | ? |
| — حي بن يقظان . مطبعة المعارف . مصر ١٩٣٥ م | كامل الكيلاني |
| — قصص الانبياء . مصر مطبعة النصر ١٩٣٦ م | عبد الوهاب نجار |
| — كتاب نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ١٩٣٨ م | الدكاترة حسن وغيره |
| — مجلة الابحاث السنة ١ | انيس فريجه |

المصادر الأجنبية

- 1 — Carra de Vaux. — Penseurs de l'Islam, Paris 1921 - 26.
- 2 — Chauvin V. — Bibliographie des Ouvrages Arabes ou relatifs aux Arabes, Liège 1892.
- 3 — O'leary De lacy — Arabic Thought and its place in History, London 1922.
- 4 — Lane Pole, Stanley — The Moors in Spain, London 1920.
- 5 — Ribera, J. — Music in Ancient Arabia and in Spain, London 1929.
- 6 — Arbuthnot F. F. — Arabic Authors, London 1890.
- 7 — Ampère M. J. J. — La Revue des deux Mondes, Février 1898.
- 8 — Alphonse de Lamartine — Voyage en Orient, Paris 1910.
- 9 — Tisdall, N. St Clair — The Original Sources of the Qur'ân, London 1905.
- 10 — Driver, S. R. — The Book of Genesis, London 1907.
- 11 — Skinner J. — Genesis, Edinburg 1910.
- 12 — Heller B. — Die Bedeutung des Arabischen 'Antar - Romans Für Die Vergleichende Litteraturkunde, Leipzig 1931.
- 13 — Bédier J. — La Chanson de Roland, Paris 1937.
- 14 — Journal Asiatique — 9^{me} série.
- 15 — Farmer H. G. — A History of Arabian Music to the XIII Century London 1929.
- 16 — Encyclopedia Britannica — Epic.
- 17 — Encyclopedy of Islam — Vol. IV.
- 18 — Huart Cl. — Littérature Arabe.

فهرست الكتاب

٧	مقدمة البحث
٩	هل عرف العرب الملاحم ؟
١٦	انواع القصص العربي
١٩	الف ليلة وليلة
٢٤	كليلة ودمنة

الفصل الاول :

٣١	القصص الاخباري
----	----------------

الفصل الثاني :

٧٦	القصص البطولي
٨٧	ملاحم العالم الكبرى

الفصل الثالث :

١٢١	القصص الديني
١٢٨	قصة آدم
١٣٦	قصة نوح
١٤٠	قصة ابراهيم
١٤٥	قصة يوسف
١٥٠	قصة عيسى
١٥٨	قصة محمد
١٦١	مزايا القصص الديني

فهرست مفصل للموضوعات

- ٧ مقدمة البحث وهي تتناول بعض الاساطير اشارة الى قدمية الحكاية في العالم اسطورة فرعونية عن كتاب السحر . واخرى فينيقية عن عشتروت وعشقتها جلجامش .
- ٨ اسطورة عربية عن الملك شمر يرعش بن مالك ناشر النعم وبناء قبر ابيه . مناجاة عبلة حبيبها عنثرة شعراً
- ٩ من اساطير العرب : بناء الجن المنازل وتشيد القصور ، عشق الجن البشر ، خروج الكفار من الارض المنشقة
- ١٠ هل عرف العرب الملاحم ؟ آراء المستشرقين De Boer و Hell في ذلك . آراء بعض الادباء المحدثين في الموضوع : عبد العزيز البشري وزكي مبارك .
- ١١ آراء كل من جرجي زيدان وحسن الزيات وتوفيق الحكيم
- ١٢ رأي المؤرخ ابن الاثير . بعض الاسباب في عدم معرفة العرب الملاحم .
- ١٣ لماذا لم يقدم العرب على ترجمة الادب اليوناني ؟
- ١٤ ان العرب عرفوا القصة . يقول هذا القول كل من المستشرقين جب وكارادهو
- ١٥ رأي بعض الادباء المحدثين في معرفة العرب القصة .
- ١٦ موقف الباحث الرصين من الادب العربي . تقسيم القصص العربي الى قسمين رئيسيين : القصص الموضوع والقصص الدخيل . اهم الآثار الادبية القصصية التي وصلتنا من القصص الدخيل
- ١٧ جدول بالحكايات التي وضعها العرب واسماء الكتب القصصية المعروفة من تأليف العرب
- ١٩-٢٣ الف ليلة وليلة كمثل عن القصص الدخيل . لماذا سميت بهذا الاسم ؟ ما هي اصولها ؟ من اين لها هذه الشهرة العالمية ؟ من هم الادباء والشعراء الغربيون الذين تأثروا بهذا الكتاب ؟
- ٢٤-٣٠ كتاب كليله ودمنة كمثل آخر عن القصص الدخيل . ما اصله ؟ كيف نقل الى اللغة العربية ؟ تسميته بكليلة ودمنة . على ماذا تقوم شهرته ؟ ما هي اهم ترجماته ؟ هل اثر كليله ودمنة في الآداب الاجنبية ؟

٣١-٣٤ القسم الاول من القصص العربي الصميم . القصص الاخباري . ما هو ؟ لماذا
مميّنه بهذا الاسم ؟ ما هي انواعه المختلفة ؟ لماذا اكتفينا بذكر مثال واحد
عنه هو الحكايات الغنائية ؟

٣٤-٤١ ماذا نعني بالحكايات الغنائية ؟ تأثير الغناء في العربي وامثلة على ذلك منتزعة
من صميم هذا القصص . طرب الخلفاء والامراء وبعض رجال الدين والعلماء
عند سماعهم الغناء .

٤١-٤٨ علاقة الخلفاء بالمغنين . كيف قرّب بعض الخلفاء المغنين من بلاطهم ؟ اثر
كل من السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشد والامين والمعتصم والواثق
والحكم الاول في هذه الحكايات الغنائية .

٤٨-٤٩ لماذا نظر بعض القضاة والعلماء الى رجال الغناء نظرة احتقار وازدراء ؟
٥٥-٥٥ عرض سريع لبعض المغنين واثروهم في هذه الحكايات امثال : طويس ومعبد
وابن سريج والغريص واسحق الموصلي وحكم الوادي وابن بانه وابن عائشة
وزرياب .

٥٥-٥٩ عرض سريع لبعض الجوارى المغنيات واثروهن في هذه الحكايات امثال : بصيص
وعريب وعبيدة ودنانير وعاتكة وذات الخال وعنان .

٥٩-٦١ الشهرة التي اصابها هؤلاء المغنون والمغنيات . تأثير غنائهم في الخلفاء والعظماء
العطايا الكثيرة والهدايا الثمينة التي كانوا يصيبنونها . الوف الدنانير تدفع ثمناً
لجارية مغنية .

٦١-٦٢ نفيد من هذا القصص شيئاً كثيراً عن آلات الطرب التي استعملها المغنون
والموسيقيون .

٦٣-٦٤ تطلعنا هذه الحكايات الغنائية على انواع الغناء الكثيرة التي عرفت في ذلك الزمن
كذلك نجد عشرات الاسماء للمؤلفين في فن الغناء والضرب مع عشرات
الاسماء من الكتب الغنائية الموسيقية .

٦٨ تقدير هذه الحكايات

٦٨-٧٤ في هذه الحكايات مادة شعرية رقيقة . امثلة عنها .

٧٤-٧٥ لهذه الحكايات عدة فوائد : فائدة تاريخية ، وفائدة اجتماعية ، وفائدة ادبية فنية

٧٦-٨٠ القسم الثاني من القصص العربي الصميم . القصص البطولي كيف نشأ ؟ اهم
ملاحم العالم . كلمة خاطفة في كل منها .

- ٨٠-٨٦ تعريف القصص البطولي . لماذا سميناها بهذا الاسم ؟ ما هي اشهر الكتب القصصية التي وصلتنا في هذا الموضوع ؟ قصة بكر وتغلب . قصة البراق . قصة سيف بن ذي يزن . سيرة بني هلال . العنصر التاريخي في هذه السيرة . اقسامها الرئيسية . مصادرها . ماذا قال ابن الاثير في بني هلال ؟ رأي بعض المستشرقين في حكايات بني هلال . هل من تشابه بين سيرة بني هلال والشاهنامة ؟
- ٨٧-٩٦ سيرة عنترة بن شداد كمثال عن القصص البطولي وعلى ماذا تقوم شهرتها ؟ ما هي هذه السيرة ؟ هل لها مؤلف معروف ؟ لماذا لا نستطيع ان نصل الى مؤلفها الحقيقي ؟ طبعاتها وترجماتنا . بحوث المستشرقين فيها وترجمتهم بعض اجزائها . اقسامها الرئيسية . موضوعها .
- ٩٧-١٠٣ بحث في بعض شخصيات السيرة ودرس صفاتها . عنترة في حبه العنيف . لماذا يتحمل كل هذه المخاطر ؟ لماذا يثير حبه لابنة عمه نعمة الناس عليه ؟ عنترة البطل . صفات هذه البطولة . عنترة والشعراء . الشعر صفة مكملة للبطولة . عنترة والدهاء السياسي . « كان يقدم موضع الاقدام ويحجم موضع الاحجام »
- ١٠٤-١٠٥ اخلاق عنترة . من مزاياه عزة النفس ، العفة ، الترفع عن الدنيا ، سهولة العشرة ، دماثة الخلق ، الكرم ، الحلم ، المحافظة على الشرف الخ .
- ١٠٦-١٠٧ علة بطله السيرة تنور من اجل حبها . هي امينة مخلصه لعنترة رغم تزويجها قسراً من غيره . وهي في حبها عفيفة ، شريفة ، طاهرة ولكنها تغار غيره جنونية .
- ١١٠ شيبوب من الشخصيات المحببة في السيرة . لا يقع عنترة في ورطة الا ويصل اليه شيبوب « اسرع من ملح البصر كأنه الثعبان الاغبر » .
- ١١١-١١٣ الروح الاسلامي في سيرة عنترة . في السيرة محاولات من قبل جامعها لصبغها بصبغة الاسلام على بعد الزمن بين حوادثها وعصر الاسلام .
- ١١٤ منزلة السيرة الادبية . هل تعتبر مصدراً تاريخياً ؟ هي معرض لحياة العرب في الجاهلية وهي في مقدمة الحكايات العربية البطولية .
- ١١٥ ان حوادثها الحارقة من الاسباب التي ترفع منزلتها
- ١١٦ هل يصح ان ندعوها « بالياذة العرب » ؟ رأي زيدان والزيات وغيرها من الباحثين في ذلك .

- ١١٧ يؤيد هذا القول المستشرق الفرنسي ده برسفال .
- ١١٨ اين هي عناصر الملحمة في سيرة عنترة ؟
- ١١٩ هل تتشابه واغنية رولاند الملحمة الفرنسية ؟ هناك اربعة مشاهد تحمل على المقارنة . في كتاب هار الالماني بحث مطول في هذه السيرة ومنزلتها في ادب المقارنة .
- ١٢٠ ليست سيرة عنترة ملحمة بالمعنى الصحيح ولكنها سجل لما أثر العرب في العصر الجاهلي وحروبهم وانتصاراتهم وبذلك هي « الياذة العرب » .
- ١٢١-١٢٢ القصص الديني . تعريفه . اول قاص في الاسلام مادة القصص الديني . امثلة منه .
- ١٢٣-١٢٤ ما هو القصص الديني ؟ متى عرف هذا القصص في الاسلام ؟
- ١٢٥-١٢٧ الكتب القصصية الدينية التي وصلتنا وفي مقدمتها كتابان : قصص الانبياء للكسائي والعرائس للثعلبي
- ١٢٨-١٢٩ قصة آدم كمثل عن هذا القصص الديني . حالة الارض قبل ان خلق الله آدم . كيف خلق الله آدم ؟ حديث وهب بن منبه في ذلك .
- ١٣٠-١٣٣ صفات آدم . ركوب فرسه الميمون وطوفانه في السماء . كيف تم زواج آدم بحواء . آدم وحواء يسكنان الجنة قبل ان يقعوا في الخطيئة . هبوط آدم من السماء الى بلاد الهند بعد الخطيئة . بكاء آدم وندمه على فعلته . قبول الله توبته . كيف توفي الله آدم . حزن حواء عليه وتمزيق ثيابها لفقده .
- ١٣٣-١٣٥ مقارنة بين ما جاء في التوراة والقرآن عن آدم بما ذكر عنه في هذا القصص الديني . هل من اختلاف في حياة آدم كما وردت في التوراة عنها في القرآن
- ١٣٦-١٣٧ قصة نوح كمثل ثان لهذا القصص الديني . بشارة جبريل نوحاً بالنبوة . سفينة نوح . وصفها الغريب . الحيوانات التي ادخلها نوح السفينة . طواف السفينة بنوح اقطار العالم . استقرارها اخيراً على جبل الجودي .
- ١٣٧-١٣٩ قصة نوح كما وردت في القرآن والتوراة
- ١٤٠-١٤١ قصة ابراهيم كمثل ثالث لهذا القصص الديني . اين ولد ابراهيم ؟ الكعبة تسجد عند ولادته . ماذا كان يفعل ابراهيم باصنام ابيه التي كان يسلمه اياها للبيع . قصة ابراهيم والنمرود . تعذيب النمرود ابراهيم وحرقة في النار .

النمرود يحاول ان ينتقم من اله ابراهيم . التابوت الذي اعده لهذه الغاية .
١٤٢-١٤٤ الملاك ينصح النمرود ولكنه لا ينتصح . موت النمرود بصورة مفاجئة .
حكاية البعوضة التي دخلت في منخريه واكلت دماغه . على ماذا استند القصص
في سرد هذه الاسطورة ؟ حكاية ابراهيم وذبحه ابنه اسحق .

١٤٥-١٤٦ قصة يوسف كمثال رابع عن هذا القصص الديني . ابن هو موضع الطرافة
في هذه الحكاية ؟ رؤيا يوسف . كيف فسرنا القصص ، الفرق بين حكاياتهم
وبين ما جاء في التوراة والقرآن .

١٤٧-١٤٩ حكاية يوسف مع امرأة العزيز . يوسف يسجن ثم يطلق سراحه .
١٥٠-١٥١ قصة عيسى كمثال خامس عن هذا القصص الديني . في هذه الحكاية طرافة
وغرابة . ولادة عيسى بطريقة غريبة . ذهابه الى الكتاب ليتعلم وعمره تسعة
اشهر ! فصاحة عيسى ومعرفته التي تدعش معلميه .

١٥١-١٥٢ يعترف القصص بكل عجائب المسيح التي وردت في الانجيل والقرآن
ويزيد عليها عجائب لم تذكر في هذين الكتابين .

١٥٣-١٥٤ اقامة السيد المسيح لعازر من الموت ، مشي السيد المسيح على الماء .
١٥٥-١٥٦ كيف يظهر عيسى في هذا القصص ؟ حديث النبي : « الأنبياء اخوة لعلات »
كيف يموت عيسى ثم يرفعه الله اليه .

١٥٧ قيمة هذا القصص من الناحية الدينية .

١٥٨-١٦٠ يتناول القصص حياة النبي محمد ايضاً . ولادته بطريقة عجيبة تخالف كتب
التاريخ الاسلامي . محمد يخالف بصفاته جميع الانبياء . لقد تنبأ بمجيئه كثير
من الانبياء . ولقد مات بصورة خاصة ايضاً .

١٦١-١٦٤ ما هي مزايا هذا القصص الديني ؟ انه يمتاز بالصبغة الاسلامية حتى ولو كانت
حوادثه قبل الاسلام . فيوم الجمعة هو يوم مقدس . وكثيرون من انبياء
التوراة هم مسلمون الخ الخ .

١٦٥-١٦٧ في هذا القصص كثير من الحوارق التي يصعب تصديقها . راجع بعض
هذه الحوارق في صفحتي : (١٦٥ و ١٦٦) . من اين هذه الحوارق ؟ ماذا قال
الباحثون في هذا العدد الضخم من السنين التي يعيشها هؤلاء الانبياء .

١٦٨-١٧٠ هل اثرت التوراة في هذا القصص؟ ذكر التوراة في القرآن وترجمتها الى اللغة العربية . اشهر من نقل الاسرائيليات الى العرب هما اثنان : كعب الاحبار ووهب بن منبه .

١٧٠-١٧٤ ما قيمة هذا القصص الديني؟ اهم مزاياه : العبرة والوصف الغريب . امثلة طريفة عن غرابة هذا الوصف .

١٧٤-١٧٧ رأي خاص في هذا القصص . ما هذا الخيال الذي يلعب دوره في هذه الحكايات؟ لماذا لا نجد انسجماً في التفكير؟ ما غاية هذا القصص؟ هل نستطيع ان ندعي ان الحياة العربية مصورة في هذه الحكايات؟ هل يعكس هذا القصص نفسية العربي والى اي حد؟

فهرست الاعلام

ازدشير ١٠٩
اسحق (ابن ابراهيم) ١٤٤، ١٤٣، ١٢٦، ١٤٥، ١٦٥، ١٦٣، ١٦٢، ١٤٦، ١٦٦، ١٧١
الاسدي (بشر) ٨١، ١٨
اسرائيل ١٤٥
اسرافيل ١٧١، ١٦٥، ١٣٠
اسلام (ابن عبد العزيز) ٥٤
اسماعيل ١٤٦، ١٤٤، ١٢٦
اسنات (بنت فوطي فارغ) ١٤٨
ابشالوم ١٢٧
الاصفهاني (ابو الفرج) ٥٦، ٤٨، ٣٢
٦٧، ٦٦، ٦٣
الاصمعي ٩١، ٩٠
اصوصة ٤٦
ابن ابي اصيبعة ٩١
افرائم ١٦٣، ١٤٨
امبادوقليس ٧٩
امين (احمد) ١٤
الامين (ابن الرشيد) ٦١، ٤٣، ٤٠
الانبار (قصر الرشيد) ٤٣
اندر اوس ١٦٤
انوشروان ٢٧، ٢٦، ٢٥، ١٨، ١٣
١٠٢، ٨١
الاهوازي (عبدالله بن هلال) ٢٥
اولفيه ١١٩
ايوب (النبي) ١٦٣، ١٢٦، ١١٧

آبان (ابن الخليفة عثمان) ٥٠، ٣٧، ٣٦
آبان (بن عبد الحميد اللاهقي) ٢٧
الابجر (فرس عنتر) ١١٩
ابراهيم الخليل ٩، ١١١، ١٢٦، ١٣٥
١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣
١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٢، ١٦٣
١٦٤، ١٦٦، ١٧١، ١٧٤
ابراهيم (ابن سعد) ٤٠
ابراهيم (ابن سهل) ٤٥
ابراهيم (ابن المهدي) ٤٧، ٤٤، ٤٣، ٣٩
٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٦١
ابرهة (الملك) ٩
ابكار يوس (اسكندر) ٨٨
ابليس ١٢٩، ١٣١، ١٥٠، ١٦٣، ١٦٥
١٧٠
ابن الاثير ١١، ٣٢، ٨٥، ١٦٩
احمد (ابن ابي العلاء المغربي) ٥٢
احمد (ابن حنبل) ٤٦
الاحوص ٧٠
اخيل ١١٨
ادريس ١٢٦
آدم ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١
١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٨
١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦
١٧٠
آزاراط (جبل) ١٣٨
ارسطو ١٤
ارياستو ٧٨

بود ٢٥

بوكتاشيو ٧٩

بول (لين) ٤٦

بورجر ٢٢

بيدبا ٢٥

بيرجستال (هامر) ٩١

البيروني ٢٤

- ت -

تارح (ابو ابراهيم الخليل) ١٤٠

تاسو (توركاتو) ٧٩

تميم (الداري) ١٢٣ ، ١٢٤

تينسون ٢٢

توسيديد (المؤرخ اليوناني) ١٠

توما ١٦٤

تيسدال (القس) ١٤٣

- ث -

الثعلبي ١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥٢ ، ١٦٩

- ج -

جابر (ابن الملك المنذر) ٨٤

الجاحظ ١٤

جالينوس ١٤

ابن جامع (المغني) ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٠

٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٩

جب (المستشرق) ١٥ ، ٢٢ ، ٢٩

جبويل ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ،

١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،

١٧١ ، ١٧٣

جبله (ابن الاهيم) ٦٢

جيرو (ابن الملك المنذر) ٨٤

- ب -

بارت ٨٣

بارمنيدس ٧٩

بارون ١٠٠ ، ١٠٥

باير (فرس اوليفيه) ١١٩

بذل ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٤

برتولماوس ١٦٤

البوراق ٨٢

برزويه ٢٦ ، ٢٧

ده برسفال ٩٤ ، ١١٧

برصوما (المغني) ٤٣

بركاد (الاب) ٩٢

البومكي (جحظة) ٦٧

» (جعفر) ٢٧

» (الفضل) ٢٧

» (يحيى بن خالد) ٢٥ ، ٢٧ ، ٥٧

بريسا (حبيبة اخيل) ١١٨

بزرجمهر ١٠٨ ، ١١٣

البستاني (سليمان) ١١٧ ، ١١٨

بسطام (ابن قيس بن مسعود) ٢٨ ، ١٠٢

بشر (ابن المعتمر) ٢٨

بصبص ٥٥

بطرس ١٥٤

ابو بكر ١٦٨

بل (الفرد) ٨٥

بلاتن ٢٢

بلقيس ٢٨ ، ١٠٥ ، ١٦٥

بنان (ابن عمرو الحارث) ٤٧ ، ٥٣

بنيامين (اخو يوسف الصديق) ١٤٩

بواردو ٧٨

حصورة ١٣٦

ابو حفص (الشطرنجي) ٥٧

الحكم الاول ٤٦

حكم الوادي (المغني) ٤١ ، ٤٣ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٦١ ، ٦٣

حمدونة (بنت زرياب) ٥٤

حمويه (الوصيف) ٥٨ ، ٥٩

حنين (ابن اسحق) ٦٥

حواء ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،

١٥٨ ، ١٧٠

- خ -

الخلد (قصر الامين) ٤٣

ابن خلدون ٨٥ ، ١٦٩

ابن خلكان ٢٤ ، ٤٢ ، ٦٦

خليفة (الحاجي) ٢٨

الخليل (بن احمد) ٦٥

خميسو ٢٢

خنث - انظر ذات الخال

- د -

الدارمي ٦٩

داقيوس ١٦٤

داني ٢٢ ، ٧٨ ، ١٦٦

داود (النبي) ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ،

١٧٣ ، ١٧٤

داود (ابن آدم) ١٧٠

دبشليم ٢٥

دعبل ٤٤

دفاق ٥٨ ، ٦٨

ابن الدقاق ٥٥

الدلال ٥٠

ابن جحظة ٥٥ ، ٥٦

جرا ب الدولة ٥٥

جرير ٣٢ ، ٣٥ ، ٧٩

جساس ٨١

ام جعفر (زوجة الرشيد) ٣٩ ، ٤٠ ،

٤٢ ، ٦٠

جلكامش (بطل اسطوري) ٧

جميل (بثينة) ٧٤

جميلة ٥٠ ، ٦٨ ، ٧٤

ابو جهل ٩

جهينة الاخبار ٩٠

الجودي (جبل) ١٣٧

جولدزير ١١٠

- ح -

الحارث (ابن خالد الخزومي) ٥٩

حام ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٣٨

ابو حبيب الحمصي (القاضي) ١٢٥

حذاوند (ملك العجم) ١٠٢

الحراثي (سليمان) ٩٢

الحرث (ابن كلدة) ٥٥

الحريري ١٨

الحسن (البصري) ١٢٥

حسن (المسدود) ٤٥ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦

حسنة ٥٨

حسان (بن ثابت) ٣٦ ، ٦٢

حسان (بن معبد) ١١٢

الحسين (ابن احمد) ١٥٥

الحسين (ابن محرز) ٥٧

ابو حشيشة (الطنبوري) ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٦٧ ، ٧٣

- ز -

زبيدة (والدة عنتر) ٨٩
 زبيدة (بنت جعفر) ٢٨
 الزبير (ابن رحمان) المغني ٥٨ ، ٤٣
 زرزور ٤٤
 زرياب ٥٨ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٦
 الزُّفّ (محمد) انظر محمد
 زكريا ١٧٠
 زلزل ٥٤ ، ٥٠ ، ٤٤ ، ٤٣
 زليخا ١٤٨
 الزخشي ١٢٥
 الزناتي (خليفه) ٨٤
 زهير (الملك) ١١٦ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١
 زهير (ابن ابي سلمى) ١٠٣
 زوليحا ٧٩
 زياد (ابن اكال الاكباد) ١٠٢
 زيدان (جرجي) ٨٢ ، ٨١ ، ١٣ ، ١١
 ١٦٦ ، ١١٦
 زيد (ابن عمرو) ١٦٣
 الزيات (احمد حسن) ١١٦
 - س -
 سائب الخاثر ٥٠
 سارفتي ٧٩
 سام ١٥٢ ، ١٤٦ ، ١٣٨ ، ١٣٦
 سانكوبوزا ١١٠
 سبع (ابن الحارث) ١٠٢
 سبيعة ٣٥
 سترايون ١١
 ستو ٢٢
 سحر ٥٨

من ٥٨

ابن المدينة ٧٠

دنانير ٥١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٤

دوغا ٩٤

دوفيك ٩٤

دياب (ابن الامير غانم) ٨٤

ديكنز ٢٢

- ذ -

ذات الحال ٥٨ ، ٥٩

ابن ذريح ٧٤

- ر -

رائقة ٥٠

ربيعة (المغني) ٥٠

ربيعة (ابن المقدم) ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٩

الربيع (ابن زياد) ٩٩

رزق (الامير) ٨٦

رحمة (امرأة ايوب) ١٦٣

رستم ٨٦

الرشيد (هارون) ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩

٤٠ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

٦١ ، ٦٩ ، ٧٠

ابن رشيق ٦٢

رضوان ١٣١

الركة (قصر الرشيد) ٤٣

الرودي (ابو جعفر) ٢٩

روح (ابن زنباع) ١٢٤

رولان ١٠٧ ، ١١٩

ريان (ابن الوليد) الملك ١٤٨

ريّيق ٥٨

سحراب (ابن رستم) ٨٦

سرنديب (جبل) ١٣١

ابن سُريج ٣٤، ٣٥، ٥٠، ٦٢، ٦٣، ٧٠

سعدون ٨٣

سعيد (ابن المسيّب) ١٦٠

ابن سَلّام (احمد بن عبدالله) ١٦٨

سلامة (القس) ٣٧، ٥٠

سليم (ابن عتر التجيبي) ١٢٤، ١٢٥

سليمان (ابن داود) كاتب ام جعفر ٨، ٧٢

سليمان (ابن عبد الملك) ٥٠، ٦٩

سليمان (ابن القصار) ٤٧

سليمان (النبي) ١٢٧، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٣

١٦٥، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤

سمحة ٥٨

سمعان بطرس ١٦٤

ابن سهل (ابن نوبخت) ٢٧

سياط (المغني) ٤٢، ٥١، ٥٢

سيف (ابن ذي يزن) ٨٣

السيوطي ٣٢

- ش -

شاريه ٤٧، ٥١، ٥٦، ٦٠

شامه ٨٣

ابن شُبّه (عمر) ١٨، ٨١، ٨٢

شربونو ٩٤

شعيب ١٢٦، ١٥٥

شمعون (اخو يوسف الصديق) ١٤٦

شمر يرعش ٨

شمويل ١٢٧

ابن شهاب ١٢٣

شهدة (ام عاتكة) ٥٧

شهران (ابن كسرى) ١٠٨

ابن شهيد ١٩

شوسر ٢٢

شوفان (فكتور) ٨٦، ٩٣، ٩٤

شيبوب ٩٧، ٩٨، ١١٠

شيت (ابن آدم) ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦

شيرسان ١١٢

- ص -

صالح (ابن عبد الوهاب) ٥٨

صالح (ابن الرشيد) ٥٧، ٧٢

صالح (النبي) ١٢٦، ١٦٥، ١٧١

صخر (ابن عمرو) ١٠٢

ابو صدقه (احمد) المغني ٤٣، ٥٣

صفقات فعنيح ١٤٨

- ض -

ضعف (جارية الامين) ٤٣

ضيا ٥٨

- ط -

ابن طاهر ٤٧، ٥٨

الطبري ١٢٥، ١٦٩

طرفة (ابن العبد) ١٠٣، ١١٣

ابن الطفيل ١٩

طويس ٣٦، ٣٧، ٥٠، ٦٢

- ظ -

ابن ظفر (عبد القرشي) ٢٨

- ع -

ابن عائشة (المغني) ٣٥، ٣٧، ٥٢، ٦٢

عاتكة ٥٧

عامر (ابن الطفيل) ١٠٨، ١٠٩

ابن عباس ١٥٧، ١٦٠

العباس (ابن الاخنف) ٥٨

ابو العباس (السفاح) ٤١

العباس (ابن النّسائي) ٤٦

عبدالله (ابن الامين) ٤٠

عبدالله (ابن جعفر) ٣٤

عبدالله (ابن دحمان) المغني ٤٣

عبدالله (ابن الزبير) ٥٥

عبدالله (ابن العباس الربيعي) ٤٥ ،

٤٧ ، ٥٣

عبدالله (ابن عمرو) ١٢٤

عبدالله (ابن المعتز) ٧١ ، ٤٧ ، ٤٠

عبدالله (ابن المهدي) ٤٢ ، ٤٠

ابن عبد ربه ٥٨ ، ٥٥ ، ٣٢

عبد الرحمن الاول ٥٣ ، ٤٥

عبد الرحمن الثاني ٥٨ ، ٤٦

عبد الملك (ابن مروان) ١٢٥ ، ٥٠

عبد المؤمن (ابن الحسن) ٢٨

عبيدالله (ابن زرياب) ٥٤

ابو عبيدة (الراوية) ٩٠

عبيدة (الطنبورية) ٥٦

ابو العيس (ابن حمدون) ٥٥

عبله ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،

١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦

ابو العتاهية ٣٨

ابن ابي عتيق ٦٩

عثمان (ابن عفان) ١٢٣

العجفاء ٤٦ ، ٨٥

العجلي (ابو دلف) ٤٠

ابن عربشاه ٢٨

عروة (ابن حزام) ٧٤

عريب ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٨

عزرائيل ١٢٣ ، ١٦٥ ، ١٧١

عزّام (عبد الوهاب) ١٣

عزّة الميلاء ٣٦ ، ٥٠ ، ٦٨

العزير ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩

العزير بالله ٩٠

الاعشى ١٠٣

عطاء (ابن ابي رباح) ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٠

عقيل ٥٧

علقمة ١٠٢

علوية ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٠

علي بك ٨٣

علي (ابن جبلة) ٤٠

علي (ابن الجهم) ٤٤

علي (ابن داود) ٢٨

علي (ابن ابي طالب) ١٢٤

علي (ابن هشام) ٥٧

علية (بنت المهدي) ٣٩

عمارة (ابن زياد) ٩٩

عمر (ابن الخطاب) ٢٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٦٨

عمر (ابن ابي ربيعة) ٣٥ ، ٧٤

عمر (ابن عبد العزيز) ٣٦ ، ٣٨

عمرو (ابن عم عنتر) ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤

عمرو (ابن بانه) ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٨ ،

٦٦ ، ٧١

عمرو (ابن كلثوم) ١٠٣

عمرو (ابن معدي كرب) ١٠٢ ، ١٠٨

عمورة ١٣٦

عنان ٥٨

فرعون ١٦٣، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧
فرنسيسكو بالو ٧٨
فريدة (جارية الواثق) ٧١، ٥٢، ٤٧
فضل (الجارية الشاعرة) ٥٨، ٥٣
فُليح (ابن ابي العوراء) ٥٢، ٤٣، ٣٧، ٥٧

فهر ١٠٢
ده فو (البارون كارا) ٢١، ١٥
فوطيفار ١٤٩، ١٤٧
فوطي فارغ (كاهن اون) ١٤٩، ١٤٨
فيلاند ٢٢
فيلبس ١٦٤

— ق —

قابيل ١٦٦
قتادة ١٦٠
ابن قتيبة ١٦٩
ذو القرنين ١٧٢
قريض (المغني) ٦٧، ٥٣
ابن القصار (المغني) ٥٥
قلم الصاحية ٥٨
قلم (غلام عبدالله ابن المهدي) ٤٢
قرية ٥٨
امرو القيس ١٠٣
قيصر ١١٣، ٩٨

— ك —

كاردون (كاردن ده) ٩٤
ابن كثير ١٢٧
اكزنافانوس ٧٩
الكسائي (محمد) ١٨، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٧

عنتر او عنتره ٨، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٨، ١١٩

العنتري (ابن الصايغ) ٩٢، ٩١
عنيزة (ابنة عنتر) ١٠٨

عوج ١٦٦
عولوس ١١٠
عيسى ١٢٧، ١٣٥، ١٤٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤

ابو عيسى (ابن الرشيد) ٤٠
ابو عيسى (ابن المتوكل) ٤٠، ٤٦
عيسو ١٢٦
ابن ابي العيلاء ٤٥
عينه (ابن خص) ١١٢
عيتوف ٩

— غ —

غانم (الامير) ٨٤
الغريض ٣٦، ٥٠، ٥٩، ٧٢
الغضبان ١٠٤

— ف —

فاجنر ٧٩
فارمر ٤٥، ٥٠، ٦٤، ٦٥
ابو الفدا (المؤرخ) ١٤٣
فرجيل ٧٩، ٧٨
الفرزدق ٣٢
الفردوسي ١١، ٧٨، ٧٩، ٨٦

المتجردة ١١٣

المتوكل ٤٦، ٥١، ٥٣

متم (الهاشمية) ٥١، ٥٧

المجنون (قيس بن الملوّح) ٧٤

محبوبة (جارية المتوكل) ٤٧، ٥٢

محبورة ١٣٦

ابن محرز ٥٠

محمد (النبي) ٤٨، ٦٩، ١٠٥، ١١٧،

١٢٧، ١٣٥، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٤،

١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠،

١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨

محمد (ابن اسحق) ٨١

محمد (ابن الحارث) (المغني) ٤٣، ٤٦

محمد (ابن القاسم) ١٥٥

محمد الزف (المغني) ٤٣، ٥٤

محمد (ابن طاهر) ٤٧

محمد (ابن عامر الرومي) ٤٤

مخارق (المغني) ٣٨، ٤٣، ٤٥، ٥٧

المختطف (ملك) ٨٣

مرتّا (اخت لعازر) ١٥٢

مريم (اخت لعازر) ١٥٢

مريم (زوجة يوسف) ١٢٣، [١٢٧،

١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٠

مريم (اخت القيصر) ١٠٠

المستعين ٤٧، ٧٣

ابن مسجح ٥٠

المسرور (خادم الرشيد) ٣٩، ٥٥

المسعودي ١٩، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٦٣

المسيح (يسوع) ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥،

١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٧٠

١٣٦، ١٤٩، ١٦٩

كسرى ٨٨، ٩٨، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩،

١١٣، ١٥٨

كعب الاحبار ١٢٥، ١٦٨

كليب ٨١، ٨٢

كليوباتره ١٠

الكندي ٦٤، ١٢٤

دون كينخوت ١١٠

الكيلاني (كامل) ٨٣

- ل -

لافونتين ٢٩

لامارتين (الفونس ده) ٩٤، ١١٠

لباوس ١٦٤

ليبد ١٠٣

لعاذر ١٢٧، ١٥٢، ١٥٣

لقيط (ابن زراره) ١٠٢

لوجي بولسي ٧٨

لوط ١٣٦، ١٧١

ليلي (بنت لكيز) ٨٢

- م -

مارق (المغني) ٤٤

ماسنجر ٢٩

مالك (ابن انس) ٤٠

مالك (ابو عبلة) ٩٧، ٩٩، ١١٦

مالك (ناشر النعم) ٨

المأمون ٢٨، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ٥٣، ٥٤،

٦١، ٦٣، ٧٤

المبرّد ٣٢

متى ١٥٤، ١٦٤

٥٠، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣

٦٦، ٧٣

الموصلي (اسحق) ٣٧، ٤٣، ٤٥، ٤٦

٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨

٦٠، ٦٣، ٦٥، ٧٠

الميداني (عمر) ٥٥

ميشورة ١٣٦

ميكائيل ١٢٩، ١٣٠، ١٧١

الميلاء (عزة) انظر عزة

ميار ٢٢

الميمون (فرس آدم) ١٣٠، ١٣١

— ن —

نازح (الامير) ١٠٢

نافع (التميمي) ٨١

النجار (عبد الوهاب) ١٤٣، ١٤٤

نجد (ابن هشام) ٩٠

ابن النديم ١٦٨

النطاف ٥٨

النعمان (ابن المنذر) ٣٣

النقاش (جلال الدين) ٢٨

النمرود ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٦٥

نوح ١٢٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨

١٣٩، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠

١٦٦، ١٧١

نؤمة الضحى ٥٠، ٧١

النيسابوري ١٢٦

— ه —

هاثيل ١٥٨، ١٦٦

الهادي (ابن المهدي) ٤٢، ٤٣، ٦١، ٧٢

مصاييح ٥٨

معاذ (ابن جبل) ١٥٤

معاوية ٣٦، ٥٨، ١٢٤، ١٢٥

معاوية (قانص السباع) ١٠٢

معبد ٣٧، ٥٠، ٦٠، ٦٣، ٧٠

المعتز ٣٨، ٤٧

المعتصم ٤٤، ٥٦

المعتضد ٣٨، ٤٨

المعتد ٣٨، ٤٧، ٥٤، ٦٠، ٧٣

المعري (ابو العلاء) ١٩، ٢٨، ١٦٧

ابو المقداد ١٠٢

المقدوني (الاسكندر) ١٦٦

ابن المقفع ٢٤، ٢٥، ٢٦

المكي (احمد بن يحيى) ٤٦، ٦٦

ملاحظ ٥٥

ملتون ٧٩

ابن المماتي ٢٨

المنتصر ٣٨، ٤٧، ٥١، ٥٣

المنذر (النعمان) ٨٤، ٩٨، ١٠٨، ١١٣

منشى (او منشأ، او منسى) ١٢٧، ١٤٨

المنصور (ابو جعفر) ٢٤، ٢٥، ٣٣

٤١، ٤٢

المنصور (المغني) ٤٦

المهدي (ابن المنصور) ٢٥، ٢٧، ٤٠

٤٢، ٥٢، ٥٥

المهلهل ٨٢

الموريا ١٤٣، ١٤٤

موسى (النبي) ١٢، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥

١٦٦، ١٧١

الموصلي (ابراهيم) ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٤٧

وهبة ٨٥

- ي -

يافث ١٣٦، ١٣٨

ياقوت ٣٢

يحيى (ابن الربيع) ٥٨

يحيى (المكي) المغني ٤٣، ٤٤، ٥٢،

٥٨، ٦١، ٦٦

يزيد حوراء المغني ٥٢

يزيد (ابن عبد الملك) ٣٦

يزيد (ابن معاوية) ١٢٤، ١٢٥

يشوع (ابن نون) ١٦٢

يعقوب (ابن زبدي) ١٦٤

يعقوب ١٢٦، ١٣٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧،

١٤٩، ١٦٢، ١٦٥

يهوذا (الاسخريوطي) ١٦٤

يوحنا ١٥٢، ١٧٠

يوحنا اخو يعقوب ١٦٤

يوسافس (ابن كالب) ١٢٧

يوسف (النبي) ١٣٢، ١٣٥، ١٤٤،

١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،

١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧١

يوسف (ابن اسماعيل) ٩٠، ٩١، ٩٢

يوسف (زوج مريم) ١٢٣، ١٢٦

ابو يوسف (القاضي) ٤٨

يوشع (ابن نون) ١٢٧

يونس ١٢٧

هارتمن (المستشرق) ٨٥

هارون ١٦٦

هافمان ٢٢

هاملتون (تاريخ) ٩٤

هاني (ابن مسعود) ١٠٨، ١١٢

ابن الهبارية ١٩، ٢٨

الهندلي (ابو صخر) ٧٣

الهربذي (او ابن الهربذ المغني) ٣٧، ٥٢

هرقل ١٠٨، ١١٣

ابن هريرة ١٥٥

هشام (ابن عبد الملك) ٥٤

ابو زيد الهلالي ٨٦

هلم (برنار) ٨٦، ١١٩، ١٢٠

هود ١٢٦، ١٦٠

هوميروس ١٠، ١١، ١٤، ٧٨، ٧٩،

١١٧، ١١٨، ١٦٦

هيار (كلامان) ٨٣، ٨٥، ٩٦

هيروديتس (المؤرخ اليوناني) ١١

هيلانه ١٠٥

- و -

الوائق (ابن المعتصم) ٣٨، ٤٤، ٤٨،

٥١، ٥٨، ٦١، ٧١

الورد (المستشرق) ١٥

وزر (ابن نبهان الاسد الرهيص) ١٠٦،

١١٠

الوليد الثاني ٦١

وهب (ابن منبه) ١٢٥، ١٦٨، ١٦٩،

١٧٢

تم طبعه^١ على مطابع المرسلين اللبنانيين — جونية

في ١٥ حزيران سنة ١٩٥٠

DATE DUE



A. U. B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00336901

892.7309

S949a A

